موجــــز

تاريخ أفريقيـا الحـديث والمعاصر

تأليف
دكتور/ فيصل محمد موسي
الأستاذ المساعد للتاريخ بجامعة سبها

مراجعة
دكتور/ ميلاد أ. المقرحي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة قاريونس - بنغازى

منشورات الجامعة المفتوحة
1997

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم }

صدق الله العظيم
سورة البقرة
الآية ﴿31﴾

الإهـــــداء

إلي زوجتـــي ، أم محمـــد ....

تجلة ووفاء وعرفانا

المحتويـــــــــــات

المحتويـــــــــات

الفصل الثالث

حركة الكشوف الجغرافية الأوربية لأفريقية

فى القرن السادس عشر

الفصل الرابع

تجارة الرقيق وعصر الأسلحة فى افريقية

الفصل الخامس

الاسلام والمسيحية فى افريقيا

الفصل السادس

الرحالة والشركات الأوربية التجارية وجمعيات التبشير والتمهيد لقدوم الاستعمار

الفصل السابع

التكالب الاستعمارى الأوربى على افريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

الفصل الثامن

أثيوبيا والسودان فى القرن التاسع عشر

الفصل التاسع

الاستعمار الأوربى لأفريقية فى القرن التاسع عشر

الفصل العاشر

افريقيا من الاستعمار الى الاستقلال

الفصل الحادى عشر

افريقيا من الاستعمار الى الاستقلال (2)

الفصل الثانى عشر

المشاكل التى واجهت الدول الافريقية فيما بعد الاستقلال .

المقدمـــة

إفريقيا القارة السمراء إحدى قارات العالم القديم والتى شهدت أقدم الحضارات الإنسانية حضارتى وادى النيل الأعلى والأدنى والتى لازالت آثارها شاهدة على عظمة انسان إفريقيا وإبداعاته ، كانت قبل وصول الأوروبيين لها تعيش فى حالة من الأمن والإستقرار وتوجد بها ممالك وسلطنات بلغت شاوا كبيرا من التطور والعمران ولها نظم حكم مستقرة وإن كانت تقوم على النظام القبلى فى كثير من الأحيان . ولكن الأوروبيين الذين إدعوا إنهم لايعرفون شيئا عن إفريقيا - وكان الرحالة العرب كالإدريسى وإبن جبير وإبن بطوطه قد وصفاها لهم فى كتاباتهم وخرائطهم - قاموا بحركة ما يسمى بالكشوف الجغرافية ، التى كانت بداية التمهيد للإستعمار الأروبى لإفريقيا ، وهذا التمويه العلمى ينطبق تماما على إفريقيا مثلما إنطبق على امريكا وسميت بالأراضى الجديدة - فى حين أنه كانت تسكنها شعوب الهنود الحمر ولهم حضارتهم العريقة مثل حضارات الماياس والأنكا والازاتيك ، ونسبه لما صحب هذه الحركة من زخم علمى وكتابات عن أفريقيا أصبح يعتقد تماما أن الأروبيين كان لهم الفضل بتعريف افريقيا لبقية العالم وتلت مرحلة الكشوف الجغرافية مرحلة إستغلال ثروات إفريقيا الطبيعية والبشرية . فبعد أن نهب الإسبان والبرتغاليون معظم المعادن من إفريقيا ! وخاصة الذهب والنحاس والمواد الخام لجأوا إلى تهجير شباب إفريقيا إلى الدنيا الجديدة للعمل كأيدى عاملة لإستطلاح الأراضى وتعميرها !!!وهكذا شهدت إفريقيا أحلك الفترات فى التاريخ.وهو العصر الذى إستغل فيه الانسان التقدم العلمى من أسلحة وذخائر فى إصطيادا الإنسان لأخيه الإنسان كأنه حيوان وقد لاقى الإفريقيون صنوفا من أنواع

العذاب والعنت من جراء تجارة الرقيق التى كانت وصمة فى جبين الإنسان الأروبى . وقضت هذه التجارة على كل مظاهر الإستقرار والأمن فى إفريقيا وحل الخوف والذعر محلها .

ثم أخذت جحافل الأوروبيين تتسابق نحو إفريقيا عند قيام الثورة الصنعية لأخذ البقية الباقية من ثروات إفريقيا ومواردها الخام . فكان التسابق الإستعمارى المحموم نحو إفريقيا وقد لعبت النزعة الإستعمارية دورا هاما فى إزكاء هذا التسابق وتحديد مناطق نفوذ الدول الأروبية - وخضعت إفريقيا إلى مواجهة جديدة من الغزو الإستعمارى !!! وقد قاوم الإفريقيون قدوم الأوروبيين إلى موطنهم منذ أول وهلة ، وقامت العديد من الثورات الوطنية وظهرت عدة بطولات إفريقية نادرة هنا وهناك ورغم ما لعبته هذه الثورات من دور فى تقليل الهيمنة الأروبية على إفريقيا وأوضحت للأروبيين أن أفريقيا مقبرة للغزاة ، فقد تم إستعمار الأوروبيين لإفريقيا وحاولوا القضاء على معالم الحضارة فيها وخاصة الحضارة العربية الإسلامية بدافع الحقد على المد العربى الإسلامى الذى كان قد إحتاج من أهالى شمال إفريقيا . وقد باءت محاولتهم نحو تنصير إفريقيا كلها بالفشل وإن نجحوا فى طمس معالم بعض الهويات الافريقية .

وقد جر الأوروبيون الأفريقيون إلى الدخول فى حربين عالميتين فى صراعهم مع بعضهم البعض . وكان الأفريقيون يحاربون فى جنب هذه أو تلك دون ـمصلحة لهم ولكن بعض الأراء ترى أن إندلاع هاتين لـلحربين ودعوات تقرير المصير وقيام منظمتى عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة ساعد معظم

الدول الأفريقية لكى تسعى للفكاك من قبضة الإستعمار في وقت إستيقظ فيه الضمير العالمى نابذا الحروب والسيطرة . ورغم أن موقف بعض الدول كان غريبا في فهمهما لمفهوم التحرر - كأن تدعى بعض الدول إن قضية المستعمرات لاينطبق عليها أحكام القوانين الدولية بحقوق تقرير المصير فإنها إنصاعت للضغوط العالمية وللوعى الأفريقى الذى أسفر عن حركة النضال لتحرير شعوب القارة من الإستعمار .

وبعد كفاح كرير نال الأفريقيون إستقلالهم إلا أن الحكومات الوطنية ووجهت بالمشاكل التى خلفها الإستعمار ومعظمها يتصل بالتخلف الإقتصادى والإجتماعي والثقافي وبذلت محاولات لحلها بتعاون الدول الأفريقية .

وحيث أن تاريخ إفريقيا الحديث ظل يشوبه كثير من الغموض . وأنه لم يكتبه الأفريقيون أنفسهم ، ومعظم ما كتب عنه كان بواسطة الأوروبيين ، ولقلة المصادر العربية التى تحدثت عنه فإنى رأيت أن أسهم بإلقاء الضوء على تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر بصفة عامة ، وهذه المحاولة هى تجميع لمعظم الآراء التى قيلت عن تاريخ إفريقيا بالإضافة إلى إعطاء مفاهيم جديدة ورد على بعض الآراء التى تقلل من قيمة تاريخ إفريقيا . والهدف من هذه الدراسة تمكين الطالب الجامعى من الإلمام بقدر وافر عن تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر وفتح الطريق أمام الذين يرغبون فى مزيد من الإطلاع والدراسة .

ويقع هذا الكتاب فى إثنى عشر فصلا كما هو موضح فى قائمة

المحتويات ، كل فصل يعالج قضية واحدة وقد ذيل بالمراجع التى يمكن الرجوع إليها لمزيد من الدراسة والإطلاع .

وختاما أتمنى أن يفى هذا الكتاب بالغرض الذى وضع من أجله ، ولايفوتنى فى المجال أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعد وأسهم فى إخراج هذا الكتاب بالصورة اللائقة والله ولى التوفيق .

د . فيصل محمد موسى

سبها – ديسمبر 1995 م .

الفصـــل الأول
قراءة فى بعض مصادر التاريخ الإفريقى الحديث

الفصل الأول

قراءة فى بعض مصادر التاريخ الإفريقى الحديث

لعل من أهم الأسباب التى جعلت تاريخ إفريقيا عموما والحديث منه خاصة يبدو غامضا ، هو أن ما كتب عن مصادره التى يعتمد عليها فى الدراسة غير كاف ، بل إن معظم الكتابات التى كتبت عنه لم تتم بأيدى الافريقيين أنفسهم وإنما كتبت بأقلام أجنبية ويبدو أن ذلك راجع إلى عدة أسباب أهمها :

أ- أن المؤثرات الخارجية قد لعبت دورا هاما فى جعل تاريخ إفريقيا مرتبط بها ومن هذه المؤثرات إنتشار الإسلام فى إفريقيا منذ وقت مبكر وأن أول الفتوحات الإسلامية وأهمها كان قد حدث فى إفريقيا ، عندما خضعت مصر للحكم الإسلامى فى بداية الدعوة الإسلامية ومنها تسرب إلى المغرب العربى وإلى السودان (بلاد النوبة آنذاك) .

ب - إن تجارة الرقيق التى شهدتها إفريقيا من قبل الدول الأوروبية أدت لإيقاف التطور الطبيعى لإفريقيا كما أن إفريقيا شهدت هجرة الآلاف من أبنائها إلى أوروبا وأمريكا الذين كان يعتمد عليهم فى مستقبل الأيام

جـ- إن حركة الكشوف الجغرافية التى شهدتها أوروبا أمتد أثرها إلى أفريقيا وأسهمت فى تعريف إفريقيا بالعالم الخارجى ، حيث كانت تسمى قبل ذلك (بالقارة السوداء) - ومهدت حركة الكشوف الجغرافية الطريق

أمام الرحالة والمغامرين الذين أرتادوا إفريقيا فيما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى .

د - إن التكالب نحو إفريقيا فى نهاية القرن التاسع عشر وما ارتبط به من إرتياد الشركات الأوروبية والمبشرين لإفريقيا إنتهى بتقسيم إفريقيا واستعمارها من قبل الدول الأوروبية وذلك للأستفادة من خيراتها الوفيرة .

هـ - إن الواقع الاستعمارى الذى فرض على إفريقيا فيما بعد القرن التاسع عشر قد أدى إلى قيام نظم حكم وافدة على إفريقيا أفضت إلى خلق نظم اقتصادية وسياسية مرتبطة بالاستعمار ، كما أدى إلى وجود أقليات صفوية مثقفة تشبعت بالروح الاستعمارية وتتكلم بالغة الأجنبية مما جعلها تبدو متعاطفة مع الإستعمار حتى بعد خروجه ، وذلك فى سبيل المحافظة على أوضاعها الإجتماعية والإقتصادية التى إكتسبتها إبان العهد الإستعمارى .

لكل هذه الأسباب رأيت أنه لابد من إلقاء الضوء على هذه المصادر وتصنيفها علها تساعد الباحثين فى الكتلبات التاريخية المتخصصة ومعرفة الخلفيات التى إنطلق منها كاتبو هذه المصادر وذلك حتى لايتأثر الباحث بما ورد فيها من أفكار قد تخفى بين طياتها غايات وأهداف أخرى .

أولا - كتابات الرحالة الأوربيين الذين زاروا إفريقيا فى الفترة الأولى من القرن التاسع عشر : -

وكان توغلهم فيها كأفراد إستفادوا من المساعدات التى مدتهم بها العناصر الإفريقية العربية حيث كان يوجد نفوذ عربى إسلامى فى معظم أنحاء إفريقيا ، ولم يكشف هؤلاء عن وجههم التبشيرى المسيحى فى بادىء الأمر وبعد أن قويت شوكتهم بدأوا فى تأليب العناصر الإفريقية ضد الإسلام والعروبة مثلما حدث فى بوغندا وجنوب السودان ونيجيريا وكينيا وهؤلاء الرحالة تمثلهم كتابات :

أ - صموئيل بيكر : *BAKER, SAMUEL PASHA. (1893-1821)*

وهو بريطانى الجنسية ، كان فى بادىء الأمر يعمل ضابطا إداريا فى بريطانيا ، ثم ترك العمل الإدارى ، وقام بمغامرات ورحلات إلى إفريقيا فى محاولة لإكتشاف منابع النيل وكان توغله عن طريق مصر إلى جنوب السودان وقد عاصره فى هذه الفترة الرحالين سبيك وجرانت ، أكتشف بعد رحلة مثيرة بحيرة ألبرت نياترا عام 1865. وعاد بعدها إلى أوروبا حيث نشر كتابا مثيرا عن مغامراته وقد سلط هذا الكتاب الضوء عليه . ولما رغبت الحكومة الخديوية فى مصر الإستعانة بخبرات الأوروبيين فى مجال إكتشاف منابع النيل وفتح الملاحة النيلية فيه فقد تمت الإستعانة به فى فترة الخديوى إسماعيل [x] وعينه الخديوى إسماعيل حكمدارا على جنوب السودان

(x) الجدير بالذكر أن تعيينه قد وجد إعتراضا من حكومة الباب العالى فى استانبول لتشككها فى نواياه الخفية .

وذلك لتحقيق غرضين :- اكتشاف منابع النيل وإيقاف تجارة الرقيق . وقد نجح نجاحا نسبيا فى مهمته إلا أن عدم تقيده بأوامر الحكومة المصرية أدى إلى الإستغناء عن خدماته ، وعاد إلى بريطانيا وكتب عدة مؤلفات عن رحلاته وعن فترة خدمته مع الحكومة المصرية وقد وجدت مؤلفاته إقبالا إذ أن المجتمع الأوروبى كان يود التعرف على مجاهل إفريقيا ، وأهم مؤلفاته كتابه (إكتشاف منابع بحيرة ألبرت نياترا) .

ب - ستانلى : *STANELY, HENERY MORTON (1904 - 1841)*

وهو أمريكى الجنسية جاب أواسط إفريقيا ووجد المساعدة فى تجواله من العناصر العربية وخاصة من الزعيم العربى الأفريقى التبوتب Tippu Tip إذ أن دخوله إفريقيا كان من جهة شرق إفريقيا من زنجبار ، وكان يمكن أن يقتل لحماقاته وإستعمال السلاح النارى لولا النجدات التى كان يتلقاها من التجار العرب . ثم بعد رجوعه إلى أوروبا نشر كتابات عن رحلاته أكسبته شهرة . وعندما إستنجد أمين باشا بأوروبا تم أختياره بواسطة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية لقيادة حملة إنقاذ أمين باشا فى المديرية المهدية الاستوائية بعد أن أصبح جنوب السودان معزولا عن العالم بسبب قيام الثورة المهدية فيه وإنقطاع الإتصال عن طريق مصر ، ثم بعد ذلك عمل مستشارا للملك ليوبولد ملك بلجيكا ، وهو مسيحى متطرف دعا الأوروبيين فى كتاباته إلى الدخول فى إفريقيا وانقاذها من العرب المسلمين ، وأهم كتبه رحلاتى فى أواسط إفريقيا .

جـ - شنايتزر (الألمانى المعروف بأمين باشا) : E. SCHNITZER

وهو ألمانى الجنسية ، عالم طبيعى ومكتشف تلقى تعليمه الجامعى فى ألمانيا .ثم زار مصر والسوادن عن طريق البحر الأحمر وزار سواكن و كسلا والقلابات ووصل حتى أبو حراز سنة 1864 ثم عاد إلى أوروبا وزار السودان مرة أخرى سنة 1868 وتوغل جنوبا حتى بحر الغزال ووصل حتى منطقة الزاندى حيث أكتشف نهرى لول والرول ,UELE ,ROHL فى أراضى الفراتيت . وفى مابين 1870 - 1875 م . زار الجزيرة العربية ومصر ، حيث تم أختياره رئيسا للجمعية الجغرافية الخديوية المصرية . وبقى فى برلين ما بين 1880 - 1886 حيث عكف على كتابة دراسات فى إفريقيا فى مجال تخصصه BOTANY . وعندما ذاعت شهرته عينه الخديوى إسماعيل باشا حاكما وفى فترة حكم المهدية كان حاكما على مديرية الأستوائية . وقد إعتنق الإسلام وسمى نفسه أمين باشا ثم إرتد . ولما سقطت الخرطوم على أيدى قوات الإمام المهدى وانقطع الإتصال بمصر عن طريق شمال السودان إستنجد بالدول الأوروبية لإنقاذه وكتب عدة مقالات مثيرة وفتح بذلك ثغرة كبيرة أمام القوى الإستعمارية الأوروبية التى أخذت موضوعه حجة للتدخل فى الجنوب ، وقد تسابق فيه كل من بلجيكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وكان الغرض الحقيقى هو إسقاط الحكم الإسلامى فى جنوب السودان والذى كانت تمثله دولة المهدية . لقى مصرعه فى أدغال إفريقيا أثناء محاولة هروبه فى مكان ما بشرق إفريقيا وقد ترجمت كتبه لعدة لغات ومن أشهر كتبه :

EMIN PASHA IN CENTRAL AFRICA.

ثانيا : – كتابات العسكريين الأوروبيين الذين أشتركوا فى عمليات الغزو الإستعمارى لإفريقيا والحملات القمعية لإخماد ثورات القبائل وتصفية الوجود العربى الإسلامى فى إفريقيا . وهؤلاء تمثلهم كتابات :

أ– شاليه لونج : SHALAIH, LONG :

وهو ضابط أمريكى الجنسية ولد فى ولاية مرى لاند ، وهو مسيحى متطرف ، هارب من الحكومة الفيدرالية الأمريكية إبان الحرب الأهلية ، فيما بين 1861-1865 . مارس مهنة الصحافة ، ثم زار مصر والتحق بخدمة الجيش المصرى 1870 وصحب غردون باشا فى رحلته إلى المديرية الإستوائية لمحاربة تجارة الرقيق وجاب معه معظم أنحاء السودان على ظهر الجمال ووصل حتى أوغندا وأكتشف إقليم البحيرات وخاصة بحيرة فيكتوريا . ثم عاد إلى الخرطوم وبقى مدة كتب فيها أحد كتبه بين فيه الوجه الأخر لغردون باشا المبشر . ثم توغل مرة أخرى فى منطقة الزاندى وتخلى عن خدمة الحكومة المصرية 1877 . ولما جاءت الحملة الفرنسية لاحتلال فاشودة سنة 1896 بقيادة مارشان كان شاهد عيان لكل أحداثها ومن أهم مؤلفاته كتابه (حياتى مع أربع قارات) :

My Life under four Continents

وكتابه (فى أواسط افريقيا باللغة الفرنسية)

La' Afrique Centrale, Paris 1988

ب – الميجور مكدونالد : (1862 - 1927) :

MACDONALD, SIR JAMES RONALD LESILE

وهو ضابط إنجليزى إلتحق بسلاح الهندسة الميكانيكية الملكى ، وقام بدراسة للطريق بين كينيا وأوغندا عندما قررت الحكومة البريطانية مد خطوط السكك الحديدية فيما بين 1882 - 1893 . وهو مسيحى متطرف عين محافظا لمحمية أوغندا البريطانية وذلك نظيرا للدور الهام الذى بذله فى فرض السيطرة البريطانية على أوغندا وتصفية الوجود العربى الإسلامى فيها والذى كانت تمثله قبائل (الباغندا) فى شمال غرب أوغندا ، كما أنه ساهم فى إخماد ثورة الجنود السودانيين فى أوغندا وقد كانوا يعملون مع أمين باشا فى المديرية الإستوائية قاد حملة التدخل فى جنوب السودان ووصل حتى جبال القون EL GON فى أراضى اللاتوكا . ثم عين بعد ذلك فى روسيا ثم حاكما على جزر المورشيس MAURITIUS 1909 . كتب عدة مؤلفات يفتخر فيها بدوره فى (فتح الطريق لرسل الحضارة والتمدن من المبشرين لنشر المسيحية فى إفريقيا وأهم كتبه :

" Soldiering and Surviving in British East Africa "

جـ – الجنرال ونجت باشا : *Wingate, Francis (1953 - 1861)* *Reginald*

عرف بأنه ضابط دخل خدمة الجيش المصرى وصار مديرا لقلم المخابرات المصرية فى الفترة ما بين (1886 - 1890) واستطاع من خلال منصبه أن

يحقق أهداف بريطانيا فى جمع أكبر قدر من المعلومات عن السودان أبان فترة المهدية وذلك تمهيدا لغزوه وقد بث عيونه حتى فى بيت خليفة المهدى نفسه ، وقد إشتراك معه فى هذا المنصب بعض المسيحيين الشوام أمثال نعوم شقير وإدوارد عطية . وعندما قررت بريطانيا التدخل فى السودان لإنهاء الحكم الإسلامى فيه بقيادة كتشنر كان ونجت باشا الساعد الأيمن لكتشنر وبعد إنتهاء دولة المهدية بمعركة كررى بأم درمان تعقب خليفة المهدى الذى إنسحب نحو الغرب ولحقه فى أم دبيكرات وقتله . وعند قيام الحكم الثنائى بين مصر وبريطانيا اختير حاكما عاما للسودان سنة 1899 وعمل فى هذا المنصب حتى سنة 1916 حيث عين بعد ذلك مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر وكانت غزة وسيناء تحت إشرافه ، وهو مسيحى متطرف من منطقة (درم) Durham بشمال إنجلترا . وكان فى كل عمله يستشير رجال الكنيسة ولايتخذ قرار إلا بموافقتهم . كتب عدة كتب عن مصر والسودان اعتمد فيها على ماتوفر لديه من معلومات ووثائق تحصل عليها بحكم منصبه وأهم مؤلفاته الهامة (المهدية والسودان المصرى) .

Mahadism and the Egyptian Sudan.

Lugard, Frederick (1945-1858) ***د - البارون ليوقارد***
Apinger

بدأ حياته ضابطا فى الجيش البريطانى واشترك فى حرب الأفغان -1880) (1875 ثم فى الحملة البريطانية على سواكن 1885. وبعد ذلك عمل كإدارى فى أوغندا ثم فى نيجيريا وقد لعب دورا هاما فى تصفية الوجود

الإسلامى فى بلاد الهوسا وطارد بقايا الفلانيين من أسرة عثمان بن فودى حتى مشارف السودان الشرقى ، كما إشترك مع مكدونالد أيضا فى إخماد ثورة الجنود السودانيين فى أوغندا . ويعتبر من أعظم الإداريين الذين عملوا فى إفريقيا إذ أنه واضع أسس الحكم الغير مباشر الذى طبق فى نيجيريا وكانت تجربته تجربة مثيرة إستفاد منها البريطانيون فى إدارة المناطق التى تشابه ظروفها نيجيريا مثل السودان وأوغندا . كتب عدة مؤلفات أهمها كتابه : (حكم الوصاية الثنائى فى إفريقيا البريطانية الإستوائية) .

The dual Mandate in British Tropicol Africa .

هـ - جسى باشا الإيطالى :

وهو من الإيطاليين الذين استخدمهم إسماعيل باشا فى السودان وقد سبق أن قام بعدة رحلات إلى السودان قبل تعيينه وعمل مع غردون باشا فى محاربة تجارة الرقيق وهو مسيحى متطرف لعب دورا خبيثا فى إغتيال سليمان الزبير وتصفية ثورته العربية الإسلامية فى بحر الغزال بعد أن أعتقل والده فى الإقامة الجبرية فى مصر . وقد أفتخر بأنه إستطاع أن يحقق مالم يستطع أن يحققه غردون وأهم كتبه (عشر سنوات فى إفريقيا الإستوائية) .

TEN YEARS IN TROPICAL AFRICA

ثالثا : - كتابات الإداريين الذين حكموا فى الفترة الإستعمارية وهم إما عسكريون أو مدنيون وأيضا كانوا شهود عيان على الأحداث وان كانت كتابتهم لاتخلو من العامل الشخصى فى الإطراء على أنفسهم إلا أنهم أوضحوا تجربتهم فى الحكم أثناء توليهم المسئولية . وهؤلاء تمثلهم كتابات:

أ - ثيوبولـــد . *THEOBOLD. A . B .*

وهو أحد الإداريين البريطانيين الذين عملوا فى مناطق متعددة فى إفريقيا وقد تخصص فى الكتابة عن تاريخ المهدية فى السودان وقد إعتمد على المعلومات التى توافرت له فى قلم المخابرات المصرية وفى الوثائق السودانية التى جمعت وأرسلت الى جامعة (درم) فى شمال انجلترا . وما كتب عن تاريخ المهدية فيه بعض المعلومات الصحيحة إذ أنه استقاها من مصادرها الأصلية ، كما أن كتابته جاءت موضوعية لأنه كتب بعد انقضاء فترة طويلة على أحداث المهدية وقد أخضع كتاباته إلى المنهج التاريخى البعيد عن الإثارة وإن كان فى بعض الأحيان لاتخلو من تقليل لحكم المهدية فى السودان ووصفه بأنه حكم « دراويش » وأهم مؤلفاته كتابه (The Mahadia 1885 - 1881)

ب - هـــارولد ماكمايكل *: MACMICHEAL, H. (SIR) **

وهو أيضا أحد الإداريين الذين عملوا فى مناطق مبتعدة فى إفريقيا إذ عمل فى نيجيريا ثم فى الهند وأخيرا فى السودان ، وخاصة فى مديرية

(×) أصبح رئيس للوزراء فى بريطانيا فيما بعد .

كردفان وجنوب السودان وأوغندا . وهو واضع سياسة جنوب السودان The Southern Sudan Policy ، القائمة على ركيزتين أساسيتين هما : إزالة الآثار العربية الثقافية فى جنوب السودان ثم تمكين الإدارة الأهلية القبلية والحكم الغير مباشر ، والهدف الرئيسى من سياسة جنوب السودان هو فصل جنوب السودان عن شماله وإلحاقه بالمستعمرات البريطانية لشرق إفريقيا (تنجانيقا وأوغندا) حيث أن بريطانيا قد وطدت نفوذها هناك . وهو مسيحى متطرف كتب عدة كتب أهمها كتابيه :

Arabs in the Sudan, The Anglo-Egyptian Sudan

رابعا - كتابات المبشرين الذين عملوا فى إفريقيا ، وقد كانت كتاباتهم تمثل تيارا ثقافيا هاما إذ أنها تدعو إلى نشر المسيحية فى إفريقيا بعد وصف المجتمعات الأفريقية وعاداتها وطباعها ومعتقداتها وتقاليدها والهدف منها تعريف المجتمعات الأوروبية والأمريكية بحالة إفريقيا وطلب الدعم منها لتمكين المبشرين من أداء رسالتهم (الإنسانية) كما أدعوا ، وقد تبارت الدول الأوروبية فى نشر مقالات هؤلاء المبشرين وكتبهم وأصبحت هناك دوريات متخصصة عن إفريقيا استمرت حتى بعد خروج المستعمر من إفريقيا وأهمها المجلات التالية :

1 - صحيفة جمعية شرق إفريقيا وأوغندا للتاريخ الطبيعى .

Journal of East Africa and Uganda of Natural History.

2 – صحيفة المعهد الملكى للانثروبولوجيا .

Journal of Royal Anthoroplogical Institute.

3 – صحيفة لفينجستون Journal of Rhodes Livingstone.

4 – مجلة لانيقريزا La Nigrizia Magazine .

5– مجلة إفريقيا Africa Magazine

وقد قام إيفانز بريتشارد وهو من علماء الطبيعة ومبشر ، بإعداد قائمة بيليوجرافية كاملة عن جميع ما كتب عن إفريقيا فى هذه المجلات وخاصة عن أوغندا والسودان .

خامسا : – كتابات كتبت حديثا عن إفريقيا وتنقسم إلى نوعين النوع الأول كتب بأقلام أوروبيين أو أجانب ، والنوع الثانى كتب بأقلام وطنيين أفريقيين . وهذه الكتابات بشقيها قد اعتمدت على المنهجية والموضوعية واعتمد كاتبوها على الوثائق الأصلية بشكل أساسى مما جعلها ذات أهمية ، وان كتابات الوطنيين قد حاولت إبراز الجانب الوطنى الأفريقى وبذلك فتحت أفاق جديدة للباحثين الجدد ومن كتابات النوع الأول :

1 – نعوم شقير (1863 - 1922) :

وهو سورى الجنسية من عائلة مسيحية أرثوذكسية تخرج فى كلية البروتستانت السورية (الجامعة الأمريكية فيما بعد) والتحق بخدمة الجيش المصرى واشترك فى حملة النيل مع هكس باشا سنة 1884 ، ثم فى

جميع الحملات العسكرية التى ذهبت إلى السودان ، ساعد على تهريب سلاطين باشا سجين الخليفة عبد الله خليفة المهدى سنة 1891 . وعند غزو الإنجليز السودان كان مسئولا عن القسم التاريخى والوثائقى فى قلم المخابرات المصرية الإنجليزية وكان الساعد الأمين لونجت باشا، عمل بعد المهدية فى جمع المعلومات حول النزاع بين تركيا ومصر حول سيناء ،ثم أعيد للسودان عند فتح ميناء بور سودان ، استخدمه الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى كمستشار للمعلومات الخاصة بمصر والسودان وتركيا . تعتبر كتاباته مراجع هامة إذ أنه اعتمد على الوثائق الأساسية وأنه تحرى الدقة فيما كتب ويعتبر كتابه (جغرافية وتاريخ السودان) والذى صدرت له أول طبعة سنة 1900 وأهم مرجع كتب عن السودان .

2 – سليجمان *SELIGMAN, CHARLESS GABRIAL*
(1940 - 1873)

وهو بريطانى الجنسية من أصل يهودى بدأ حياته باحثا فى مجال العلوم الطبيعية وتخصص فى الأنثروبولوجيا أخيرا . زار عدة أماكن فى إفريقيا ما بين 1890 - 1891 .وقضى وقتا كبيرا فى جنوب السودان وأوغندا ما بين 1915-1921 وبدعوة من الحكومة الدينية فى السودان كلف بالقيام بدراسات وافية عن أصول القبائل الإفريقية السودانية الوثنية ، وصدرت له بعد ذلك عدة كتابات فى هذه الدراسات وأهم كتبه القبائل الوثنية النيلية :

The Pagan Tribes of the Nilotic Sudan

وكتاب : The Races of the Pagan Tribes of the Sudan

3 – برايـــان .BRAYAN, M. A

وهو بريطانى الجنسية ، عالم انتروبولوجى ولسانيات ، تخرج من جامعة أكسفورد وزار مناطق عديدة فى إفريقيا وأجرى دراسات ميدانية على لهجات القبائل الأفريقية وأصبح من المتخصصين فى هذا المجال ويحاضر فى المعهد الأفريقى العالمى بلندن ، حضر للسودان سنة 1926 بدعوة من الحكومة البريطانية التى كانت تحكم السودان آنذاك وشارك فى الاعداد لمؤتمر الرجاف التعليمى الذى انعقد سنة 1928 ، وهو أول من فكر فى كتابة الإنجيل باللهجات الأفريقية المحلية . كتب عدة مؤلفات حول لهجات القبائل وعاداتها وتقاليدها ونشرها فى مجلة السودان فى مدونات ورسائل وفى مجلة إفريقيا ومن أهم كتبه :

Distribution of the Nilotic - Hamatic Languages of Africa

A Contribution to the Authropology of the Sudan

4 – ب . م . هولت .HOLT, P.M :

تخرج من جامعة أكسفورد بلندن زار أوغندا والسودان وعمل مديرا لدار الوثائق السودانية إبان العهد الإستعمارى ومن خلال منصبه وقف على جميع الوثائق السودانية والاثيوبية وخاصة فى فترتى حكم التركية والمهدية والحكم الثنائى ، وقد مكنه ذلك من أن يكتب كتابة علمية موثقة أقرب إلى الواقع وفيها كثير من الموضوعية ورغم أنه حاول أن يكون منصفا وغير متحامل على إفريقيا إلا أنه فى بعض الأحيان يكون متأثرا بتاريخ بلاده

وشعبه ومن أهم كتبه التي تعتبر مرجعا هاما لدروس تاريخ السودان .

The Modern History of The Sudan

5 – ريتشـــارد هل . *RICHARD HILL* :

وهو بريطاني الجنسية عمل إداريا في السودان وزار مناطق عديدة في إفريقيا وبعد عودته التحق بالمعهد الملكي للعلاقات الدولية بلندن ، وبعد توافر عدد كبير من الدراسات والتقارير التخصصية والوثائق عن إفريقيا والدول العربية قام بكتابات عميقة ومتخصصة اعتمد فيها على الوثائق في كثير من الأحيان وتناولت الشعوب الإفريقية خصائصها ومكوناتها واقتصادها ونظمها السياسية ومن أهم ما كتبه « تصنيف الوثائق العربية والأفريقية الموجودة بمكتبة جامعة درم » ، و « معجم السير الذاتية لبعض الشخصيات الهامة في مصر والسودان فيما بين 1951 - 1967 .

إفريقيا القارة المظلمة

هذا التعريف أطلقه الكتاب الأوروبيون على إفريقيا وفي بعض الأحيان أطلقوا عليها القارة السوداء وذلك لأنها حتى أوائل القرن السادس عشر لم تكن معلومة للعالم الخارجي ما عدا بعض سواحلها والأسباب التي دفعتهم لإطلاق هذا التعريف عديدة نذكر منها :

أ – لأن سكان إفريقيا كانوا أقواما سود البشرة .

ب – لأن إفريقيا ارتبطت بالتخلف والبعد عن الحضارة .

ج – لأنها لم تكن معلومة للأوروبيين قبل القرن السادس عشر .

ولكن هذه الأسباب إذا أخضعناها للتأمل والبحث التاريخي نجد أنها لاتطابق الواقع والحقائق التاريخية . فأما الإدعاء الأول أن أفريقيا يسكنها أقوام سود البشرة فقط فهذا غير صحيح لأن المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي زار إفريقيا سنة 457 ق . م . حيث أطلق وصف (بلاد البيضان) على الشريط الساحلي الأمامي لشمال إفريقيا ، بينما وصف (بلاد السودان) على الأقوام الذين يقطنون خلفهم والكلمة (أثيوبيا) معناها – ذوي الوجوه السمراء – أما الأقوام الذين سكنوا في ساحل إفريقيا الشرقي وهي بلاد الصومال الحالية فلم يكن لون بشرتهم أسود وإنما كانوا ولايزالون سمرا يميل لونهم إلى البياض . أما الإدعاء الثاني بأن اسم افريقيا ارتبط بالتخلف فهذا أيضا غير مطابق للحقائق التاريخية لأن أقدم الحضارات التي شهدها العالم قد نشأت في إفريقيا بل إن هناك أراء تجرى دراستها الأن بأن إفريقيا هي موطن الإنسان الأول . وأهم هذه الحضارات التي لازالت آثارها

تحير الباحثين هى الحضارة الفرعونية التى يرجع تاريخها الى 4500 سنة ق . م . وكذلك الحضارة النوبية أو الكوشية والحضارة الفينيقية وحضارات غرب افريقيا ، وقد امتد أثر هذه الحضارات إلى انحاء عديدة من العالم فالحضارة الهلينية الإغريقية تأثرت فى مظاهرها بالحضارة الفرعونية مثل عبارة الإله (سرابيس) وبعض الباحثين يرى أن هناك علاقة بين الحضارة الفرعونية وحضارتى الأزاتيك والمایاس فى مناطق أمريكا الوسطى وللمكسيك وبين الحضارة النوبية وحضارة الملاديف لأن اللغة والنقوش التى تستعمل عندهم هى نفس حروف اللغة المروية النوبية التى كانت سائدة فى شمال السودان . أما الإدعاء الثالث بأن إفريقيا لم تكن معلومة للأوروبيين قبل ذلك فهذا أيضا إدعاء غير موفق لإن إفريقيا كانت معلومة للعالم الخارجى منذ قديم الزمان . فقدماء المصريين والعرب كانت لهم معرفة بأجزاء عديدة من القارة الأفريقية فالنقوش تشير إلى أنه كانت هناك علاقات بين مصر وبلاد النوبة التى تقع جنوبا لها منذ عصر الدولة القديمة فى مصر 300 ق . م حيث ورد ذكر بلاد النوبة فى النقوش المصرية ، كما ورد أيضا ذكر إسم بلاد (بنت) - وهى الصومال حاليا - حيث كانت رحلات الفراعنة تسير اليها لإحضار البخور والتوابل والعطور وأخشاب الصندل والمنتجات الأفريقية . وتوطيدا لهذه العلاقات فقد عمل بعض الفراعنة على تنظيم الاتصال النهرى والبحرى مع بلاد النوبة وبلاد (بنت) سواء من طريق البر أو من طريق النيل والبحر الأحمر ومن أهم مظاهر هذه الصلات بين مصر وما ورائها من هذه الدويلات :

أ- أن الإنقسام والخلافات على العرش فى أواخر الأسرة العشرين وبسبب

تدهور الأحوال الاقتصادية والإجتماعية والسياسية فى مصر هاجر عدد كبير من المصريين للجنوب واستقروا ما بين الشلال الأول والرابع وكان لهم تأثيرهم على نظام الحكم فى تلك الأرجاء وقد نجح أحد ملك النوبة بدعم وتأبيد من هؤلاءالفارين من مصر فى غزو مصر وحكمها وكان هذا الملك يسمى (بعنخى) الذى وجدت لوحته فى أرض الدلتا وهذا هو بداية الأسر الحادية والعشرين . ثم خلفه من بعده ابنه (طهارقا) الذى واصل تدعيم حكمه فى مصر ومن بعده ابنه (تاتون) الذى طرد الحثيين من مصر . وكان للأثر المصرى وجوده فى فترة حكم دولة (نبته) ودولة مروى السودانيين وقد إستمرت دولة مروى حتى 350 ق . م حيث قضى عليها أكسوم الحبشى .

ب – ثبت من النقوش والرسوم أن لمصر علاقة تجارية بينها وبين البلاد المطلة على البحر الأحمر وشرق إفريقيا وقد إزدهرت هذه العلاقات فى عهد الدولة الحديثة ويذكر فى هذا المجال ان الملك (نيخاو) قد قام بحفر قنا تربط النيل بالبحر الأحمر ، كما أن رحلات سفن (حتشبسوت) إلى بلاد نت قدسجلت صورها على معابد (الدير البحرى) بالأقصر وفى معابد (فيلة) بالنوبة .

جـ – أنه كانت لمصر علاقات مع سكان الصحراء الغربية ومنطقة ليبيا حاليا، وقد كانت هذه العلاقات ذات طابع حربى فى معظم الأحيان فتشير النقوش المصرية إلى حملات الفراعنة لدحر هؤلاء الأقوام ، وقد تمكن أحد الملوك الليبيين ويدعى (شيشنق) من تولى السلطة (مؤقتا) تحت إسم الأسرة الثانية والعشرين .

د - ذكر المؤرخ الإغريقى هيـرودوت أن أحـد الفراعنة المصريين ولعله (نيخاو) قد أرسل فى القرن السادس ق . م جماعة من الفينيقيين وأتجهوا فى البحر الأحمر جنوبا وبعد غياب دام حوالى ثلاث سنوات عادوا لمصر من طريق البحـر الأبيض المتـوسط . فـإذا صـحت هذه الرواية فـهـذا يعنى أن الرحلات المصرية الفرعونية قد دارت حول القارة الأفريقيـة الأمر الذى لـم يتحقق للأوروبيين إلا فى القرن الخامس عشر الميلادى بعد أن أكتـشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح .

هـ - إهتم الفلكيـون والجغرافيون المصريون بأمر النيل منذ قديم الزمان وتتبع مجراه فـ (بطلينوس) الجغرافى المصرى اليونانى قد رسم خريطة للعالم القديم ووصف النيل وتتبع مجراه حتى مدينة مروى فى السودان كما وصف نهرى النيل الأزرق والأبيض وغير ذلك من المعلومات التى ذكر أنه إستقاها من مصدر أخر .

وكانت عبـادة النيل أحد العبـادات السـائدة فى مصـر القـديمة والنوبة . كما أنه كانت تجرى له إحتفالات (عيد فيضان النيل) كل عام وتقدم له القـرابين وقـد أنشـأ (مـقـيـاس النيل) جنوب القـاهرة عند الروضـة ولايزال مقياس إرتفاع النيل يعتمد عليه .

أما عن معرفة العرب بإفريقيا فإنه كانت توجد علاقات قديمة بين الطرفين وكان للعرب دور فعال ونشاط كبير فى شمـال إفريقيا ويقـال أن إفريقيا لفظ عربى نسبـة إلى (أفريقش بن بر) أحد ملوك اليـمن وهو أول من وصل إلى أرض إفريقيا ووجد بهـا قوما لايتكلـمون العربية فقـال (ما

أكثر بربرتهم) ولذلك أطلق على أهل افريقيا الشمالية بالبربر . كما كانت للعرب علاقات وطيدة بينهم وبين الحبشة والسودان إذ أنه كان فى بعض الأحيان يمتد حكم اليمنيين إلى بلاد الحبشة كما حدث فى زمن دولة حمير 110 ق . م – 305 ق . م . حيث امتد نفوذها إلى خارجها حيث هاجر جماعة من اليمنيين إلى أرض كوش لأغراض تجارية وأنشأوا هناك مستعمرات وصارت لهم جالية كبيرة وفى القرن الأول قبل الميلاد تمكنوا بمساعدة (أكسوم) الحبشى من التوغل فى أراضى السودان والقضاء على دولة مروى السودانية . كما أن هناك هجرات عربية وصلت إلى الشاطىء الشرقى من إفريقيا وأنشأت بعض المشيخات فقد التابعة لها وأمتد نفوذها حتى زنجبار .

أما فيما بعد الإسلام أمتد نشاط العرب غربا حتى الأطلسى ثم عبروا إلى شبه جزيرة (إيبريا) الأندلس ومن شمال إفريقيا امتد النفوذ العربى إلى غرب إفريقيا حيث انتشر الإسلام فى تلك الأرجاء وساهم التجار والرحالة العرب فى كشف مجاهل إفريقيا وبعد أن توطد الإسلام فيها زارها العديد من الرحالة العرب كأبى عبيد الله البكرى وابن بطوطة واليعقوبى والحسن الوزان – المسمى بليو الإفريقى LIO OF AFRICA. وقد وصفوا النفوذ العربى الإسلامى فى الإمبراطوريات الإسلامية التى كانت فى غانا ومالى والسنغال والكانم والهوسا وقد إستمرت هذه الإمبراطوريات مزدهرة حتى أوائل القرن السادس عشر **ومن المظاهر التى ظلت تربط إفريقيا بالعرب :**

أ – الحج إلى بيت الله الحرام ، حيث كانت قوافل التجار هى التى تنقل الحجاج إلى بيت الله الحرام وتعبر القارة من غربها إلى شمالها ومن

دواخلها إلى الأراضى المقدسة عبر الأراضى المصرية .

ب - *كان للعرب العمانيون علاقات مع الساحل الشرقى لإفريقيا* حيث كانت السفن الشراعية التى تسير بواسطة الرياح هى الوسيلة التى ارتاد بها العرب إفريقيا الشرقية وكان ارتيادهم لها بسبب التجارة بادىء ذى بدء ولكن بعد أن استقر بعض العرب فى هذه المناطق أوجدوا نفوذا عربيا فيها وتأثر بعض الزعماء الأفارقة بالعرب وأكرموا وفادتهم ، ثم امتزجت الدماء العربية بالدماء الإفريقية وانتشرت اللغة العربية وكان من نتاج هذا النفوذ أن نشأت مدن ذات حضارة راقية على طول الساحل الشرقى مثل كلوة - بمبا - زنجبار - ومقديشيو - وسميت هذه المدن بمدن الطراز الإسلامى لكثرة المساجد فيها وقد أعجب الرحالة البرتغاليون بما شاهدوه من المظاهر الحضارية فى هذه المدن بعد سيطرتهم عليها بعد إتمام حركة الكشوف الجغرافية .

أما عن تحديد بداية الفترة الزمنية لتاريخ إفريقيا الحديث فهناك عدة آراء مختلفة يمكن إيجازها على النحو التالى :

-رأى يرى أن نهاية القرن الخامس عشر الميلادى هو بداية التاريخ الإفريقى الحديث ، لأن إفريقيا بعد هذا التاريخ شهدت سقوط الدويلات الإفريقية والممالك الإفريقية التى كانت مستقلة ذات سيادة ، ودخلت إفريقيا مرحلة جديدة .

- رأى آخر يرى أن عام 1492 م هو بداية الأفريقى التاريخ الحديث لأن إفريقيا بعد هذا التاريخ شهدت ما يعرف بحركة الإسترداد المسيحى بعد

إنتهاء الحكم العربى فى أسبانيا وتزعم أسبانيا دور نشر الدين المسيحى فى إفريقيا . بإدعاء أن إفريقيا كانت تنتشر فيها الديانة المسيحية قبل دخول العرب إليها ، وقد تطلب هذا الإدعاء التدخل فى إفريقيا .

– رأى ثالث يرى أن القرن السادس عشر هو بداية التاريخ الحديث لإفريقيا إذ أنه بعد هذا التاريخ أصبحت إفريقيا قارة معلومة للعالم بعد قيام حركة الكشوف الجغرافية فيها وكتابة عدة مؤلفات عن هذه الرحلات الإستكشافية التى جعلت العلم الخارجى يعلم بأحوال إفريقيا ووضعها .

– رأى رابع يرى أن قيام الثورة الفرنسية هو بداية التاريخ الإفريقى الحديث لأن إفريقيا بعد هذا التاريخ شهدت ما يعرف بالدول الحديثة وظهور مفهوم القومية فى كثير من أرجائها بعد أن كانت القبلية هى السائدة فيها ، كما ربطت الثورة الفرنسية تاريخ أوروبا بإفريقيا . والأسباب التى دفعت بالأوروبيين للإهتمام بإفريقيا عديدة أهمها أنهم وجدوا فيها الخامات والمعادن التى تساعدهم فى تحقيق الثورة الصناعية التى إنتظمت فى أوروبا .

ورغم هذه الآراء المتعددة فإنه لايمكن تحديد فترة زمنية محددة للتاريخ الحديث نسبة لتداخل الفترات التاريخية فى إفريقيا وتباين مستواها الفكرى والثقافى ، فبينما نجد شعوبا تساير مجريات العصر الحديث نجد أن هناك شعوبا تعيش حالة التخلف البدائى ونحن على مشارف القرن العشرين .

أما عن المصادر التى يعتمد عليها دراسة التاريخ الإفريقى الحديث

والمعاصر فكما ذكرنا أن معظمها أجنبى ولذلك يؤخذ الحذر والحيطة فى إستقاء المعلومات منها لأن بعضها يخدم أغراضا أخرى ويحقق أطماع إستعمارية ونزعة صليبية حاقدة على العرب والإسلام .

أسئلة للمراجعة

1 – ماهى المؤثرات التى جعلت تاريخ إفريقيا يبدو غامضا ؟

2– تحدث عن نوعين من المصادر التاريخية التى كتبت عن تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، مع ذكر الأمثلة .

3– اكتب مذكرات تاريخية وافية عن :

أ – ونجت باشا .

ب – سليجمان .

ج – ليوقارد .

د – صومويل بيكر .

4– أطلق الأوروبيون على إفريقيا لفظ (القارة المظلمة أو السوداء) ، ماهى الأسباب التى استندوا عليها فى إدعائهم وإلى أي مدى صحة هذا الإدعاء حسب إستقراء الحوادث التاريخية .

5 – أكتب الآراء المختلفة حول تحديد الفترة الزمنية لتاريخ إفريقيا الحديث ؟

6 – تعتبر كتابات المبشرين الأوروبيين من الأهمية بمكان أكثر من غيرها من الكتابات لماذا فى رأيك ؟

صورة عامة لإفريقيا فى أواخر القرون الوســـطى

أ – الطرق التجارية فى غرب إفريقيا وأثرها

فى قيام وسقوط الممالك فى التاريخ الوسيط لإفريقيا

نسبة للعلاقة القوية التى تربط تاريخ إفريقيا الشمالية والغربية تبرز أهمية الطرق التجارية وما لعبته من دور فى قيام وسقوط الممالك فى إفريقيا قبل أن تشهد إفريقيا إتصالها بالعالم الخارجى فى التاريخ الحديث . وعند الحديث عن التجارة والطرق التجارية بين شمال إفريقيا وغربها لابد من تسليط الضوء على جغرافية غرب إفريقيا .فأقليم غرب إفريقيا معروف أنه يحد شمالا بالصحراء الكبرى وغربا بالمحيط الأطلسى وشرقا بمرتفعات تشاد ، كذلك عرف الإقليم من الشمال إلى الجنوب بمنطقة الصحراء الكبرى ومناخها جاف ولكن تخللها بعض الواحات المخضرة ذات المياه الوفيرة وأصبحت عبارة عن محطات سهلت فى كثير من الأحيان مهمة القوافل التجارية وأهم هذه الواحات واحة الفزان بجنوب ليبيا وواحة توات بجنوب الجزائر ومرتفعات أهير فى شمال نيجيريا ومرتفعات قات فى شمال نيجيريا ومرتفعات بلما شمال بحيرة تشاد . ومن الأماكن ذات الشهرة التاريخية مرتفعات تفازا حيث يوجد معدن الذهب والملح اللذان كانا من السلع الرئيسية للتجارة بين غرب إفريقيا وشمالها . أما الجزء الآخر من الساحل للمحيط فيسمى بالساحل وقد أطلق عليه هذا الإسم العرب لأنه كان بمثابة الساحل للمحيط بالنسبة للصحراء ويمتد مساحة 5 درجات وفيه تنتهى الصحراء ليبدأ إقليم السافنا ، وكانت القوافل التجارية ترسو عنده ويندر أن تتعداه جنوبا فتتفرغ القوافل حمولتها

فى مدنه ومن ثم تنقل إلى الجنوب وكذلك العكس ، ومن هذا تتضح أهميته لأنه يعتبر نقطة إلتقاء تجارى لتغيير البضائع وأدى ذلك إلى نشوء مدن وقرى أهلة بالسكان غنية بمواردها فيها كثير من مقومات الحياة مثل أودغست التى وصفها البكرى والاتا وتمبكتو بمالى وقاو من مدن الهوسا وكاتسينا وكانو ، ومن مدن البرنو نجيمى وبرنى ، وللأهمية الإقتصادية للساحل كانت الحكومات تحاول السيطرة عليه لأن التجارة هى عصب الحياة فيه. كان إخضاع الطرق لسيطرتها يعنى ضمان وصول التجارة إلى الداخل ، وكان فقدان السيطرة عليه فى كثير من الأحيان سببا فى سقوط حكم الممالك السودانية كغانا و مالى .

أما الأقليم الإساسى فى غرب إفريقيا فهو ما يعرف بالسودان ويقع بين خطى عرض - 10 - و - 0 - درجة شمالا وجنوبا ويمتد من المحيط إلى وادى النيل وشرقا وغربا . هذا الإقليم يطابق منطقة السافانا الجغرافية . ولفظ بلاد السودان تعنى البلاد التى يسكنها السود ، وعرفه بذلك الرحالة العرب القدامى بذلك للتعريف بينه وبين بلاد البيضان . وأقدم المصادر التى أشارت إلى هذا الإسم هو المؤرخ هيرودوتس الإغريقى حيث كتب فى القرن الثانى قبل الميلاد عما عرفوا بالأثيوبيين والليبيين ، وكان يعنى بالأثيوبيين ذوى الوجوه السوداء والليبيين ذوى الوجوه البيضاء لأن لفظة أثيوبيا معناها الوجوه المحروقة بلفحة الشمس . ويشمل هذا التعريف لكل السكان الذين يقعون فى هذا الاقليم ، ويقسم هذا الإقيلم إلى قسمين يفصل بينهما النيل فيقال للمنطقة التى تقع مابين النيل والبحر الأحمر والسودان الشرقى ومن النيل حتى المحيط السودان الغربى والمنطقة التى تقع بينهما السودان الأوسط . ومن الممالك التى نشأت فى السودان

الغربى هى غانا ومالى والسنغال والتى نشأت فى السودان الأوسط هى الهوسا والبرنو وفى السودان الشرقى وداى ودارفور وكردفان والمسبعات والفونج ، ولكثرة الإستعمال يطلق سكان شمال إفريقيا كلمة سودان على أى فرد قادم من جنوب هذا الإقليم إلى شمال إفريقيا فى حين أن معظم سكان السودان الشرقى من الأثيوبيين والأرتريين وعرب السودان ومما يثبت صحته إطلاقا إطلاق لفظ بلاد التكرور كاسم مطابق لبلاد السودان .

ويتميز إقليم السودان جغرافيا بأنه إقليم سهل منبسط مناخه سافنا ، ليس به مرتفعات كبيرة تعوق المواصلات فأهم مرتفعاته التى تعتبر كبرى هى مرتفعات فوتاتورو ، وفوتابولزو ، وفتاجالون ، ومرتفعات أصغر هى مرتفعات باوتش ، وأداماوا ، بين الكمرون والنيجر . ويخترق هذا الاقليم أنهار قليلة أهمها نهر النيجر الذى ينبع من مرتفعات غينيا ويصب فى المحيط جنوب نيجيريا ويخترق نيجيريا ، وأنهار السنغال وغامبيا والفولتا وفرعى النيجر بانى وبنوى ، ويعتبر أطول هذه الأنهار هو نهر النيجر وبعض أجزائه تصلح للملاحة .

أما الأخير فهو الأقليم الواقع جنوب خط عرض - 0 - درجة وصفته الجغرافية هى الطبيعة الإستوائية ويسمى إقليم الغابات الإستوائية فهو حار رطب وممطر معظم السنة يصعب اختراقه فيه كثير من الأوبئة والحشرات ، تسكنه قبائل أفريقية زنجية وقد شهد قيام ممالك إفريقية قديمة مثل مملكة (بنين) . وقد ظل هذا الاقليم بسبب طبيعته معزولا عن المؤثرات الحضارية التى انتشرت فى إقليم السودان وقد تم تسربها اليه من طريق التجارة ولم

تظهر له أهمية إلا بعد حركة الكشوف الجغرافية من طريق البحر حيث أصبح مستودعا لتجارة الرقيق .

ومن وصف أقاليم السودان يتضح عدم وجود حواجز طبيعية تمنع الإختلاط والإنتقال بين أجزائه وقد نتج عن ذلك قيام أكبر الإمبراطوريات الأفريقية فيه كامبراطوريات غانا ومالى اللتين تأثرتا بالمؤثرات العربية الإسلامية أكثر من غيرهما لوقوعهما جنوب الصراء وقد كان انتشار الإسلام فيهما من طريق التجارة منذ وقت بعيد . .فمتى بدأت التجارة بين شمال إفريقيا وجنوبها ، ولماذا لم تكن الصحراء فاصلا بين الجزئين ؟ ورغم ما يعرف بأن الصحراء تبدو حاجزا طبيعيا إلا أن الصحراء الكبرى لم تكن كذلك أى تمنع الإنتقال ، لأنها فى التاريخ القديم كانت تقع فى نطاق السافنا أى أنها كانت مخضرة وممطرة وبفعل الجفاف نشأت الصحراء ولكن وجدت فيها مناطق منخفضة فيها طبيعة جيولوجية خزنت كثير من المياه وأصبحت واحات مخضرة فيها آبار للمياه العذبة وتصلح للسكن وتتفاوت هذه الواحات فى حجمها وعدد سكانها فبعضها ضخم مثل واحات سيوة والداخلة والخارجة فى صعيد مصر ، وفزان فى جنوب ليبيا وتوات فى جنوب الجزائر وغيرها .

أما أقدم المصادر فتشير إلى وجود علاقات تجارية بين شمال إفريقيا وغربها فقد ذكر هيرودوتس أن الليبيين كانوا يغيرون على الأثيوبيين الذين تقع بلادهم جنوبا منهم . وأنهم كانوا فى حالات السلم يتاجرون مع أقوام

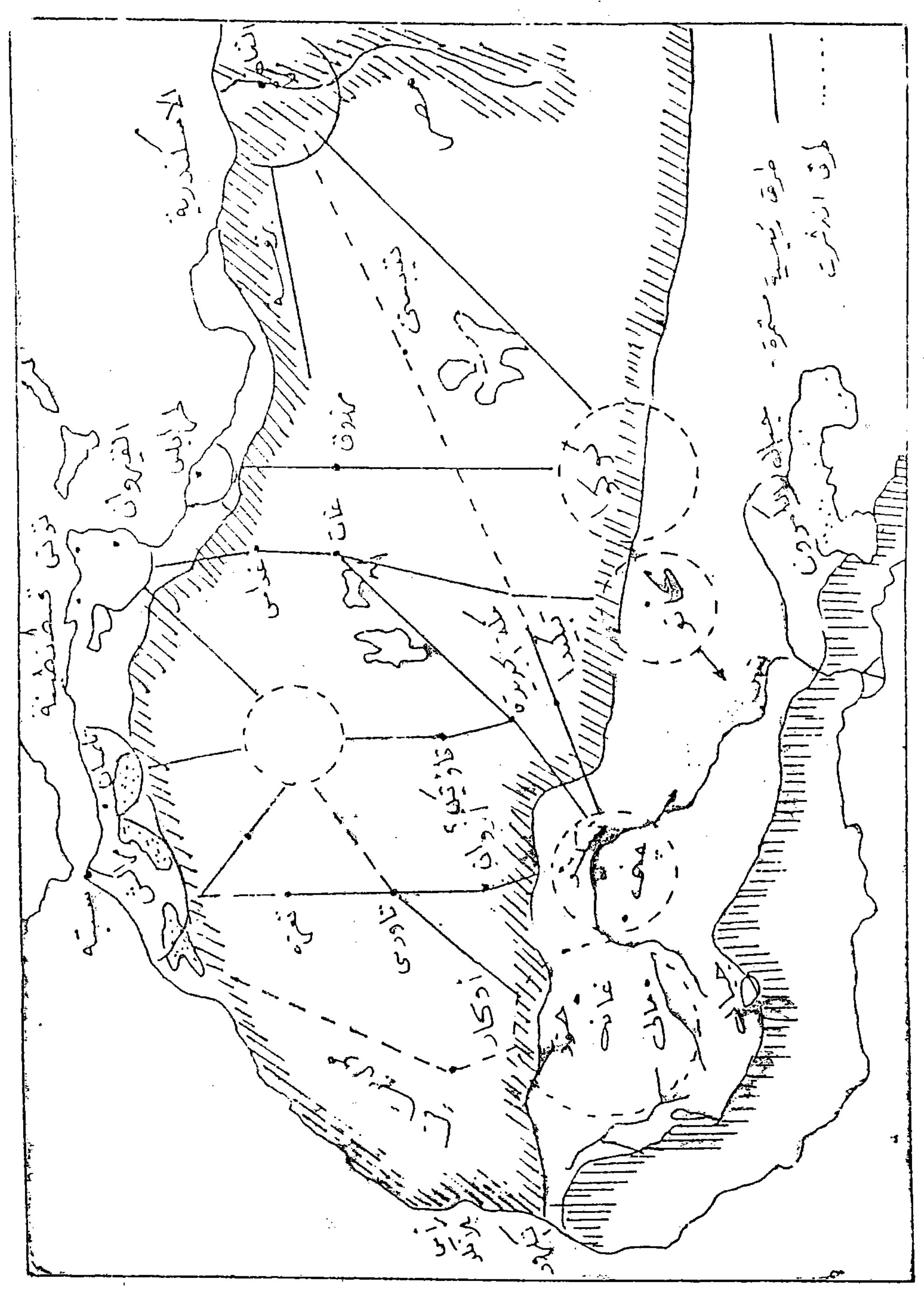

العلاقات العربية الأفريقية فى القرون الوسطى

سود لايعرفون لغتهم وكانوا يتبادلون معهم السلع فيما عرف بتجارة البكماء وسواء أكانت هذه العلاقات تجارية أم حربية فإن من المؤكد أنه كانت هنالك علاقات ، وقد وجدت فى النقوش آثارا واضحة على تلك العلاقات ، ويعتقد أن هذه العلاقات بدأت تأخذ طابعا منتظما فى القرن الرابع الميلادى . أما فى العصر الوسيط فقد أشار البكرى إلى (بلاد التبر) وعرف ملوكها بملوك الذهب ولعله أراد بذلك غانا إذ اشتهرت بعد ذلك بالذهب والتجارة فيه . ويرى بعض المؤرخين أن ثورة حقيقية حدثت فى تجارة الصحراء وذلك باستعمال الجمال ، والجمل حيوان آسيوى جاء لبلاد العرب ثم انتقل إلى مصر ومنها إلى شمال إفريقيا وغربها ونسبة للمؤهلات الطبيعية التى حباها به الله عز وجل من جفون وأرجل طويلة ذات أخف مشقوقة وأنف واسع وقدرته على تحمل العطش إذ أنه يخزن المياه فى جوفه ، وبه بدأ عصر ازدهار التجارة وتطورها . وقد ظلت الطرق التجارية عبر الصحراء هى المنفذ الأساسى والوحيد لبلاد غرب إفريقيا منذ القرن الرابع الميلادى وحتى القرن التاسع عشر ، وقد حاول الأوروبيين فى الإتصال بالساحل الجنوبى منذ القرن الخامس عشر من طريق البحر إلا أنهم لم يتمكنوا من استدراج التجارة إلى داخل القارة إلا فى القرن التاسع عشر وكان ذلك فى تجارة الرقيق ، أما قبل ذلك فقد ظلت الصحراء هى المنفذ الوحيد والأساسى لتجارة غرب إفريقيا ، وكانت التجارة هى الوسيلة الحضارية لإنتقال المؤثرات الحضارية من مصر أو شمال إفريقيا حيث انتقلت اللغة العربية والإسلام فى بادىء الأمر عن طريق التجارة ، وبما أن الصحراء كانت هى المنفذ الوحيد لغرب إفريقيا ما بين القرن الرابع الميلادى والقرن

الخامس عشر فقد أصبحت الطرق التى تشق الصحراء محدودة ومعروفة بطبيعة الحال وكانت هذه الطرق تصل بين نقطة وأخرى وتوجد عشرات المحطات فى كل طريق ومن كل طريق كانت تتفرع عدة مسالك ولايمكن حصر هذه الطرق ولكن **أهم هذه الطرق وأشهرها** :

أولا : – الطريق الغربى من سجلماسة كنقطة بداية تخدم كل المدن المغربية والتونسية الساحلية مثل فاس ومراكش وتلمسان ويسير جنوبا عبر تفازا حتى مدينة أودغست . وقد اشتهر هذا الطريق بتجارة الملح من دولة غانا وهى مدينة إفريقية مهمة وبعد اندثار واضمحلال غانا أصبحت نهاية الطريق عند والاتا .

ثانيـــا : – الطريق الذى يبدأ من غدامس كنقطة بداية تخدم كل المدن الليبية الساحلية مثل بنغازى وطرابلس ويمر جنوبا عبر مرتفعات غات ثم إلى فزان ومنها إلى مرتفعات أهير وينتهى فى بلاد الهوسا وفى فترة دولة مالى انقرضت والاتا وحلت محلها تمبكتو فوصلها هذا الطريق .

ثالثـا : – الطريق القادم من مصر عبر الواحات سيوة والداخلة والخارجة والكفرة ويسير إلى فزان حيث يتصل به الطريق القادم من بنغازى وطرابلس ويستمر عبر مرتفعات بلما ويصل إلى بلاد البرنو ووداى وتشاد .

رابعا:– الطريق الذى يبدأ من مصر عبر واحة عجيلة ثم واحة سيوة ويسير عبر واحة فزان إلى بلاد الهوسا .

خامســا : – الطريق الذى يربط مملكة وداى شرقـا بمصـر مـارا بكبى

حيث يتفرع منه طريق أساسى يتصل بطريق الأربعين الذى يربط السودان الشرقى بمصر ويسير محاذيا للنيل حتى مدينة أمبابة فى ضواحى القاهرة .

وقد صحب وجود هذه الطرق نشوء مدن آهلة بالسكان تتوافر فيها وسائل العبور والتنقل مثل سجلماسة - غدامس - سيوة . ومن هذه المدن ينتقل النشاط التجارى إلى المدن الداخلية فى الجنوب مثل والاتا - تمبكتو - و وداى - وغيرها ، ويصف البكرى هذه المدن وصفا دقيقا ويوضح أنها كانت تتمتع بثروات هائلة . ولم تكن القوافل تدخل المدن السودانية وإنما كان التبادل التجارى يحدث فى المدن الساحلية حيث يأخذ السودانيين البضائع إلى داخل بلادهم .

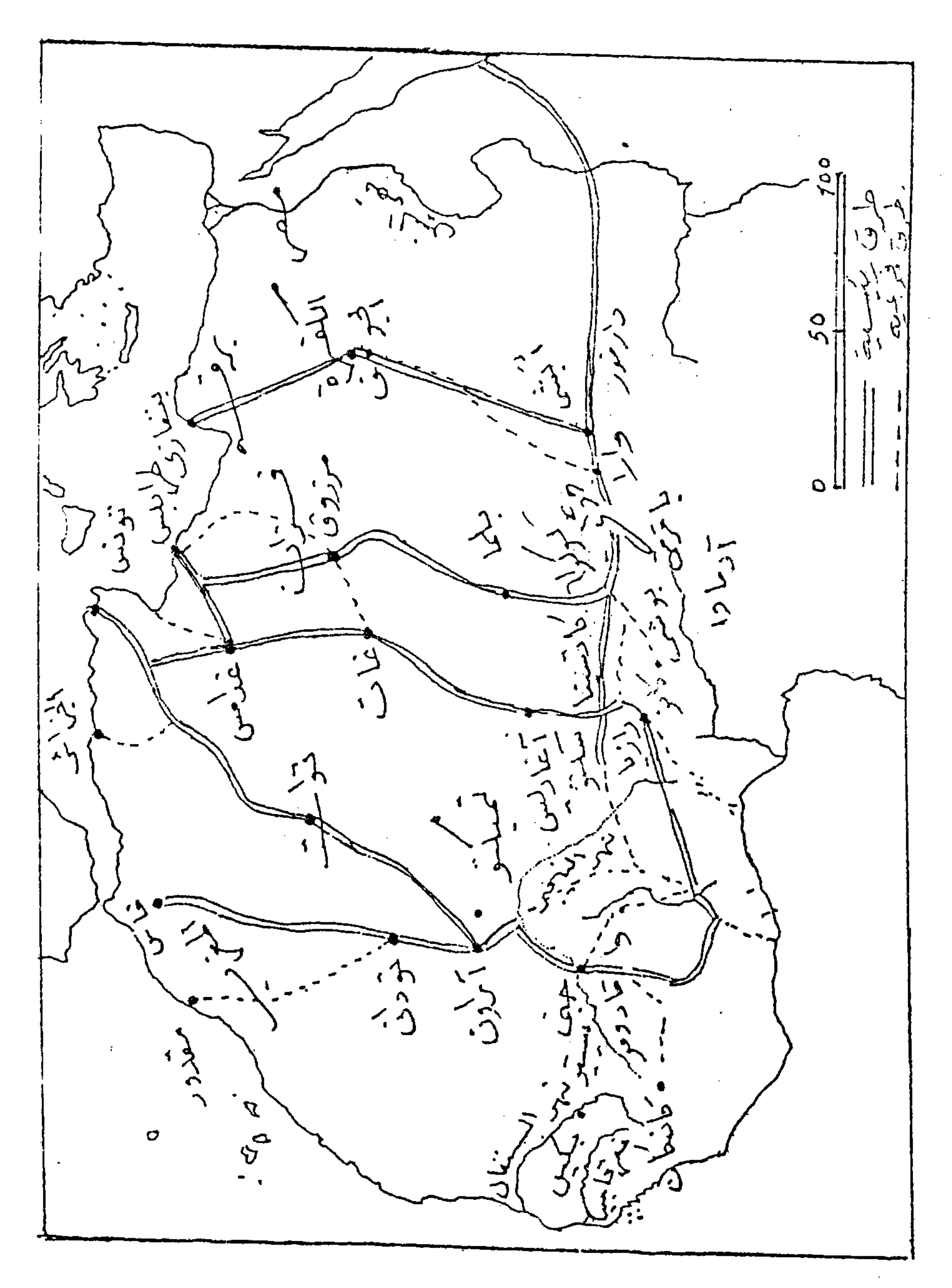

الطرق التجارية فى القرن الثامن عشر

ب – الممالك التي قامت في غـرب إفريقيـــا

وقد أدت حركة التجارة إلى قيام الإمبراطوريات التي تعاقبت على السودان وقد سميت بذلك لكبر حجمها **وأول هذه الإمبراطوريات** :

أ – إمبراطوريـــة غانـــا :-

إن أول من أشار اليها المؤرخ العربى البكرى وذلك فى عام 1068م حيث ذكر أنها تمتد فى المساحة الواقعة بين نهرى النيجر والسنغال وأنها تعتمد فى ثروتها على الذهب الذى جعلها وافرة الثراء وبفضله توسعت لتصبح إمبراطورية وأول ملك (كياماجا) أى ملك الذهب وفى زمن زيارة البكرى لها كان حكمها آنذاك (تونكانمين) والقبائل الحاكمة فيها من قبيلة السونينكى Soninke الذين توارثوا الملك فيها ، وبلغت أوج عظمتها فى القرنين الحادى عشر والعاشر ، وكان لها جيش مدرب روى البكرى أنه شهد استعراض الجيش وأن الملك حشد حوالى مائتى ألف محارب منهم أربعون ألف مسلحين بالقسى والحراب ، وأن عاصمتهم هى كومبى صالح . وقد كشفت بعثات الآثار مؤخرا عن بقايا خرائب مدينة كومبى صالح ، وفيها آثار إسلامية . ورغم أن ملك غانا كان وثنيا إلا أن معظم رجال بلاطه كانوا من المسلمين وكان للتجار العرب وضعهم واحترامهم ويبدو أن صلة غانا بشمال إفريقيا كانت صلة قوية حيث زار هذه المنطقة فى وقت لاحق بعض المعلمين المسلمين كما أن كل الكتاب العرب كاليعقوبى والغزاوى وابن حوقل قد ذكروها فى كتاباتهم . وقد أضمحلت فى أول القرن الثالث عشر لأسباب غير معلومة ولكن السبب الخارجى هو

أن المرابطين قد استولوا عليها وذلك فى عهد مولايا السلطان أحمد المنصور فى نهاية القرن الرابع عشر .

ب - امبراطورية مالـــى :

وإذا كان وجود غانا كوسيط للتجارة فلابد أن ينشأ مركز آخر يؤدى نفس الدور وكان ذلك الوسيط هو امبراطورية مالى التى نشأت فى القرن الثالث عشر وقد امتدت من جريبا على نهر النيجر حتى السنغال وشملت مساحة أكبر من غانا وأصبحت أكبر قوة سياسية فى غرب إفريقيا ويرجع الفضل فى تأسيسها إلى البطل الأسطورى عندهم وهو سندياتا Sundiata والذى جعل مالى هى عاصمة الحكم ، وشعب مالى هم الماندنجو Mandingo وقبل ظهور هذه المملكة كان التجار العرب قد بشروا بالإسلام فيها وكان أول من أسلم من ملوك هذه المنطقة قبل ظهور مالى هو ملك التكرور واسمه وارجابى بن سرابيس الذى حكم فى حوالى 1040 م . وسمى عاصمة ملكه تكرور نسبة إلى شعب التكرور . أما عن اسم مالى الذى نسبت إليه فهناك اختلاف فيه هل هو ملى أو مليل القرية الصغيرة التى صارت مالى فيما بعد .

أما الملك الذى أضفى شهرة لمالى هو ملكها السلطان موسى كنكن فى القرن الرابع عشر ، ولفظه منسى فى لغة الماندنجو هى الإمبراطور ، وقد اشتهر بأنه إلى جانب توسيع امبراطوريته أن عمل على نشر الإسلام فيها وأنه أول من حج من ملوك غرب إفريقيا وقد أخذت رحلته حيزا كبيرا من الشهرة إذ أنه قدم إلى الحج عبر مصر فى وفد كبير من الأتباع والخدم

يحمل معه أموالا طائلة ، وقد خصصت له مساحة من الأرض خارج القاهرة له ولحاشيته ، وقد قام السلطان موسى بتوزيع كميات كبيرة من الذهب على المسؤولين فى مصر والحجاز وقد كان تاريخ قدومه لمصر فى طريقه للحج عام 1307م . وقد وصف الرحالة العربى ابن بطوطة مالى وصفا دقيقا بعد زيارته لها وبقاؤه فيها ثمانية أشهر فى ضيافة ملكها وقد وصفها بالأمن والإستقرار والعدالة فى الحكم .

ج – *مملكة السنغاى* :

وقد كانت ولاية تابعة إلى إمبراطورية مالى وبعد وفاة الملك سليمان امبراطور مالى استقلت سنة 1336 م . وفى عهد الملك محمد اسكيا توسعت السنغال فى أراضى امبراطورية مالى التى بدأت تضعف ، وفى بداية القرن السادس عشر كانت مملكة السنغال تضم معظم غرب إفريقيا إذ كانت تحد شمالا بمناجم الملح الهامة على تخوم الجزائر فى الصحراء ، وشرقا حتى أغاديس الموصلة إلى تونس وطرابلس ، وغربا وجنوبا حتى بلاد الهوسا وقد امتازت السنغال بحسن الإدارة والتجارة وكان للعلماء فيها وضع مميز ، وقد وردت اخبارية فى كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان (x) وفى رحلة ابن بطوطة ، حيث وصفا مكانتها التجارية وعاصمتها جاو كما أشاروا إلى

(x) هو الحسن بن محمد الوزان الزناتى ، نشأته فاس وكان يعمل فى بلاط سلطان مراكش ، قبض عليه قراصنة البحر فى صقلية وسلموه للبابا ليو العاشر وعمد واعتنق المسيحية وعرف بليون إفريقيا Lion of Africa

شجعه البابا بكتابة مؤلف عن إفريقيا وسمح له بزيارتها وكتب مؤلف وصف إفريقيا زار السنغال وأعجب بها .

مكانة تمبكو العلمية التى كانت بمثابة جامعة عامة تدرس فيها العلوم الدينية والشرعية واللغة العربية والأدب العربى ويقوم بالتدريس فيها أساتذة زائرون من القاهرة أو من فاس بالإضافة إلى علمائها المحليين .

مملكـــة الهوســــا :

وبين برنو والسنغال فى حوض النيجر الأعلى تقع منطقة الهوسا وهى منطقة خصبة وكانت محل تنافس من جيرانها من الممالك الكبيرة إلا أنها لم تخضع لسيطرة أى منها ، وفى نهاية القرون الوسطى نشأت فيها بفضل الإستقرار العديد من المدن الهامة التى ربطت بين التجارة والنفوذ مثل دورا وجبير وكانو ورانو وكاتيسنا وزازيا واشتهرت هذه المدن بأنها مدن حصينة شبيهة بالمدن الإقطاعية التى نشأت فى أوروبا وكان حكامها الأوائل من البربر الإفريقيين حيث كان نظام الوراثة فى الحكم من طريق الأم ولغتهم هى لغة إفريقية ، ويرى بعض علماء اللغات أن فيها بعض الكلمات التى ترجع إلى أصل لغة (التيفبناغ) وهى لغة الطوارق فى شمال غرب إفريقيا وجنوب ليبيا .

والهوسا ليسوا قبيلة واحدة أو عدة قبائل تنحدر من أصل واحد ولكنهم مزيج من عدة قبائل تكونوا عبر العصور من عدة أعراق والرابطة التى تربط بينهم هى لغة الهوسا والمصالح المشتركة ولكنهم رغم ذلك لم يكونوا أمة واحدة نسبة لنزوعهم للروح الإستقلالية . وعرف الهوسا بأنهم زراع مهرة كما عرفوا بمهارتهم فى الصناعات اليدوية وأهمها صناعة صهر الحديد واستخلاص الذهب ودباغة الجلود وصناعة النسيج ، كما أنهم كانوا

يمارسون التجارة مع جيرانهم وكانت مدنهم مراكز للتجارة حيث تقع على طرق القوافل التجارية القادمة إلى غرب إفريقيا والخارجة منه . وعندما تدهورت مدينة السنغال نتيجة الغارات المغربية من مراكش فى نهاية القرن السادس عشر تحول طريق التجارة الرئيسى إلى شرق اقليم الهوسا المتاخم إلى وادى واشتهرت فيه مدن هامة مثل كانسينا التى أصبحت أهم مركز تجارى وثقافى ، وبسبب سيطرة الهوسا على التجارة فقد امتد نفوذهم إلى عدة مدن أخرى وبدأوا يكونون مستعمرات إذ أن لغتهم صارت لغة التجارة والمعاملات وكما حدث فى المناطق الأفريقية الأخرى فإن الإسلام انتشر أيضا فى إقليم الهوسا وأول دخوله كان فى كامو من طريق اللاجئين من العرب فى القرن الرابع عشر ولكنه توغل بخطوات بطيئة ولم ينتشر الإسلام فى المنطقة إلا بعد جهاد الغلانيين بعد سنة 1804 تحت قيادة الشيخ محمد بن نودى فمن هم الفلانيون .

إن الفلانيين شعب لم يتضح أصله إذ أن هناك أراء متعددة حوله ولكن المؤكد أنهم يتمتعون بذكاء حاد ونسبة الدماء غير الزنجية عالية بينهم وكانوا مستقرين فى بادىء الأمر على شواطىء نهر السنغال فى الأجزاء الشمالية على أدنى مجراه . وهناك من الآراء من ينسبهم إلى الطوارق ويبدو أنه عندما تكاثر عددهم خرجت موجات منهم نحو مجال زراعى ورعوى أوسع إذ أنهم ربطوا بين حياة البداوة والزراعة ووصلوا فى تجوالهم حتى بحيرة تشاد فى حوالى القرن الثالث عشر وفى أواخر القرن الثامن عشر قاد

الشيخ عثمان بن نودى ثورة دينية إصلاحية لإحياء الإسلام فى غرب إفريقيا وابعاد الشوائب التى بدأت تعلق به وقد شملت ثورته كل بلاد الهوسا ووجدت تجاوبا عظيما حتى عمت كل نيجيريا .

مملكة بنين :-

فى محاولتنا للتعرف على مراكز الحضارة فى غرب إفريقيا فإن المعلومات التى وصلتنا من سواحل غينيا وإقليم الغابات بصفة عامة قد وصلتنا من الرحالة الأوروبيين الذين قاموا برحلاتهم البحرية لغرب إفريقيا وهناك أربعة ممالك كانت تبعد فى هذه المناطق الاستوائية وهو الأيو وشعبها من اليوربا ، وبنين وشعبها من الأيدو ، أما داهومى فتقع إلى الغرب قليلا من نيجيريا الحالية والمملكة الرابعة وشعبها الأشانتى . وأهم هذه الممالك مملكة بنين التى قضت عليها وعلى حضارتها تجارة الرقيق وتدهورت هى ومملكة الأنيو فى اوائل القرن الثامن عشر وعندما حارب الأوروبيون تجارة الرقيق كانت أراضى بنين منطلقا إنطلقت منه الجيوش الأوروبية إلى الأشانتى والداهومى وقد ورد ذكرها فى الوصف الذى كتبه الرحالة البرتغالى بربرا .

وقد تأثرت هذه الممالك الأربع بعمليات تجارة الرقيق إذ يقدر عدد الإفريقيين الذين رحلوا ما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر من هذه المناطق ما بين 15 إلى 20 مليون نسمة إلى أمريكا وأوروبا ومعظم هؤلاء المرحلين كانوا من الشباب وقد أخذوا للعمل فى حقول التبغ وإستصلاح الأراضى فى أمريكا الوسطى لزراعة قصب السكر والقطن والذرة الشامية .

أسئله للمراجعة

1- تحدث عن جغرافية شمال وغرب إفريقيا بإختصار ؟

2- ماهى الطرق الرئيسية التى كانت تربط شمال إفريقيا بغربها . إرسم خريطة توضيحية لذلك ؟

3- تحدث عن مملكة مالى ، السنغال ، غانا ، موضحا قيامها وسقوطها ومشيرا إلى مراكز الحضارة فيها ؟

4 - أورد ما ذكره الرحالة العرب عن (غانا) فى أوج عظمتها وكيف أنتهت ؟

5- لعبت الطرق التجارية دورا هاما فى قيام وسقوط بعض المدن التجارية والممالك . ناقش ؟

6- لم تكن الصحراء الكبرى حاجزا يمنع الإتصال بين شمال وغرب إفريقيا . ناقش ؟

7- لماذا كانت الممالك الإفريقية الساحلية فى غرب إفريقيا غير معلومة للعالم الخارجى مثل مثيلاتها فى داخل ووسط غرب إفريقيا ؟

الفصـــل الثـــالث

حركة الكشـوف الجغرافية الأوروبية فى إفريقيا فى القرن السادس عشر

الفصل الثالث

حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية فى إفريقيا فى القرن السادس عشر

كانت علاقة الأوروبيين بإفريقيا قبل القيام بحركة الكشوف الجغرافية فى القرن الخامس عشر مقتصرة على معرفة قليلة عن السواحل الإفريقية ولم تكن الأجزاء الداخلية لإفريقيا معلومة لديهم لأنه كانت هناك عدة عوامل جغرافية لم تمكنهم من التوغل إلى إفريقيا نذكر منها :

أ - عدم صلاحية بعض السواحل الإفريقية للملاحة حيث تقل فيها الرؤوس والخلجان .

ب - عدم وجود جزر كبيرة فى المحيطات تساعد على استمرار الرحلات الكشفية وتكون بمثابة محطات للوقود وتجديد للنشاط والتزود بالمؤن الغذائية فإذا قارنا جزر إفريقيا بجزر آسيا وأوروبا نجد أنها قليلة العدد وصغيرة الحجم ما عدا جزيرة مدغشقر فهى واسعة ولكن تيار موزمبيق جعلها منعزلة عن إفريقيا .

ج - إن الأنهار التى تساعد على النفاذ إلى داخل إفريقيا هى أنهار سريعة الجريان ولايصلح معظمها للملاحة النهرية حيث تكثر فيها الجنادل والنتوءات والتعاريج وتتفرع منها أنهار صغيرة أخرى .

د - إن عامل المناخ الإستوائى جعل الأوروبيين يتخوفون من التوغل إلى الداخل ومعروف أن رداءة الطقس الإستوائى والمدارى لاتتناسب والأوروبيين الذين تعودوا على الطقس البارد .

هـ - لقد كانت فى إفريقيا فى تلك الفترة بعض الأمراض الفتاكة كالملاريا والجذام ومرض النوم ومرض ذبابة التسى تسى وغيرها ولم تكن طرق معالجتها قد أكتشفت بعد .

لكل هذه الأسباب فقد تأخر دخول الأوروبيين إلى الأجزاء الداخلية ولكن بعد التقدم العلمى وزوال بعض هذه الأسباب شهدت إفريقيا حركة الكشوف الجغرافية والتى يمكن تقسيمها إلى نوعين :

أولا : - الكشوف الجغرافية الأوروبية الأولى وهى ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر وقد إقتصرت على إكتشاف السواحل الإفريقية والطرق البحرية دون التوغل إلى الداخل وكان الهدف منها إكتشاف الطريق البحرى الموصل إلى الهند والشرق الأقصى وذلك تفاديا للطريق الذى يمر بالأراضى العربية والبحر الأحمر .

ثانيا : - الكشوف الجغرافية الأوروبية الثانية وهى ما بين القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر وقد إهتمت الدول الأوروبية بالتوغل إلى دواخل إفريقيا واكتشاف مجارى الأنهار فيها وروافدها ومنابع النيل . وقد توافرت عدة عوامل للقيام بهذه الحركات نذكر منها :

1 - العامل الإقتصادى :

وهو من أهم العوامل التى دفعت بالأوروبيين نحو الكشوف الجغرافية عن تلك البلاد المجهولة لديهم والطرق البحرية الجديدة التى تربط أوروبا بالهند . فقد كانت تجارة الشرق لاتصل إليها إلا بعد أن تمر بعدة إحتكارات ترفع

أسعار السلع وتجعلها فى بعض الأحيان نادرة إذ كان التجار يدفعون رسوم جمركية فادحة فى معظم الموانىء التى ترسو فيها السفن مثل جنوة والبندقية وموانى سوريا ومصر والبلاد العربية وحلا لهذه المشكلة فإن الكشوف الجغرافية تحقق هدفين أولهما :

التخلص من إحتكارات تجار البندقية وجنوة والوصول إلى أسواق الشرق مباشرة .

وثانيهما : البحث عن طرق بحرية أخرى لاتقع تحت سيطرة مصر أو الدولة العثمانية أو اليمن .

2 - *العامل الدينى* :

وهو دافع قديم نشأ منذ العصور الوسطى وكان سمة من سمات الصراع بين الشرق والغرب وبين الإسلام والمسيحية ، فبعد أن إستطاعت أوروبا اصليبية دحر المسلمين من أسبانيا فكرت فى شن حملات إنتقامية تعقبية للمسلمين فى شمال افريقيا بقصد تأمين عدم تكرار تهديدهم لأوروبا . وأيضا كانت تصلهم معلومات بأن هناك مناطق فى العالم لم تصلها أى دعوة سماوية فخوفا من إنتشار الإسلام فيها رأى الأسبان على وجه الخصوص ضرورة القيام بحملات إستكشافية بنية نشر المسيحية فى مناطق جديدة مثل إفريقيا وقد تزعم هذه الحملات الأمير هنرى الملاح سنة 1415 إستجابة لوصية والده وصرح أن هدفه هو الوصول لأسواق الهند والشرق الأقصى والوصول إلى مملكة القديس (يوحنا) فى الحبشة . وقد كان الأوروبيون يسمعون عنها من الرحالة ويأملون فى التعرف عليها لكى

يتخذوها قاعدة تنطلق منها جحافلهم إلى بقية أجزاء إفريقيا وأسيا وتطويق الوطن العربى بحزام واق يحول دون إنتشار الإسلام فى بقية أجزاء إفريقيا وأسيا خاصة وأن التجار العرب كانوا يحتكرون تجارة الشرق القادمة إليهم .

3 – العامــــل العلمـــى :

وهو يتصل بالرغبة فى التجديد ومعرفة اراض جديدة خاصة بعد أن توافرت معلومات علمية عن بعض المسائل التى كانت تشغل أذهان المفكرين وكانت مثار جدل مثل كروية الأرض ودوران الشمس حول الأرض وإحاطة الأرض بالماء من كل الجوانب ، كما وجدت بعض الوسائل العلمية نحو تحقيق رحلات علمية ضخمة فى البحار مثل إنشاء السفن الكبيرة ذات الأربع صوارى واكتشاف البوصلة لتحديد الإتجاهات والاسطرلاب الذى يساعد فى التعمق فى معرفة حركة الكواكب والنجوم والأنواء ، هذا بالاضافة للتقدم العلمى فى مجال الرياضيات والفلك والملاحة البحرية ورسم الخرائط والمصورات الجغرافية .

وأهم الكشوف الجغرافية الأوروبية تنسب إلى دولتى أسبانيا والبرتغال لإرتيادهما لها ورعاية ملوكها لها .

الكشوف البرتغالية الأوروبية لإفريقيا :

يمكن تقسيم الكشوف البرتغالية لإفريقيا لثلاث مراحل . المرحلة الأولى من(1394 - 1460) ، وهى المرحلة التى بدأها الأمير هنرى الملاح وكان

كاثوليكيا متعصبا تعهد بنشر المسيحية فى شمال إفريقيا وفكر بربط شمال إفريقيا وغربها بمملكة القديس (يوحنا) فى الحبشة وقد وفر لهذه الحملات كل الإمكانات وقادها بنفسه حيث إستطاع أن يحتل مدينة (سبتة) فى المغرب العربى ومنها بدأت رحلاته التى أنتهت بإكتشاف جزر الماديير والأزوار والكنارى فى المحيط الإطلسى . وبعدها واصل المكتشفون رحلاتهم إلى ساحل إفريقيا الغربى وهى مناطق السنغال وغامبيا وأقاموا فيها قلاع وحصون لخدمة أغراضهم التجارية والإستعمارية ومن القلاع التى شيدوها : -

- حصن أرجيتوم Argitum - قبالة الرأس الأبيض .

- حصن سروتومى Sro- Tome فى الجزيرة التى عرفت فيما بعد بهذا الأسم فى خليج غينيا . وتطبيقا لمبادئه إهتم الملك هنرى بنشر المسيحية فى تلك الأرجاء فقد كانت الروح الصليبية مسيطرة عليه ونظرا لأن مشروعاته تحتاج لمال وفير رأى أن يسعى للحصول على النفقات التى تساعده على ذلك فكان لجوءه إلى إقتناص الرقيق والإتجار بهم وبذلك كان أول من فتح بابا يدر أموالا لحكومته ويستطيع بها إنشاء حكومته البرتغالية . وفى سنة 1441 ، تم إحتلاله لميناء (لواندا) فى أراضى الكونغو وأنشأ فيها حصنا قويا ، وقد ارتبط اسم (لواندا) فيما بعد بتجارة الرقيق وصارت نواة لمستعمرة أنجولا البرتغالية المسيحية . وفى سنة 1460م . توفى الأمير هنرى الملاح .

أما المرحلة الثانية فهى التى تقع ما بين (1462 - 1480) م :

وقد استمر الملك جون الثانى (يوحنا الثانى) فى مواصلة ما بدأه الأمير هنرى فأرسل بعثة سنة 1462 من طريق البحر إلى ليبيريا ومنها إلى ساحل العاج وساحل الذهب وقد استعان البرتغاليون فى مواصلتهم بتلك المعلومات التى كان قد دونها العرب عن تلك البحار ومن وصف طبيعة إفريقيا . وقد توقفت جهود البرتغاليون فيما بين 1475 - 1479 بسبب قيام الحرب بينهم وبين الأسبان ، ثم استؤنفت الرحلات مرة أخرى فى عام 1487 عندما أرسلت بعثة برئاسة الملاح برتليمو دياز Barth- Olameo Diaz وقد سار حتى خليج (ألجو) Algo وقد سماه خليج الزوابع لكثرة الزوابع فيه والتى أعاقت سير السفن لمدة طويلة ولكن الملك سماه خليج (رأس الرجاء الصالح) لأن وجود الريح فيه بعث الأمل فى معرفة الطريق البحرى المؤدى إلى الهند .

المرحلة الثالثة (1492 - 1515) :

وقد شهدت هذه المرحلة فى بدايتها أكتشاف رأس الرجاء الصالح ، ثم الدوران حول إفريقيا ومنها إلى الهند ، وكانت البعثة التى قامت بهذه المهمة بقيادة الملاح فاسكو دى جاما Vasco De Jama . الذى عبر رأس الرجاء الصالح ثم إلى الهند . وقد ساعده فى إرتياد هذا الطريق الملاح العربى أحمد بن ماجد الذى كان قد سلك هذا الطريق الملاح العربى أحمد بن ماجد الذى كان قد سلك هذا الطريق من قبل وله دراية بركوب البحر وقد كتب عدة مؤلفات فى وصف هذه المنطقة ، وقد كان لإكتشاف

فاسكودى جاما هذا أثره الكبير فى إحداث تحول فى إقتصاديات العلم الإسلامى حيث انتقل النشاط التجارى الأوروبى عبره ولم يعد للطريق البحرى والطريق الذى يمر بالبحر الأحمر أهمية ، واستطاع البرتغاليون عبر هذا الطريق فى نهاية هذه المرحلة من الوصول إلى ساحل شرق إفريقيا والهند وأصطدموا بوجود السلطات العربية الإسلامية فى شرق افريقيا مثل سفالة وكلوة وعبسا ومقديشو . وقد وجدوا مقاومة عنيفة فيها ، وبعد قضائهم على هذه المقاومة أنشأوا الحصون والقلاع فى موزمبيق سنة 1507 واستقروا فيها ومنها وصلوا إلى المجاورة لها ، كما عينوا (البوكيرك) - Bockirk - وهو إستعمارى معروف بكراهيته للعرب والمسلمين حاكما على الهند وشرق إفريقيا وقد قام البوكيرك بتأمين سواحل البحر الأحمر والخليج العربى حيث أقام فيها نقاط مراقبة تجارية ثابتة ، وبهذا الكشف استطاع البرتغاليون السيطرة على تجارة الشرق الأقصى والإنطلاق فى توسعاتهم الإستعمارية إلى الشرق الأدنى فوصل نفوذهم حتى سنغافورة وجاوة والهند الصينية .

الكشوف الأسبانية :

كان للإسبان دور بارز فى أوائل حركة الكشوف الجغرافية الحديثة ولكنهم لم يلعبوا دورا هاما فى الكشوف الإفريقية وذلك لعدة أسباب أهمها (إنشغالهم فى تصفية العرب من الأندلس ثم تعقبهم إلى خارجها) إلى جانب عدة أسباب تتصل بتكوين أسبانيا نفسها مثل :

1- بقيت أسبانيا مدة من الزمن مقسمة إلى ممالك صغيرة ولم تستكمل

وحدتها إلا بعد زواج الملك فرديناند من الملكة إزابيلا .

مَمَ- أنشغلت أسبانيا بأمبراطوريتها فى الهند الغربية ومستعمراتها فى المكسيك وبيرو وفلوريدا .

3 - زجت إسبانيا بنفسها فى الحروب الأوروبية بغية التوسع فى أوروبا وخاصة فى إيطاليا وفرنسا وألمانيا وقد كان للتعصب الكاثوليكى أثره فى السياسة التى إتبعها ملك أسبانيا وأرتبط أسمه (بمحاكم التفتيش) التى سلطها للفتك بمعارضيه من البروتستانت واليهود والمسلمين الذين إعتبرهم ملحدين وبذلت أسبانيا جهودا ضخمة فى إنجاح حملات التفتيش هذه .

4 - لقد كان للأسطول الأسبانى (الأرمادا) أثره فى سيطرة الأسبان على البحار لمدة طويلة ولكن بظهور موجة التنافس الإستعمارى الأوروبى ظهرت بريطانيا كقوة بحرية منافسة لهم وأنتهى الصراع البحرى بتفوق بريطانيا وتدميرها للأسطول الأسبانى سنة 1588 .

أما عن نشاط الأسبان فى الكشوف الجغرافية فى إفريقيا فقد أنحصر نشاطهم فى المناطق الآتية :

أ - جـــــزر الكنارى :

وبعد جهود متصلة ورحلات متواصلة تم اكتشاف جزر الكنارى ووقعت تحت سيطرة الأسبان سنة 1476 ، حيث أن البرتغاليين لم يدعموا اكتشافهم الأول لها ، وكثر عدد المهاجرين الأسبان إلى هذه الجزر وأختلطوا بالسكان الأصليين وتزاوجوا منهم وأدت هذه الجزر خدمات جليلة للأسبان إذ

أصبحت محطات بحرية لتزويد سفنهم العابرة للمحيط الأطلنطى خلال الخمسين سنة الأولى من إكتشاف واستعمار الأمريكتين .

ب - منطقة السواحل المطلة على البحر الأبيض المتوسط :

فبعد أن تخلص الأسبان من العرب بعد سقوط غرناطة آخر حصن عربى فى الأندلس سنة 1492 ، تتبعوا العرب فى المدن الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط من الشاطىء الإفريقى فأحتلوا مليلة وسبتة والجزائر وصفاقس ووهران وغيرهامن مدن وثغور شمال إفريقيا ، وقد استغل الأسبانيون ضعف دولة الموحدين التى تقسمت إلى عدة إمارات متنافسة فى تونس والجزائر ومراكش . إلا أن التوسع الأسبانى أدى إلى حدوث تصادم بينه وبين الوجود العثمانى فى البحر الأبيض المتوسط وأكتفوا بعد استيلائهم على وهران ببناء حصن بينون Penon المواجهة للجزائر خاصة بعد ظهور خير الدين بربروسا كقوة جهادية إسلامية فى البحر الأبيض المتوسط وإعلانه تبعيته للسلطان العثمانى .

ج - منطقـــة المغـــرب :

حاول الأسبان الإستيلاء على جزيرة (جربا) قبالة تونس فلم يفلحوا ولكنهم نجحوا فى تدعيم نفوذهم فى مدينة مليلة وسبتة وظلت أنظارهم ترقب المغرب الأقصى بإستمرار ولما جاءت موجة الإستعمار الأوروبى والتنافس الإستعمارى على إفريقيا إستطاعت أسبانيا أن تسبق الدول الأخرى فى وضع يدها والإستحواذ على المنطقة الساحلية المواجهة لجزر الكنارى

والإستيلاء أيضا على جزر الرأس الأبيض حتى رأس بوجادور . والتى أطلق عليها الأسبان فيما بعد بالصحراء الأسبانية .

وقد حققت هذه الكشوف الجغرافية والتوسع الإستعمارى فى المناطق الخاضعة للأوروبيين عدة نتائج نذكر منها :

1- حقق البرتغاليون والأسبان سيطرتهم على البحار وأستطاعوا أن يصبحوا القوتين المالكتين لزمام الأمر فى تسيير السفن الأوروبية إلى إفريقيا وإلى بقية أنحاء العالم .

2- تأثرت الدول الإسلامية والعربية وخاصة مصر بهذه الكشوف التى حولت مسار التجارة القادمة من وإلى الشرق لأوروبا بمسار أخر حرمها من الفوائد التى كانت تجنيها من مرور السفن بمحطاتها .

3- فتحت هذه الكشوف الطريق أمام القوى الإستعمارية لنهب ثروات إفريقيا من ذهب وفضة ونحاس وغيرها ثم تجارة الرقيق فى آخر الأمر .

4- فتحت هذه الكشوف الطريق أمام الرحالة والمعاديين والمبشرين للتوغل لإفريقيا بغرض تحقيق مآربهم والعمل إما لإستعمار بعض المناطق أو لنشر الدين المسيحى .

أسئله للمراجعه

1 - تحـدث عن الكشوف البرتغالية فى إفريقيا وماهى نتائجها على إفريقيا ؟

2 - هل كانت إفريقيا قبل الكشوف الجغرافية معلومة للعالم الخارجى الأوروبى أم لا . وضح إجابتك بالأمثلة والشواهد ؟

3- أكتب مذاكرت وافية عن :

أ - هنرى الملاح .

ب - فاسكو دى جاما .

ج - جزر الكنارى .

د - قلعة يسوع فى شرق إفريقيا . ؟

4- ما العوامل التى دفعت بالأوروبيين لاكتشاف إفريقيا فى المرحلة الثانية من الكشوف الجغرافية الإفريقية ؟

5 - تحدث عن الكشوف الأسبانية فى إفريقيا وما أهم النتائج التى ترتبت على ذلك ؟

الفصل الرابع

تجارة الرقيق وعصر الأسلحة فى إفريقيا

الفصل الرابع

تجارة الرقيق وعصر الأسلحة فى إفريقيا

إن من أول المؤثرات التى أثرت على تاريخ إفريقيا بعد اتصالها بالأوروبيين أثر حركة الكشوف الجغرافية فى القرن الخامس عشر وما بعده هو رواج فكرة الرقيق . وقبل الحديث عن هذه التجارة وما جرته من شقاء وعناء للإفريقيين هناك سؤال يجب طرحه ، هل كان نظام الرق معروفا للعالم قبل ذلك ؟ نعم لقد عرف الرق عند المدنيات القديمة مثل قدماء المصريين والأشوريين والفينيقيين واليهود والفرس والهنود والصينيين وكلن منشأة هو قهر القوى للضعيف وبسبب وقوع أسرى . وأصبح للرق عند الرومان والأثنيين نظاما معينا ارتبط باقتصاد تلك الدويلات وتعميرها وكان نظام القرصنة البحرية هو السبب فى منشأ هذه النوع من الرق فكان القراصنة اليونان يغيرون على المدن والجزر ويخطفون سكانها ويبيعونهم فى أسواق النخاسة . أما فى روما فكان فى العبيد المجلوبين من بريطانيا وأوروبا وآسيا .

تجارة الرق الإفريقى الخارجى بين الأوروبيين :

مثل غيرها من الشعوب كانت إفريقيا مصدرا لتصدير الرقيق منذ أقدم العصور فحضارات قدماء المصريين واليونان وروما وقرطاجنة فى شمال إفريقيا كلها كانت تستورد ضمن ما تستورد من منتجات إفريقيا الرقيق الإفريقى . وفى شرق إفريقيا كان من أهم الصادرات فالهند والجزيرة العربية وايران

كلها استخدمت الرقيق الإفريقى وحتى الصين فقد استوردت الرقيق الإفريقى وقد كان من نتاج تواجد الزنج فى البصرة إبان الدولة العباسية قيامهم بثورة عرفت بثورة الزنج لم تستطع أجهزة الدولة اخمادها إلا بعد فترة طويلة . وفى الهند وصلت اعدادا كبيرة من الرق وكونوا سلالات وأصبح لهم نفوذ وفى السودان الغربى فى غانا ومالى والسنغاى كان الرق أحد أركان اقتصاد هذه الممالك الذى كان يؤخذ عن طريق الطرق التجارية عبر شمال إفريقيا لبيعه فى اسواق الفينيقيين أو البيزنطيين أو الرومان .

كيف بدأت تجارة الرق حديثا :

قد كانت من أهم الدوافع التى خرج لها البرتغاليون من بلادهم هى الوصول إلى الهند بشاطىء إفريقيا الغربى وذلك بغرض التجارة والحصول على البهارات والبخور والحصول على الذهب الذى يتواجد فى غرب إفريقيا عند غينيا وساحل الذهب وعندما اصطدموا بالإفريقيين قبل منتصف القرن الخامس عشر استولوا على رقيق منهم حملوه إلى لشبونة واكتشفوا أن هذه تجارة مربحة فربطوا بين رحلاتهم الإستكشافية والحصول على الرق حتى وصلوا إلى الهند بمدينة كلكتا . وكان البرتغاليون يسخرون هؤلاء الرق فى دفع مراكبهم الشراعية الضخمة واستطاعوا أن يعودوا بأعداد كبيرة منهم إلى أوروبا وقد أقاموا على طول الساحل الغربى قلاعا ومراكز لتزويد السفن وأخذ الرقيق الذين يبيعه اليهم الإفريقيون أنفسهم . وهكذا كانت البرتغال أول من

أسهم فى جلب الرقيق إلى أوروبا وانتقلت بعد ذلك العدوى إلى بقية الدول الأوروبية الأخرى .

إكتشـاف أمريكـــا وارتباطه بتجارة الرقيق :

عندما تم اكتشاف الأراضى الجديدة رأى المهاجرون الأوروبيون أن تعمير هذه الأراضى الشاسعة وزراعة السكر والتباك والقطن يحتاج إلى أيدى عاملة نسبة لرداءة الطقس وعدم صلاحيته للأوروبيين للعمل فيها . كما أن الهنود الحمر كانوا على عداء مع هؤلاء المهاجرين فكان اتجاههم إلى جلب أيدى عاملة رخيصة من الإفريقيين ونظرا لقرب غرب إفريقيا فقد لجأوا إلى جلب الرقيق منه للأستفادة منهم فى تعمير هذه الأراضى وازداد الطلب للرقيق فقد تطورت هذه التجارة وكانت البرتغال واسبانيا أكثر الدول الأوروبية ممارسة لهذه التجارة وكانتا تسدان حاجة الأسواق من الرقيق . ودخل الإنجليز هذه التجارة من طريق القرصنة فى بادىء الأمر وأول قرصان انجليزى هو وليم هوكنز William Whokinz الذى أحضر أول شحنة من بنين لأمريكا وهناك بحار بريطانى آخر هو Cabin Winpham والذى زار بنين سنة 1503 وتبعه آخرون وشاركهم بعد ذلك الفرنسيون والهولنديون والإسبان والذين كانوا قد شرعوا فى إقامة مستعمرات لهم فى الأراضى الجديدة . ثم قامت شركات بريطانية بعد ذلك للعمل فى تجارة الرقيق وأول شركة بريطانية أسست لهذا الغرض سنة 1588 برخصة وبراءة من الملكة اليزابيث ثم تبعتها شركة أخرى سنة 1616 بترخيص وبراءة الملك جورج الأول وأقامت هذه الشركة قلعة جيمس فى جزيرة صغيرة فى نهر غامبيا ، ثم قامت شركة أخرى أقامت لها مراكز تجارية فى ساحل الذهب أو

(سيراليون الحالية) سنة 1660 ، وكان من نتاج هذه الشركات أن وفد إلى بريطانيا عدد من الرقيق اكتظت بهم موانيء ليفربول وبرستول .

وفى هذه المنافسة المحمومة فى تجارة الرقيق أنشأت كل من هولندا وفرنسا والدنمارك والسويد والمانيا سفن ضخمة للعمل فى تجارة الرقيق وباستثناء البرتغال فى أنجولا فإن الأوروبيين لم يسيروا الحملات إلى داخل إفريقيا لاقتناص الرقيق بل كانوا يشترونه من التجار الإفريقيين فى السواحل بواسطة عملاء أو بعلم الزعماء المحليين . وتركز نشاط البرتغاليون لاقتناص الرقيق فى منطقتى الكونغو وانجولا لأنهم وجدوها منطقة خالية من المنافسة وقد أقاموا حصون ومعاقل عسكرية لحماية قوافل الرقيق وقد اشتهرت ميناء لوندا كأكبر ميناء لأخذ الرقيق فى إفريقيا . وقد بلغت البرتغال القمة فى الإستغلال والوحشية للإفريقيين خاصة بعد أن نشأت طبقة خلاسية (أفرو - برتغالية) لعبت دورا كبيرا بمساعدة الضباط فى المراكز العسكرية لأخذ السكان أسرى بعد شن حروب عليهم ثم بيعهم فى الدنيا الجديدة وقد ارتبط اسم البرازيل برقيق أنجولا ، وقد كان ذلك العمل الخبيث يتم بموافقة ورضا ملك البرتغال وحكومته .

أما الهولنديون الذين بدأوا فى الإستيطان فى جنوب إفريقيا قد ارتبط سكانهم فيها بإجلاء العناصر الإفريقية التى كانت تسكن فيه من البوشمان Bush- men والهوتنتوت . بغرض الإستيلاء على أراضيهم الزراعية ومراعيهم وقد ترتب على مخططهم هذا نتيجتين : الأولى إخضاع الإفريقيين

المستضعفين تحت رحمة هؤلاء الغزاة والعمل فى مزارعهم كأجراء . وأما الذين قاوموا فقد تم أسرهم وأخذهم رقيق وتم بيعهم إما فى غرب إفريقيا فى أنجولا أو بيعهم فى أسواق الهند وسيلان والملايو . وظل الرقيق الإفريقى - صاحب الأرض - يعمل مسخرا لتحقيق عملية الإستيطان الأوروبى فى جنوب إفريقيا بعد ذلك .

وهناك منطقة ثالثة عرفت بتصدير الرقيق منذ القدم وهى منطقة غرب السودان وقد كان الرقيق يجلب إلى أسواق الأقاليم الشمالية فى شمال إفريقيا منها ، ويتم بيعه بعد عبور الصحراء . وقد كان الرقيق الذى يحضر لهذه الأسواق يتعرض للأمراض والمخاطر والمهالك ، وقد شارك بعض السودانيين العرب فى بيع الرقيق لدول شمال إفريقيا .

الحركة البريطانية لإبطال تجارة الرق :-

ظلت غرب إفريقيا مسرحا لتجارة الرقيق بكل ما فيها من قسوة واستهانة بالبشرية والأدمية إلى أن استيقظ الضمير الإنسانى فى بعض الأفراد والجماعات الدينية خاصة وأن الإفريقيين بعد أن أصبحوا وجودا اجتماعيا شاركوا فى المراسيم الدينية باعتبارهم مسيحيين فأثار ذلك بعض المتحمسين المسيحيين وخاصة جماعة الكويكرز Quakers الذين آلوا على أنفسهم أن يجعلوا هدفهم إلغاء تجارة الرق باعتبارها عملا غير انسانى ويتنافى مع المسيحية . وفكرت شخصيات لها وزنها فى بريطانيا وتحمست لهذه الرسالة أمثال توماس كلاركسون وجرانفيل شارب الصحفى ووسلى ويلبرفورس

وتقدموا بعريضة للبرلمان يشجبون فيها هذه التجارة وواكبت هذه العريضة حملات دعائية وصحفية كان من نتائجها أن خطب وليم بت رئيس وزراء بريطانيا فى مجلس العموم منددا بهذه التجارة والتى « كانت عارا مخزيا لبلادنا والتى سوف تبطل فى كل أنحاء بريطانيا والعالم إذا أخذنا زمام المبادرة لإلغائها كمثل يحتذى » ، ولم تجد خطبته قبولا لأن بعض أصحاب رؤوس الأموال كانوا مستفيدين منها وظلت الحملة البرلمانية مستمرة إلى أن أصدر البرلمان تشريع بتحريم التجارة فى بريطانيا سنة 1807م . بينما ظلت بقية الدول الأوروبية تمارسها وهى البرتغال واسبانيا وفرنسا ، ورأت بريطانيا أن قرارها لايمكن أن يكون نافذا إلا إذا اتبعته بإجراءات تأديبية للذين يتاجرون فى هذه التجارة فأنشأت أسطولا حربيا لمحاربة السفن التى تتاجر فى الرقيق وتفتيش السفن الأوروبية الأخرى التجارية ، واستمرت بريطانيا فى محاربتها للتجارة واستمرت مناشدة بريطانيا للدول الأخرى بإيقاف هذه التجارة . أما فى الولايات المتحدةفلم يكن إلغاؤها سهلا نسبة لارتباط الإقتصاد الأمريكى بها وأن جميع العمل الزراعى فى جنوب الولايات المتحدة واستصلاح الأراضى يقوم به هؤلاء الرقيق . وقد استجابت الدول الأوروبية إلى نداء بريطانيا تدريجيا خاصة بعد الحظر الذى فرضته بريطانيا على هذه السفن .

تجـارة الرقيق فى شـرق إفريقيـا :

وبانتهاء تجارة الرقيق عبر الأطلنطى والتى كانت تسمى التجارة الممثلة

Atlantic Triangle Trade (A.T.T.) لربطها بين إفريقيا وبريطانيا وأمريكا . التفتت أنظار الأوروبيين إلى مكان آخر فى إفريقيا ظل يعمل بنشاط فى هذه التجارة بعد أن توقفت السفن الأوروبية فى العمل فيها وهى منطقة شرق إفريقيا ، فمثلما كان الزعماء الإفريقيون المحليون يكونون وسطاء للتجار الأوروبيون فى غرب إفريقيا ، كان الزعماء أيضا يقومون بنفس الدور مع التجار العرب العمانيون أو العرب الشماليون فى السودان وقد اكتسبت سلطنة (سيد سعيد) سلطان زنجبار شهرة واسعة إذ أن اعتماد مملكة عمان فى الجزيرة العربية كان يقوم على هذه التجارة ، وقد نقل مقر ملكه من مسقط إلى جزيرة زنجبار للسيطرة الكاملة على التجارة فى اقليم شرق إفريقيا ومن ضمنها تجارة الرقيق . وفى حوالى سنة 1840م . فاقت شهرة عمان أوروبا فى الوقت الذى كانت الحملة لإبطال هذه التجارة فى أوجها فقامت حملات صحفية ضد سلطنة عمان وضد العرب عموما وخاصة تلك الحملات التى كانت ذات أهداف صليبية إذ ربط هؤلاء بين التجارة فى الرق وبين الإسلام ، وشنوا هجوما عنيفا ضد المسلمين لأن أسلامهم يبيح لهم الإسترقاق مما يوحى للقارىء لهذه المقالات كأن المنطقة لم تعرف تجار غير العرب يمارسون هذه التجارة . ويجب التفريق بين مفهوم الرق فى الإسلام وبين الرق بقصد الإتجار . فمعروف أن الإسلام يقر المساواة بين الأجناس ولايعترف بالتمايز إلا بالتقوى . وفى حالة إعلان الجهاد الإسلامى لمنطقة ما يخير سكانها بين « قبول الإسلام » أو البقاء على دينهم مع دفع الجزية للحاكم المسلم ، وفى حالة رفض الخيارين

الأولين يكون الخيار الثالث وهو شن الحرب عليها والأسرى الذين يقعون في أيدى المسلمين يكونون رقيقا . وقد حث الإسلام على حسن معاملتهم إلى أن يدخلوا فى حظيرة الإسلام وتحريرهم تدريجيا . ولذلك فإن إلحاق هذه التهمة بالعرب فيه تجنى على الإسلام ، وهل نسى الأوروبيون أنهم هم الذين أوجدوا هذه التجارة وسخروا الملايين من الإفريقيين فى تعمير حضارتهم وأراضيهم !! .

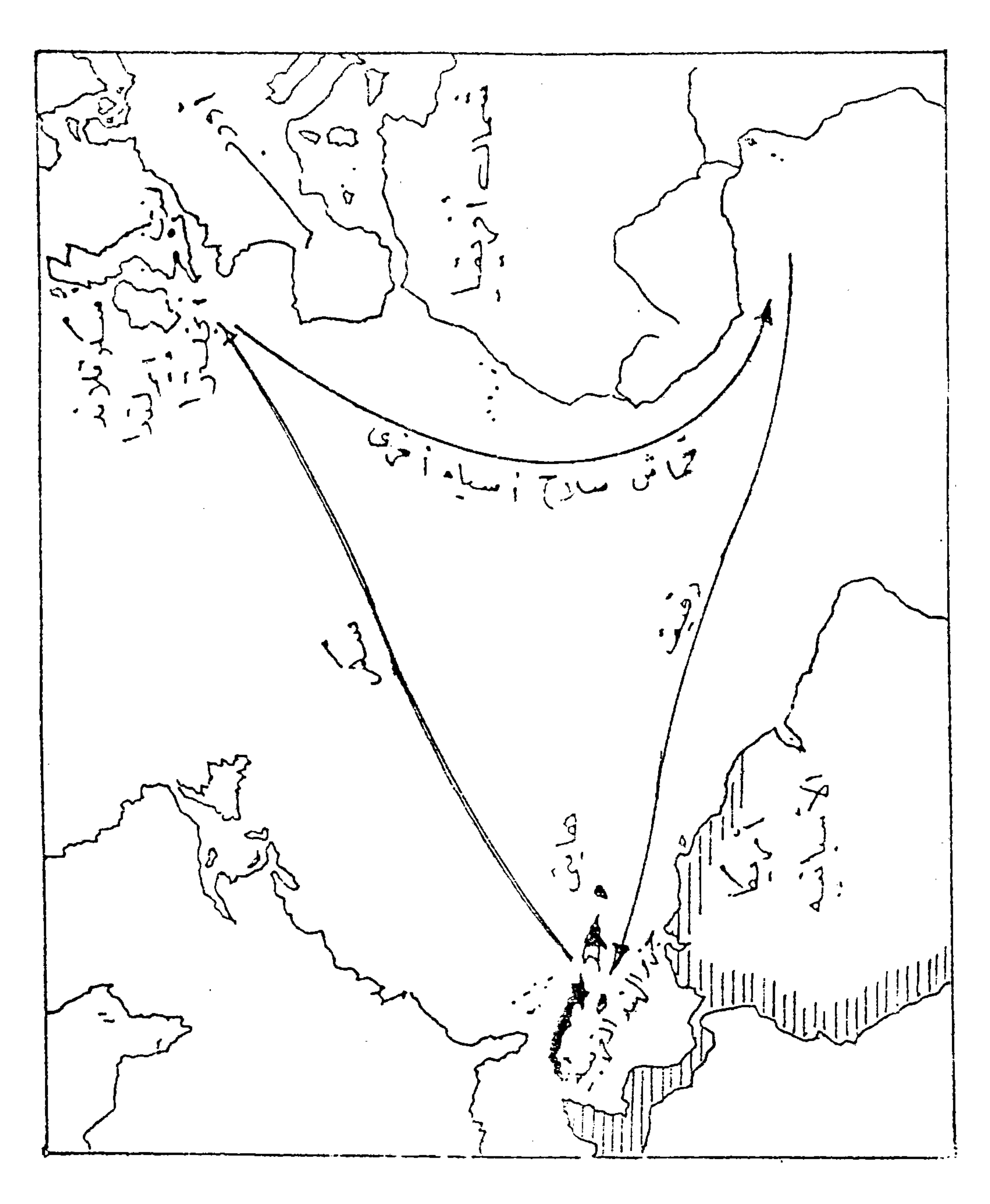

تجارة الأطلنطي المثلثة في القرن الثامن عشر

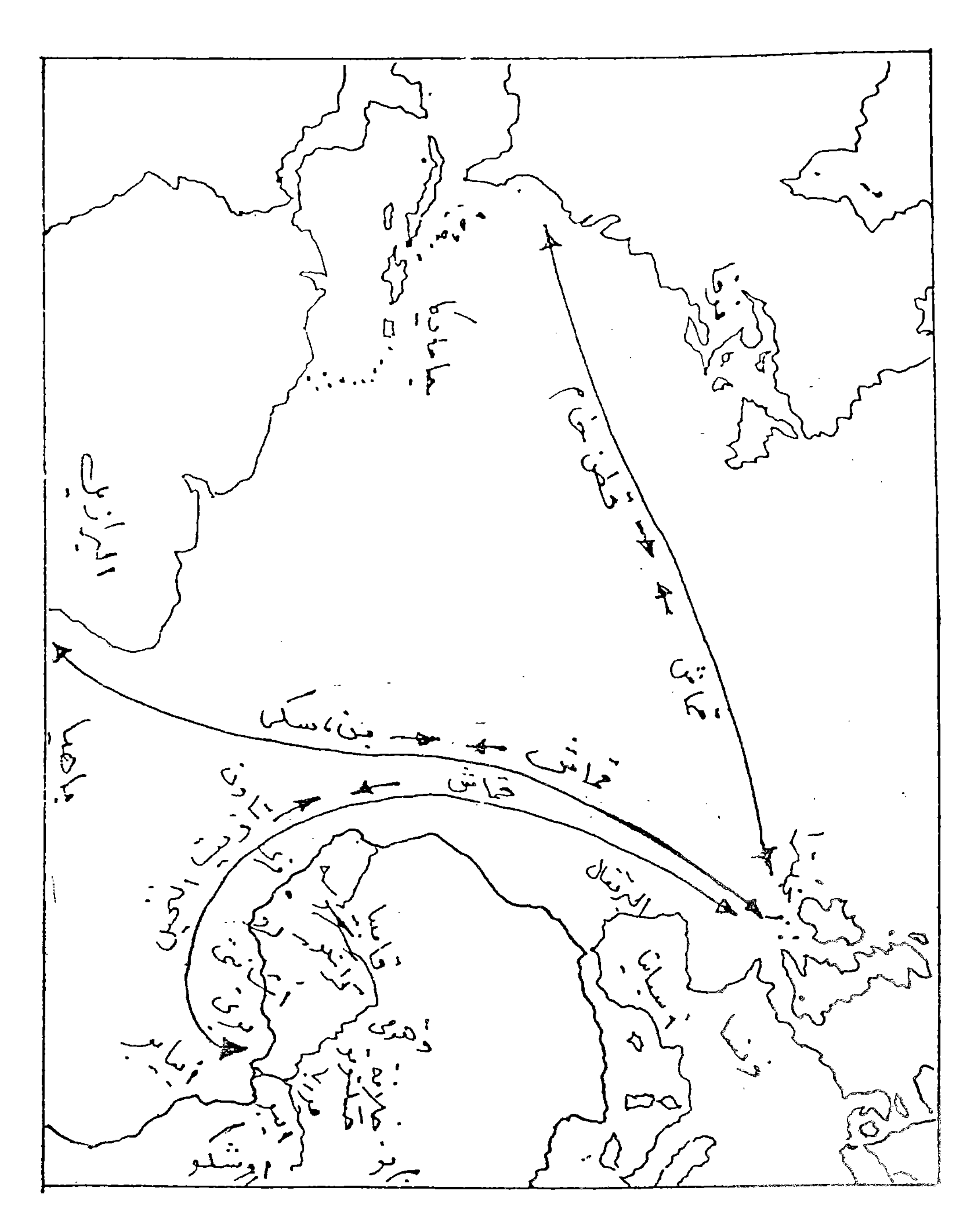

التجارة البريطانية عبر الأطلنطي فى القرن التاسع عشر

أثر تجـــارة الرقيق على أفريقيـــا :

أ - ســوء المعاملة وأثـــره :

ليس من شك فى أن الرقيق الذى أخذ إلى أوروبا أو الأمريكيتين سواء عبـر الأطلنطى أو الصـحراء قـاس المر والعـذاب من ذل ومـهـانة إذ كـانت الأفواج التى تؤخذ تعامل معاملة الحيوانات وخوفا من الهرب كانوا يقيدون بالسلاسل الحديدية ويحشرون فى المراكب وكثيرا منهم توفى بسبب الأمراض والإختناقات وعدم التغذية وكانت جثثهم ترمى فى البحر وهم فى طريقهم إلى الأراضى الجديدة . وقد امتلأت كتب البحارة بوصف هذه الرحلات الفظيعة أمثال كتابات دنهام وبارث وريتشارد ، وحيث أن الرقيق الذى كان يؤخذ من الشباب فقد أدى ذلك إلى نقص فى عدد السكان ويقدر عدد الذين رحلوا إلى الأراضى الجديدة ما بين القرنين 16 ، 17 حوالى 12 مليون إفريقى ، أما الذين فروا إلى داخل الغبات فقد مات معظمهم بسبب الأمراض الفتاكة كحمى التايفود والملاريا ومرض النوم وخلافه . هذا بالإضافة إلى حالة الذعر والخوف التى ظلت مستمرة بين الإفريقيين حيث كان صائدو الرجال يستعملون الزسلحة فى صيد الرقيق ويطلق بعض المؤلفين على هذه الفترة من تاريخ إفريقيا بفترة (عصر الأسلحة لصيد الرقيق) .

ب - أدى انهماك الممالك الإفريقية فى مقاومة تجار الرقيق إلى أن تفقد هذه الممالك تطورها الطبيعى مثل بنين وداهومى والأشانتى بل وتزول من

المناطق التى كانت تحكمها ويحل محلها زعماء إفريقيين تعاونوا مع تجار الرقيق الذين كانوا يساعدون فى بيع بنى جلدتهم مقابل حصولهم على السلع والمنتجات الأوروبية .

ج - ساءت حالة من الفوضى فى إفريقيا وأصبحت معظم المناطق ميدانا لعمليات اقتناص الرقيق وبذلك راجت تجارة الأسلحة حيث كان يبيعها بعض الأوروبيين إلى الزعماء الإفريقيين وتجار الرقيق فى مقابل مساعدتهم فى الحصول على الرقيق .

أثـــر تجارة الرقيق على أوروبا والأمريكيتين :

رغم أن هذه التجارة كانت ذات آثار سلبية على إفريقيا فإنها كانت ذات آثار ايجابية بالنسبة لأوروبا **وأهم هذه الأثار ما يلى :**

- لقد لعب الرقيق الإفريقى دورا هاما فى إحداث التنمية الصناعية فى بريطانيا وفرنسا عموما وبقية أوروبا إذ أنهم كانوا الأيدى العاملة التى عملت فى مناجم الفحم وصهر الحديد وتعبيد الطرق حتى أن ليفربول سميت بمدينة العبيد وكذلك برمنجهام نسبة لكثرة الأعداد الهائلة التى وجدت بها .

- ساهم الإفريقيون مساهمة فعالة فى استصلاح الأمريكيتين ونجحت بفضلهم تجارب زراعة القطن والفول وقصب السكر وأثرى المهاجرون البريطانيون من هذه المحاصيل الزراعية ، وأصبحوا أثرياء وتأكد بقاءهم فى أمريكا وساعدوا أيضا فى تربية المواشى ورعاية الإبقار وترويض

الخيول .

- عند قيام الثورة الأمريكية للمطالبة بالإستقلال لعب العبيد دورا فى معارك الإستقلال وظهرت شخصيات منهم ذات صفة قيادة وبفضلهم انتصر المهاجرون على الفرنسيين أيضا ، ولذلك فإنه عندما انفصلت الولايات المتحدة عن بريطانيا راعت الدور الذى لعبه هؤلاء الزنوج الذين أصبحوا مواطنين أمريكيين بحكم الإقامة والميلاد للذين ولدوا بعد حضورهم للولايات المتحدة . وعندما حاول بعض الرأسماليين التقليل من شأنهم واعتبارهم مواطنين درجة ثانية قامت الحرب الأهلية وهى التى تطالب بتحرير العبيد ومنحهم حقوقهم وفقا لما جاء فى الدستور الأمريكى .

غير أنه رغم هذه السلبيات فقد أصبح وجود الزنوج فى بريطانيا والولايات المتحدة بأعداد كبيرة أمرا غير مرغوب فيه وبعد قيام الحكومة البريطانية بإلغاء تجارة الرقيق فكر البريطانيون فى إرجاع هؤلاء الرقيق ومواليدهم إلى إفريقيا مرة ثانية فأقامت مستعمرة لهم فى سيراليون ورحل آلاف من الرقيق البريطانيين إليها وأصبحت هذه المستعمرة تابعة لبريطانيا وهى فى غرب إفريقيا ولعبت دورا هاما فيما بعد فى أحداث الإستعمار البريطانى لغرب إفريقيا .

وحذت الولايات المتحدة حذو انجلترا فأرسل الآلاف من الرقيق الذين حرروا إلى افريقية سنة 1882م . بعد أن أنشأت لهم دولة جديدة فى إفريقيا سميت ليبيريا . غير أن هؤلاء الإفريقيين الذين ولدوا فى بريطانيا والولايات

المتحدة ولو أن أصلهم إفريقى لم ينصهروا مع بنى جلدتهم الآخرين وأصبحوا ينظرون بنظرة استعلاء وفوقية وعاملوهم معاملة وحشية متأثرين بالتفرقة العنصرية وسوء المعاملة الذى وجدوه فى أوروبا وأمريكا .

وعلى كل فإن حقبة الرق وتجارة الرق كانت من أسوأ الفترات المظلمة فى تاريخ إفريقيا إذ أنها أوقفت التطور الطبيعى لإفريقيا ، فكل الحضارات والثقافات التى نشأت فى العصور الوسطى قد تلاشت نهائيا فلم تبق منها إلا آثارا مبعثرة هنا وهناك . ولم تقم محاولات لبعثها أو دراستها إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عند غزو الإستعمار لإفريقيا ووجد أن هناك شواهد ودلائل تدل على هذه الحضارات ... ورغم ذلك فقد اعتبروا أن الدمار والخراب والفوضى القبلية هى جزء من التاريخ الإفريقى وأن عليهم واجبا هو نشر الحضارة والتمدن فى إفريقيا .

أسئلة للمراجعة

1- عرف مفهوم الرق ، وهل كان موجودا فى العالم القديم أن أنه نشأ فى إفريقيا وحدها ؟

2- كيف نشأت تجارة الرق فى إفريقيا فى العصر الحديث ، وما هى الدول الأوروبية التى ساهمت فيها ؟

3- تحدث عن الحركة البريطانية لإبطال وتحريم تجارة الرق فى أوروبا وأمريكا وبقية العالم ؟

4- ماهى الآثار التى ترتبت على تجارة الرقيق فى إفريقيا وأوروبا وأمريكا ؟

5- أكتب مذكرات وافية عن :

أ - *جماعة الكويكرز ودورها فى الدعوة لإبطال تجارة الرقيق .*

ب - *التجارة المثلثة .*

ج - *جرانفيل شارب .*

د - *سيراليون أو ليبيريا .*

6- أرسم خريطة للطرق البحرية التى كانت تمر بها تجارة الرقيق بين إفريقيا وأوروبا ؟ .

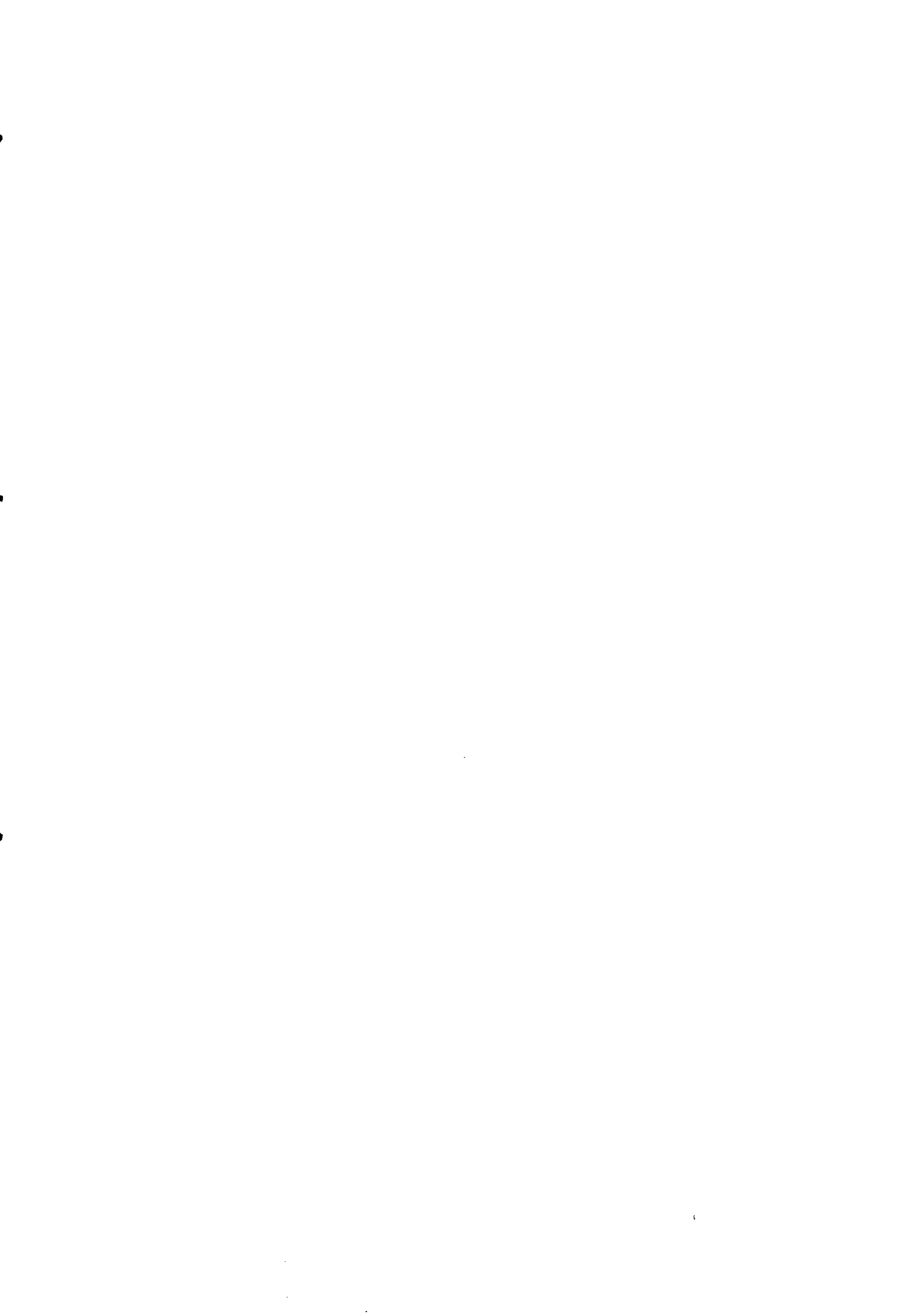

الفصـــل الخـــامس
الإســـلام والمسيحية فى إفريقيــــا

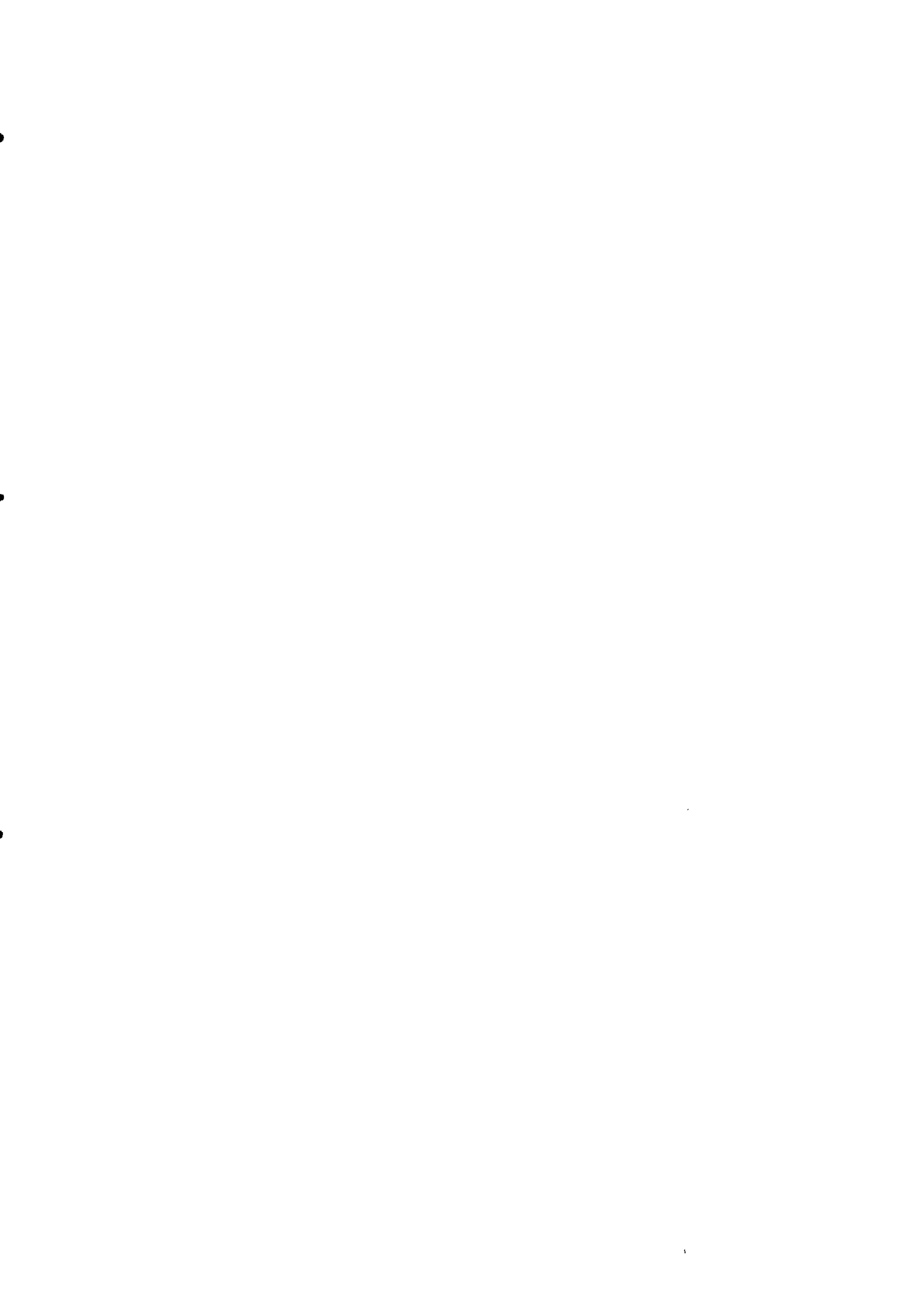

الفصل الخامس

الإسلام والمسيحية فى إفريقيا

الإسلام والمسيحية فى إفريقيا فى التاريخ الحديث :

قبل أن تبدأ أوروبا تحسس طريقها إلى إفريقيا كان المسلمين قد سبقوها إليها وأوجدوا فيها نفوذا عربيا وإسلاميا قويا ارتبطت فيها الجماعات العربية والإفريقية بروابط الأخوة والمصاهرة والمصالح المشتركة ، وقد دهش البرتغاليون عند وصولهم إلى شرق إفريقيا حيث وجدوا حضارة راقية ومدن ذات فن معمارى رفيع فيما عرف بمدن الطراز الرسلامى مثل كلوة وبمبا ومقديشو . ورغم ذلك ادعى الأوروبيون أن الإسلام قد انتشر فى إفريقيا بحد السيف وقهر الجماعات الإفريقية وفرض دينه عليها وهذه حقيقة لاتؤيدها الوقائع فبالرغم من أن مصر وشمال إفريقيا إنتشر فيها الإسلام عقب فتوحات ، إلا أن انتشار الإسلام فى معظم أرجاء إفريقيا قد تم بواسطة الأفراد والجماعات من العلماء والمتصوفة والتجار ولم يتم من طريق أجهزة تبشرية كما فعلت أوروبا .

وحقيقة أن للإسلام إغراءات خاصة تجعله أقرب إلى نفسية الإفريقى منه إلى المسيحية إذ أن ما جاء فيه من مبادىء أخلاقية سامية ترفع من قدر الإنسان وتسمو به وتساوى بين معتنقيه فى الحقوق والواجبات ، وأنه يسمح بتولى المسئولية والقيادة لمن يستحقها حسب تدينه وتفقهه فى الدين بخلاف اللون أو العنصر أو الوضع الإجتماعى ، كل هذه تجعله قريبا لنفسية

الإفريقى . بل إن هناك بعض الأشياء المتأصلة فى المجتمع الإفريقى مثل حيازة المال والعقار والماشية ، والإيمان بالغيبيات والإعتقاد فى السحر وتعدد الزوجات ، كل هذه الأشياء قد سمح بها الإسلام واوجد لها شرائع ونظم تحقق التوازن بين المجتمع والفرد ، مثل الصدقات والزكاة والبر والإحسان فإنه بهذه الخصائص كان أقرب إلى نفوس الإفريقيين وكان الداعية المسلم سواء أكان عالما أو تاجرا أو متصوفا يعيش بين الإفريقيين كأحدهم ويشاركهم فى السكن واللبس والأكل ولايرون بينه وبينهم فارقا ، وفى بعض الأحيان يصاهرهم واستبدل اعتناقهم بالسحر بمعالجة بأدعية من القرآن الكريم ولم يتعرض ، يلغى أو يقلل من قدر العادة المتأصلة فى مجتمعهم وهى تعدد الزوجات ، فى حين أن المسيحية كانت بالنسبة لهم دين صفوى يقوم بطقوسه الرجل الأبيض الذى كان يتعالى عليهم فى لبسه ومأكله وعاداته وتوليه المسئولية ولم يكونوا يشعرون بأنه دين يساوى بينهم وبين الأوروبيين ، كما أنه مسهم فى اعتقاداتهم وتقاليدهم فدعاهم إلى الإقتصار على زوجة واحدة وإلى ترك الإعتقاد فى السحر والإيمان بالغيبيات .

ورغم أن الإفريقيين نظروا لكل من العرب والأوروبيين نظرة ملؤها الشك والريبة لممارستهم تجارة الرقيق فى العصر الحديث إلا أنهم فى كثير من الأحيان كانوا يميلون إلى تقبل ماهو مفيد لمصلحتهم ففى حين نجد أن الإسلام عمد إلى ترقيتهم ومنحهم حريتهم نجد أن المسيحية عمدت إلى استعمارهم ونهب ثروات بلادهم . وقد لعب المبشرون دورا هاما فى

استجلاب القوى الإستعمارية إلى إفريقيا فكانوا من خلال عملهم فى المجتمعات الإفريقية يدرسون هذه المجتمعات ويكتبون تقارير عن أوضاعهم الإقتصادية والإجتماعية والثروات التى تزخر بها بلادهم والأساليب التى يمكن اتباعها لكسب ودهم والتقليل من عداوتهم للرجل الأبيض بصفة عامة وكانت هذه التقارير تنشر فى الصحف الأوروبية وعلى ضوئها تتخذ الحكومات ما تراه مناسبا من اجراءات وعندما شعر الإفريقيون بخطورة الدور الذى يلعبه المبشرون وأنهم يمهدون إلى جلب الإستعمار قامت عدة ثورات ضدهم فى المناطق التى كانت تعتبر أكثر وعيا من غيرها ومن أمثلة هؤلاء المبشرين الذين كتبوا عن إفريقيا الأب كمبونى Comboni الذى عمل بالتبشير فى جنو السودان وهو يتبع للكنيسة الرومانية المقدسة والأب ماكاى الذى كان يعمل فى ممبسا والأب كتشنج الذى عمل فى أوغندا وأعالى النيل .

ويزعم البريطانيون وغيرهم أنهم أتوا إلى إفريقيا لنشر الحضارة والتقدم على اعتبار أن إفريقيا قارة مظلمة وأن الإسلام الذى انتشر فيها عمد على ابقائها متخلفة ولذلك فهم رسل للحضارة والمدنية والتقدم .

وقد أدى التنافس بين الإسلام والمسيحية فى إفريقيا فى نهاية القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر إلى ظهور قضيتين أثرتا على تاريخ إفريقيا . أما القضية الأولى فهى قضية تحريرية ، فحواها أن الإسلام والوجود العربى الإسلامى لكى يقف أمام الزحف الأوروبى المسيحى لإفريقيا ولكى يحافظ على كيانه ودوره فى إفريقيا كان عليه أن يقود الإفريقيين فى ثورات

وطنية رافضة للتدخل الإستعمارى بالوجه المسيحى . ولعبت القيادات العربية دورها فى القيام بعدة ثورات وطنية عرفت بحركات الجهاد الإسلامى فى مناطق متعددة من إفريقيا مثل الشيخ ماء العينين ومن بعده إبنه فى موريتانيا وحركة الشيخ عبد القادر الجزائرى وحركة الشيخ عثمان بن فودى فى بلاد الهوسا والحركة السنوسية فى ليبيا ، وحركة الشيخ محمد الكانمى فى بلاد النيجر ، وحركة رابح الزبير فى بلاد البرنو ، وحركة الشيخ محمد عبد الله الصومالى ، وحركة الإمام محمد عبد الله المهدى فى السودان . وجميع هذه الحركات كانت تهدف إلى إحياء الإسلام وتوعية الشعوب للمخططات الإستعمارية ضد الإسلام والمسلمين فى إفريقيا .

أما القضية الثانية فهى قضية استعمارية قامت بها القوى الأوروبية مجتمعة والتى هدفت إلى استعمار إفريقيا بعدة حجج واهية مثل إنقاذ إفريقيا من رواد تجارة الرقيق . وتظهر هذه القضية الإستعمارية عندما ندرك أن معظم القادة العسكريين الذين قادوا الجيوش الإستعمارية إلى إفريقيا كانوا من غلاة المسيحيين المتطرفين أمثال غردون باشا Gordon Pasha الذى عمل فى محاربة تجارة الرقيق فى السودان الجنوبى وأوغندا وأصبح حاكما عاما على السودان فى فترة الحكم التركى المصرى للسودان وقد لعب دورا هاما فى تصفية الوجود العربى الإسلامى فى جنوب السودان حيث تآمر هو وجسى باشا على قتل سليمان بن الزبير باشا ، الذى شوهت صورته ، كأكبر تجار الرقيق العرب . وكان الزبير قد اتهم غوردون وجسى بالتآمر

على قتل ابنه فى ديم الزبير ببحر الغزال . وأيضا النقيب ليوقارد Lugard الذى عمل فى الهند ونيجيريا وقام بدور هام فى تصفية الوجود العربى فى هاتين الدولتين كما اشترك فى إبادة ثورة الجنود السودانيين سنة 1898 مع الرائد ماكدونالد Macdonald فى أوغندا ووضع فيما بعد أسس ومبادىء نظام الحكم الغير مباشر فى نيجيريا وهو نظام يكرس القبلية الإفريقية ويمنع وصول القيادات العربية إلى السلطة . وأيضا الرائد مكدونالد الذى لعب دورا هاما فى تصفية الوجود العربى الإسلامى فى أوغندا واتبع أساليب فى غاية الوحشية فى إبادة العناصر العربية أو المولدين من أصول عربية فى شمال أوغندا والذين كانت تمثلهم قبائل الباغندا ، وقد افتخر فى كتابه (عشر سنوات فى شرق إفريقيا) بأنه قدم للمسيحية أكبر عمل تبشيرى إذ تمثل فى اجتثاث ما أسماه (الجرثومة العربية) يريد بذلك الإسلام والمسلمين فى أوغندا وأيضا جون كيرك المقيم البريطانى فى زنجبار والذى بذل جهدا كبيرا فى إيقاع الخلاف بين إبنى السلطان سيد بن سعيد سلطان عمان ذلك الخلاف الذى بسببه احتوى البريطانيون سلطان زنجبار ثم ما لبثوا أن تأمروا عليه وأنهوا حكمه .

وقد كان رد الفعل لتولى هؤلاء العسكريون زمام الأمور فى كثير من الدول الإفريقية آثار سلبية وايجابية . أما الآثار السلبية فقد قامت عدة ثورات إسلامية ضد هذا التغلغل المسيحى فى إفريقيا وقد قوبلت هذه الثورات بغاية الوحشية وراح الكثير من الإفريقيين ضحيتها حيث أن أوروبا مجتمعة قررت حماية وجودها المسيحى فى إفريقيا .

وبعد إخمــاد هذه الثورات عمدت الدول إلى استعمـار افريقية كما سنرى، وبدأت بما يعرف بحمـلات (سياسة إزالة العربية من إفريقيا) ومحورها الأساسى محاربة اللغة العربية إذ أنها المدخل لنشر العروبة والإسلام فى إفريقيا وإحلال اللغات الأوروبية محلها كاللاتينية (لغة الإنجيل) والفرنسية والإنجليزية وقد قام المبشرون بالتعاون مع الدوائر الإستعمارية فى تنفيذ هذه السياسة بقوة وحزم . وأما الآثار السلبية فإن المبشرون أسهموا بدون تخطيط وقصد إلى بعث الحركات التحررية فيما بعد إذ أنهم علموا الناشئة الإفريقيين القراءة والكتابة باللغات الأوروبية ومكنهم ذلك من الإطلاع والمعرفة لنوايا هؤلاء الأوروبيين ، وعندما ظهرت الطلائع الثورية ضد الإستعمار كانت من هؤلاء الطبقات المثقفة ثقافة مسيحية غربية ، وحتى كنائسهم طالبوا بإدارتها والإشراف عليها .

حركات الجهاد الإسلامى ضد التغلغل المسيحى فى إفريقيا :

لقد قامت عدة حركات لإحياء الرسلام والوقوف ضد التغلغل المسيحى الإستعمارى فى إفريقيا وشملت أنحاء متعددة من إفريقيا وأهم هذه الحركات التى تركت آثارا لازالت قائمة حتى اليوم ، وأصبحت جزءا من التاريخ الوطنى الإفريقى هى : –

أ – حركة الشيخ عثمان بن فودى ويكتب (Osman Dan Fadio):

فى المراجع الأجنبية والذى قاد حركة سلفية عمدت إلى إصلاح العقيدة الإسلامية فى منطقة بلاد الهوسا واستطاع أن يقود ثورة دينية ضد

الحكام المسلمين الذين بدأوا يخلطون الإسلام بالوثنية ، وأن يقف ضد التغلغل المسيحى فى غرب إفريقيا واستطاع أن يعود بالهوسا إلى نقاء الإسلام . وكلمة (فودى) بلغة الفلانين معناها (المعلم) ولد الشيخ عثمان فى سنة 1768 فى (مارتا) من أسرة عريقة فى العلم والبركة ، والفلانيون قوم من شمال إفريقيا نزحوا من منطقة السنغال إلى بلاد الهوسا واختلف فى أصولهم العريقة فالبعض يرجع أصلهم إلى الفنيقيين أو اليهود الذين نزحوا من شمال إفريقيا منذ عهود بعيدة والبعض يرجع أنهم خليط بين العرب والتولوكلور . وقد كان الشيخ عثمان يعمل معلما جاب معظم بلاد الهوسا ووقف على أحوالها الإجتماعية والإقتصادية . وكان يجيد التحدث باللغات العربية والفلانية والهوساوية ، إضافة إلى حسن أخلاقه وسيرته ، وعندما أعلن ثورته هذه أيده معظم العلماء المسلمين وأهمهم أخوه العالم الشيخ عبد الله بن فودى مؤلف كتاب (إبداع النسوخ فى من أخذت منهم من الشيوخ) ، وقد نجح فى ثورته وإقامة خلافة إسلامية سنة 1825 أطلق عليها (الخلافة الصكتية) أى أنها صحكت الأعداء صكا ، وقد ترك الشيخ عثمان العديد من المؤلفات الإسلامية التى تجعله فى مصاف العلماء المسلمين . كما ترك دولة قوية مكونة من سبعة إمارات هى كانو – رانو – وكتنة – وزكرك – ودورا – وغارن قبس – وغوبر . وتسمى بأمير المؤمنين وقد خلفه أبناؤه فى إدارة هذه الدولة التى خلقت رابطة وحدة فى نيجيريا ، الأمر الذى أزعج الدوائر الإستعمارية وخاصة بريطانيا التى كانت تطمع فى غرب إفريقيا وأخيرا كان التدخل العسكرى الذى أنتهى بمقتل

الخليفة الطاهر آخر خلفاء أسرة عثمان سنة 1903 . وقد هاجر من بقى من أسرة عثمان بن فودى برئاسة حياتو بن سعيد بن فودى إلى السودان العربى للإنضمام إلى الثورة المهدية التى قامت ضد الوجود البريطانى فى السودان .

ب - ثورة الأمير عبد القادر الجزائرى :

عندما قرر الفرنسيون إحتلال الجزائر قاموا بحصارها لمدة سنتين وعندما قررت فرنسا التدخل قاد وزير الحرب الفرنسى حملة من 36 ألف غزت الجزائر سنة 1830م . بعدها استسلم الداى ، لكن المقاومة الوطنية تفجرت بقيادة الأمير عبد القادر الجزائرى (1807 - 1883) وهو شاب متصوف من أسرة عربية عريقة استطاع ما بين (1830 - 1840) أن ينظم الجزائريين وأن يلحق هزائم متكررة على الفرنسيين ويجبرهم على توقيع هدنات فى بعض الأحيان . لقد كون الأمير عبد القادر جيشا قويا وجهزه بالأسلحة الحديثة وأقام معملا لصب المدافع ودورا للأسلحة فلجأ الفرنسيون إلى حرب الإبادة الشاملة وأعدوا لها عدتها وبعدها قام الجنرال بوجو بمهاجمة معسكرات الأمير عبد القادر وكان أخطرها الهجوم على معسكره الرئيسى الذى هاجمه الدوق دومال Domal . ونظرا لأسر أعداد كبيرة من قبيلته فقد اضطر إلى الإستسلام فى ديسمبر 1847 ، وأسر وأبعد إلى فرنسا ، ونسبة لأن المقاومة استمرت بعد أسره فقد أطلق سراحه واختار الإقامة الإختيارية فى دمشق بسوريا .

ج - ثورة الإمـام المهـــدى فى السودان الشرقى :

قام محمد أحمد بن عبد الله المهدى وهو من الأشراف وقد ولد بجزيرة لبب سنة 1843 بثورة إصلاحية تدعو إلى الرجوع إلى الإسلام إلى عهد الرسالة وقد استنكر الفساد الذى استشرى فى المجتمع والظلم الذى يعانيه السودانيين من التغلغل البريطانى (الذى كان يتستر تحت مظلة الحكم التركى المصرى) فأعلن المهدية والإعتماد على الله والجهاد فى سبيله . وبعد عدة معارك عسكرية حقق فيها العديد من الإنتصارات استطاع أن يحرر السودان كله من الحكم التركى فى مظهريه البريطانى والمصرى وأن يطرد كل البريطانيين من رحالة ومبشرين وشركات من السودان . والجدير بالذكر أنه قتل غلاة الإستعماريين المسيحيين مثل غردون الذى كان أحد أعمدة الإستعمار البريطانى وقد اشترك فى حرب القرم وحرب الأفيون فى الصين وبسبب عناده الإستعمارى وصلفه قتله أتباع الإمام المهدى فى قصره بالخرطوم سنة 1885 ، وأقام الإمام المهدى دولة إسلامية إستمرت بعد وفاته من سنة 1885 حتى سنة 1898 حيث خلفه عليها الخليفة عبد الله بن محمد ، الذى حكم السودان فى ظروف صعبة حتى عاد البريطانيون مرة أخرى (وهم يجرون معهم الجيش المصرى) وقد استشهد الخليفة عبد الله ببطولة ورجــولة فى أم دبيكرات بالنيل الأبيض سنة 1899 أمـام المدافع البريطانية وهو ساجد يصلى .

أسئلة للمراجعة

1- يدعى بعض الغربيون أن الإسلام انتشر فى إفريقيا بحد السيف . ناقش ذلك على ضوء الشواهد التاريخية ؟

2- ماهى الأشياء التى تجعل الإسلام أقرب إلى نفسية الإفريقى منها إلى المسيحية ؟

3- ارتبط الإسلام والمسيحية فى إفريقيا فى تاريخها الحديث بقضتين . وضح ذلك وإلى أى مدى أثرتا على إفريقيا ؟

4 - تحدث عن أهم حركات الجهاد الإسلامى التى قامت والتى وقفت أمام الزحف المسيحى الإستعمارى لإفريقيا ؟

5- اكتب مذكرات وافية عن :

1- غردون باشا .

2- الأب كمبونى Comboni .

3- الشيخ عثمان بن فودى .

4- ليوقارد .

5- الأمير عبد القادر الجزائرى .

الفصل السادس

الرحالة والشركات الأوروبية التجارية وجمعيات التبشير تمهد لقدوم الإستعمار

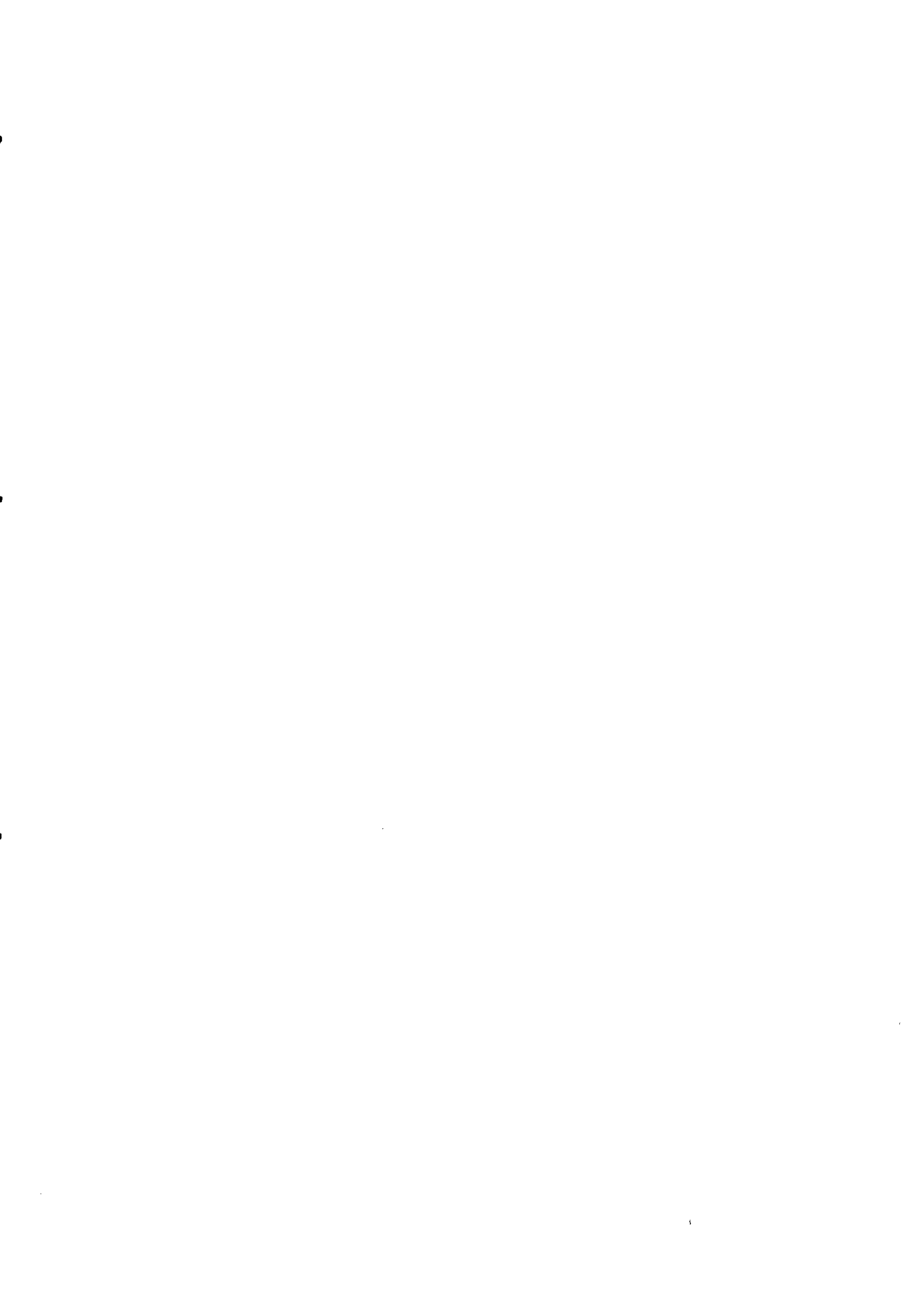

الفصل السادس

الرحالة والشركات الأوروبية التجاريةوجمعيات التبشير

تمهد لقدم الاستعمار

قام الرحالة والمكتشفون بدور هام فى كشف إفريقيا وتعريف العالم الأوروبى بها وامتد دورهم فى التمهيد للإستعمار ، وذلك بنشرهم تقارير رحلاتهم وكتبهم فى أوروبا بشكل واسع ، ويقسم بعض الكتاب المراحل التى مر بها كشف إفريقيا إلى **عدة مراحل لكل مرحلة خصائصها المميزة** : -

1- مرحلة الكشف الجغرافى الأول للجزر والسواحل ، وهى أولى المراحل والتى سبق أن أشرنا إليها فى حديثنا عن الكشوف الجغرافية .

2- مرحلة الكشف الجغرافى لأعماق إفريقيا وتتبع مناطق منابع الأنهار، وكان هدفها الوصول إلى الحقائق المتعلقة بهذه الأنهار ، وقد أسهمت الجمعيات الجغرافية وغيرها فى هذه المرحلة وهى فى الفترة ما بين 1769- 1873 م.

3 – مرحلة الكشف السياسى ، وهى التى ارتبط فيها الكشف بالأهداف السياسية وتبدأ برحلة ستانلى الذى جاب منطقة الكونغو وكان يعمل لصالح الملك ليوبولد واستمرت هذه المرحلة إلى ما بعد قرارات تقسيم إفريقيا بين الدول الأوروبية .

4- مرحلة الكشف العلمى ، وهى التى تزامنت مع المرحلة السابقة والتى تتمثل فى جهود العلماء والمبشرين فى راسة المناطق التى امتد اليها نفوذها واستمرت هذه المرحلة حتى ما بعد الإستعمار .

أما أهم الرحالة الذين تركوا بصماتهم فى تاريخ إفريقيا ومهدوا بشكل جدى لقدوم الإستعمار فهم : -

أ - صموئيل بيكر : -

بالاضافة إلى ما سبق ذكره من معلومات عنه ، فإنه قد أسلته الجمعية الجغرافية الملكية سنة 1863 م ، للبحث عن سبيك وجرانت اللذان سبقاه عن البحث عن النيل وتقابلا عند (غندكرو) ، وعرف منهما ما سمعاه عن البحيرة الواقعة فى جهة الغرب ، فتقدم اليها وطاف بها وأطلق عليها بحيرة ألبرت . كما شاهد المساقط المائية التى تنحدر فى شكل شلالات أطلق عليها اسم شلالات (مرشيزون) . وقد نشر كما سبق القول مؤلفاته عن رحلاته الكشفية هذه . وعندما قرر الخديوى اسماعيل الإستفادة بخبرات الأوروبيين كان بيكر من ضمن الذين عينهم الخديوى اسماعيل . فعين حاكما على مديرية خط الإستواء ، ولعب دورا مهما فى محاربة تجارة الرقيق فى هذه المديرية ، وكان من خلال كتاباته يدعو الجمعيات التبشيرية للحضور لإنقاذ هؤلاء الإفريقيين المساكين من سيطرة العرب .

ب – الرحالة لفنجستون (David Livingstone) :

هو اسكتلندى الأصل إنضم إلى هيئة تبشيرية مسيحية شجعته للقيام بعدة رحلات إلى أواسط وجنوب إفريقيا **ويمكن تقسيم جولاته على النحو التالى :**

في الفترة ما بين 1849 - 1856 م . تجول فى جنوب إفريقيا واكتشف بحيرة ناجامى Nagami ، جنوب غرب نهر الزمبيزى ووصل حتى مشارف شلالات فكتوريا وعاد بعد رحلة شاقة إلى بريطانيا وقد قام بنشر كتاب عن هذه الرحلة منحته جامعة أكسفورد الدكتوراه الفخرية فى الجغرافيا .

فى الفترة ما بين 1858 - 1864م . عينته انجلترا قنصلا عاما لها على الشاطىء الشرقى لإفريقيا ومقره فى مدينة الرأس Cape Town ومنها قام بجولة بين بحيرتى نياسا وتنجانيقا ومنها أبحر حتى الهند ثم رجع إلى بريطانيا .

فى الفترة ما بين 1866 - 1872 م قام لفنجستون بجولته الأخيرة بتكليف من الجمعية الملكية بلندن لتوضيح شبكة الأنهار والبحيرات فى وسط إفريقية خاصة بعد تضارب بعض الآراء حولها ومنابعها ومصباتها ، كما كلف أيضا بمحاربة تجارة الرقيق التى سبق أن كتب عنها فى رحلاته السابقة بطريقة مثيرة للرأى العام العالمى . ونظرا لانقطاع أخباره أرسلت الجمعية الملكية ستانلى لتقصى أخباره والتقى به فى الطرف الشمالى لبحيرة تنجانيقا وقد أكدا أنها بحيرة منفصلة وليس لها اتصال بمنابع النيل فى

الإستوائية ، كما كان يعتقد بيرتون . وتوفى فى أوائل مايو 1873 فى قرية تشيتامبو Chitamboo بإفريقيا وأخذت جثته ودفن فى مقابر المشاهير البريطانيين فى فناء وستمنستر West Minister Abbey .

ج - *الرحالة ستانلى :*

قام بتكليف أيضا من الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية فى بداية أمره بالقيام برحلة لتحقيق ثلاث أهداف هى : التأكد من أن بحيرة فكتوريا هى المنبع الرئيسى لنهر النيل وأن المجرى ينبثق منها بعد شلالات ريبون ، ثم الطواف حول بحيرة تنجانيقا وتأكيد ما وصل إليه لفنجستون أنها بحيرة منفصلة ولا علاقة لها ببحيرة فكتوريا ، ثم الوصول إلى نهر اللوالابا والتأكد هل متصل بنهر النيل أم بنهر الكونغو . وبعد أن اطلع ستانلى على ما كتبه الرحالة السابقون جمع عدته واستعد لرحلته التى بدأها للداخل من عند الساحل الشرقى الموازى لبحيرة فكتوريا حيث وصل إلى شلالات ريبون وشاهد المياه تندفع منها إلى الشمال وأطلق على هذا النيل(نيل فكتوريا) ، وتابع هذا النيل حتى دخل أوغندا وزار ملكها واكتشف أن نهر (كاجيرا) يصب فى البحيرة من الغرب ومنها يتابع نيل فكتوريا مجراه نحو الشمال وتأكد له أن بحيرة فكتوريا بحيرة واحدة ولا علاقة لها ببحيرة تنجانيقا .

أما الجزء الثانى من رحلته وهو نهر الكونغو فقد صادف فى أثناء تجواله أن التقى بالزعيم العربى محمد بن محمد المرجبى الذى اشتهر فى كتب

الرحالة باسم التبو تيب Tippu Tip والذى قد تجول فى هذه المناطق قبله فوصف له المنطقة وكل أنهارها واتفق معه على ارشاده هو واتباعه لاكتشاف نهر الكونغو وبعد رحلة شاقة وصلت الحملة حتى منطقة الشلالات فى نهر الكونغو حتى تأكدوا من إتصال نهر اللوالابا بالكونغو وأنه يجرى عبر إفريقيا الوسطى ليصب فى المحيط الأطلسى .

وقد وصف ستانلى منطقة وسط إفريقيا والثروات التى توجد بها من زيت النخيل والمطاط والأخشاب المتعددة والمعادن وأهمها النحاس والذهب ودعا الأوروبيين إلى الإسراع نحو إفريقيا للإستفادة منها ، كما دعا إلى إنقاذ أهلها من الأمراض والأوبئة ودعا المبشرين للقيام بدورهم الدينى تجاههم . وفى فترة التكالب الإستعمارى كان ذراع الملك ليوبولد فى إنشاء دولة الكونغو الحرة وتنظيمها ، كما أختير باتفاق انجلترا وأمريكا وفرنسا لقيادة حملة (إنجاد أمين باشا) فى المديرية الإستوائية نحور الصراع الأوروبى على قلب إفريقيا ومنابع النيل وقد كتب مؤلف من جزأين وصف فيه كل أحداث هذه الفترة ما بين 1891 -1894 م . وسماه فى مجاهل إفريقيا In Darknest Africa 1890 .

أما الجمعيات التبشيرية والمبشرون فقد لعبوا دورا هاما فى التمهيد لقدوم الإستعمار إذ أنهم توغلوا بين الغابات والأحراش وعملوا بين الإفريقيين ودرسوا عاداتهم ولغاتهم وتقاليدهم وكتبوا عن ذلك فى المجلات والجرائد الأوروبية يحثون فيها دولهم على القدوم نحو إفريقيا وأهم الجمعيات

التبشيرية التى عملت فى إفريقيا هى : -

أ - *جمعية آباء فيرونا* :

وهى جمعية إيطالية تتبع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية المقدسة وتركز عملها فى مناطق وسط إفريقيا وجنوب السودان وبما أن المبشرين فيها أصلا من الفلاحين الإيطاليين فقد استطاعوا التأقلم على المناخ الإستوائى والأمراض وأما المراكز التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية المقدسة هى ما يلى :

- مركز تبشير تونجا 1904 - Tonga
- مركز تبشير مبلى 1904 - Mibulli
- مركز تبشير كيانجو 1904 - Kayango
- مركز تبشير بشرى 1905 - Bushary
- مركز تبشير لول Lul

وقد كانت هذه الجمعية تتلقى دعما ماديا من معظم كاثوليك أوروبا مما جعلها من أقوى الجمعيات التبشيرية فى إفريقيا ومن أهم المبشرين الذين أسهموا فى العمل التبشيرى فيها الأب كمبونى الذى اشتهر بجنوب السودان وأنشأ مدارس كمبونى فى الخرطوم .

ب – جمعية البريطانيين المبشـــرين :

وهى جمعية تبشيرية بروتستانتية بريطانية ، وهى الجمعية التى تزعمت حركة استغلال العاطفة الدينية والقومية لدى الشعب الإنجليزى والتى تولدت بعد مقتل غردون فى الخرطوم على أيدى المسلمين المهديين واستطاعت فرض إرادتها على الشعب الإنجليزى ليساهم فى استعمار السودان ورغم أنها كانت تحظى بتأييد الحكام البريطانيين فى أوغندا وجنوب السودان إلا أنها كانت أقل نشاطا وإمكانيات من الكنيسة الرومانية ، ويعزى ذلك لانشغالها فى التبشير فى أواسط السودان وجبال النوبة . وقد أنشأت العديد من المراكز فى المديريات الجنوبية وأوغندا وأهم مراكزها : –

– مركز تبشير مابو مالى Mabumali 1900

– مركز تبشير مبلى Mable 1901

– مركز تبشير يامبيو Yambio 1916

وقد كانت هذه الجمعية تقدم النصح والإرشاد للإداريين البريطانيين والذين كانوا يعملون بإرشاداتها ومن أشهر المبشرين الذين عملوا فى هذه الجمعية الأب Kitching L. الذى كتب كتابا عن نشاط هذه الجمعية أسماه (من الظلام إلى النور) From Darkness to Light ، وأيضا المبشر جوينى Guwynce الذى مكث مدة طويلة فى أوغندا والسوادن وكتب العديد من المؤلفات يدعو فيها البريطانين إلى الإسراع إلى جنة إفريقيا .

ج - جمعية المبشرين المتحـدة :

وهى تتبع الإرسالية الأمريكية وقد ارتبط نشاطها بنشاط الكنيسة المسيحية بأمريكا الشمالية وهى كنيسة البرمبتارين The Bresbyterian Churchy وكان نشاطها قد بدأ فى مصر ثم امتد إلى السودان وأوغندا وقد تمكنت بعد تحديد مناطق النفوذ من فتح **عدة مراكز أهمها** :

- مركز تبشيرى جبل دوليب Dolib Hill - 1899
- مركز تبشيرى الناصر 1910 - El Nasir

ويلاحظ أن هـذه الجـمـعـية تختـلف فى أسلوبهـا عن الجـمـعـيـات الأخرى ذ كانت تهتم بالتعليم الحرفى والمهنى ولم توزع جهودها فى مراكز عديدة .

وقد أدى التسابق بين الكنائس فى جنوب السودان خاصة إلى ارتباط ذلك بما سمى مناطق النفوذ الجغرافية أى أن كل كنيسة حازت على رقعة من الأرض واعتبرتها منطقة نفوذ تابعة لها والغرض من ذلك تنظيم عمليات التبشير لكل كنيسة على حدة لمباشرة أعمالها دون أن يحدث بينهما أى تصادم أو تصارع وتسمى هذه المناطق مناطق النفوذ ، وأدى التسابق بين الكنائس إلى بذر بذور الخلاف الكنائسى حول المسيحية فى أوغندا وجنوب السودان فأنقسمت المجتمعات الإفريقية إلى كاثوليكية وبروتستانتية رغم وجودها فى منطقة واحدة أو فى مدينة واحدة .

وكانت أهم المناطق التى دار حولها النزاع بين الكنيستين الكبيرتين

الرومانية الكاثوليكية المقدسة والكنيسة الإنجليزية هى منطقة إقليم حاجز اللادو The Lado Enclave لما يتمتع به من موقع استراتيجى فى المنطقة الإستوائية .

أما الهدف الأساسى الذى كانت تعمل فى إطاره كل الجمعيات هو إزالة الآثار العربية من إفريقيا وتنصيرها ، وسميت هذه السياسة بسياسة : (اللاتعريب) ، أى محو العروبة ، وكل كنيسة لها الحرية فى ابتكار السبل التى تحقق بها هذه الرسالة ، واستمرت هذه السياسة متصلة حتى عهد الإستعمار الذى كرس كل جهد لتثبيت هذه السياسة . وأما الأساليب التى اتبعتها هذه الجمعيات فى **تحقيق أهدافها فكانت تمثل فيما يلى :**

1- تعليم الإفريقيين مبادىء القراءة والكتابة ونظرا لعدم وجود مدارس مؤسسة فى ذلك الوقت فكان يتم تعليم الإفريقيين فى مدارس الأحراش وكان التعليم باللغات الأوروبية .

2- تلقين الأطفال الإفريقيين مبادىء أولية عن الدين المسيحى من طريق الأنغام الموقعة والموسيقس التى تستهوى الإفريقى .

3- تقديم الخدمات العلاجية البشرية أو الحيوانية فى عيادات متنقلة بين القبائل ، وكان التركيز على الخدمات العلاجية وخاصة للأبقار التى تعتبر حيوانات مقدسة عند بعض الإفريقيين .

أما عن دور الشركات الأوروبية فى التمهيد لقدوم الإستعمار فكان كمايلى :

لقد كانت الشركات التجارية تتبع الى الدول الأوروبية وتحظى برعايتها وكثيرا ما كانت هذه الشركات تحل محل الحكومات فى بعض الأحيان وأهم هذه الشركات التى عرفت علاقتها بأفريقيا هى :

أ- شـركة الهـند الشـرقية الهولندية :

تأسست هذه الشركة سنة 1602م . للعمل فى الطريق الجديد المؤدى للهند والشرق وكانت هولندا قد انتزعت السيادة البحرية من البرتغال وقد منحتها الحكومة الهولندية حرية العمل فيما يتعلق بالملاحة والتجارة فقامت هذه الشركة بإنشاء العديد من المحطات فى منطقة الكيب لمواجهة هجمات (الهوتنتون) الذين اندفعوا أمام الزحف الهولندى إلى الركن الجنوبى من القارة ، وقد ساهمت الشركة فى الإستحواذ على مساحات شاسعة من الأراضى لإقامة مخازن للقمح ومحطات ملاحية لتزويد السفن بالأخشاب والخضروات واللحوم . وقد لعبت هذه الشركة فى نقل أعداد كبيرة من البوير إلى جنوب إفريقيا وساهموا فى تعمير الأراضى وزراعتها بمحاصيل مختلفة كما أن هذه الشركة أيضا ساهمت فى تجارة الرقيق .

ب - الشـركة البريطـانية لجـنوب إفريقـيا :

تأسست هذه الشركة سنة 1881م . بإلحاح من المستثمر رودس Rodes ، وذلك للعمل فى مجال التعدين وقد استغل رودس هذه الشركة لتحقيق أطماعه فى إقامة مستعمرة فى جنوب إفريقيا وقد بدأ فى إنشاء قوة عسكرية مسلحة بدعوى حماية الذين يقومون بأعمال التنقيب والحفر وأعمال التعدين وانتهى أمره بالسيطرة على معظم الأراضى فى جنوب إفريقيا والتى

كان يملكها الملك (لوبنجويلا) ملك شعب المتابلى وقد استاء الملك من الشركة فكتب إلى الملكة فكتوريا يرجوها أن تحميه من الشركة الإنجليزية التى تسيء إلى شعبه . واستمر رودس فى مخططه الإستعمارى يشترى الأراضى لصالح الشركة ويوسع أعماله التجارية ، وكان للشركة أسطول تجارى ضخم يعمل بين جنوب إفريقيا والهند . وعندما قرر مؤتمر برلين سنة 1885 م . مناطق النفوذ كانت بريطانيا قد ادعت سلطتها على جميع اراضى جنوب إفريقيا التى كانت مسجلة باسم الشركة وهى الترانسفال حتى بحيرة تنجانيقا شمالا وحتى مدينة الرأس جنوبا واتجهت إلى إدارتها فى شكل إتحادات إقليمية أطلق عليها إتحاد جنوب ووسط إفريقيا .

ومن الشركات البريطانية الأخرى التى كانت تعمل لحساب الحكومة البريطانية شركة سيراليون التى تأسست سنة 1787م . ومنحت امتيازا لتأسيس مستعمرة سيراليون . وقد لعبت هذه الشركة دورا هاما فى نقل الرقيق المحرر من بريطانيا وأوروبا وأمريكا إلى إفريقيا بواسطة أسطولها التجارى البحرى ، ثم بعد استقرار الزنوج المحررين عملت على بسط نفوذها فى غامبيا وساحل الذهب ولاجوس وسميت تلك الأراضى فيما بعد المستعمرات البريطانية فى غرب افريقيا .

وأيضا من الشركات البريطانية الأخرى شركة النيجر للملاحة والتى مكنت بريطانيا من أن يمتد نفوذها على طول مجرى نهر النيجر وفرعه بنوى

وإخضاع السلطنات الإسلامية وإهمها سلطنة الصكتو (Sokoto) وانتهى الأمر بأن خضعت جميع هذه الأراضى فيما بعد للحكومة البريطانية وأطلق عليها (المحمية البريطانية لنيجريا) .

شـــركة الجمعية الألمانيـة للإستعمـــار :

أسسها الدكتور كارل بيترز وبعض الإستعماريين الألمان وكان الغرض من تأسيسها هو القيام بمشروعات استعمارية فى إفريقيا . وقد مارست نشاطها فى منطقة شرق إفريقيا فى المنطقة الواقعة حاليا خلف (دار السلام) وقد عقدت الشركة العديد من الإتفاقيات مع سلاطين القبائل وبموجب هذه الإتفاقيات تنازل هؤلاء الشيوخ للشركة التى كان يمثلها كارل ورفاقه عن مساحات شاسعة من الأراضى تقدر بحوالى 60000 ألف ميل مربع .

وعند قيام مؤتمر برلين 1885 م . أعلنت الحكومة الألمانية للدول المؤتمرة بما حصلت عليه الشركة الألمانية من أراضى تكون بموجب القانون الألمانى واقعة تحت السيادة الألمانية وذلك يتمشى مع المادة 24 من قرارات مؤتمر برلين .

وقد كانت هناك شركات ألمانية أخرى تعمل فى مناطق متعددةمن إفريقيا كلها تحظى برعاية الحكومة الألمانية مثل شركة ناختيجال Nachigal التى تكونت من مجموعة من التجار الألمان وكانت تعمل فى منطقة الكاميرون حيث عقدت الشركة العديد من الإتفاقيات مع زعماء القبائل مقابل هدايا رمزية وبعض البضائع وأصبحت هذه المنطقة من مناطق النفوذ

الألمانى فى غرب إفريقيا .

وشركة شرق إفريقيا الألمانية التى كانت تعمل فى منطقة زنجبار فى المناطق الواقعة خلف المناطق التى تقع تحت سيادة سلطان زنجبار السلطان برقش ، وقد أدى عمل الشركة إلى تصادم مع انجلترا حيث كانت بريطانيا تنظر إلى هذه المناطق ، وكان لابد من انجلترا حيث كانت بريطانيا تنظر إلى هذه المناطق ، وكان لابد من اتفاق الدولتين على اقتسام المناطق الداخلية هذه فكونت لجنة لفض النزاع بينهما واتفقت الدولتان سنة 1886 وانتهت إلى عقد الإتفاقية الألمانية البريطانية لتسوية النزاع .

أسئلة للمراجعة

1- تحدث بصفة عامة عن الدور الذى لعبه الرحالة والجمعيات التبشيرية والشركات الأوروبية فى التمهيد لقدوم الإستعمار . (بإختصار) ؟

2- تكلم عن الجمعيات التبشيرية والرحالة والشركات البريطانية التى مهدت للإستعمار البريطانى ؟

3- تكلم عن أهداف الجمعيات التبشيرية وأسلوب عملها فى التبشير مع ذكر بعض الأمثلة ؟

4- عرف مامعنى مناطق النفوذ الكنيسية ، ومناطق النفوذ التجارية ، وما أثر ذلك على عملية الإستعمار ؟

5- أكتب مذكرات وافية عن :

1 - سايسل رودس .

2- غردون باشا .

3- الأب ماكاى .

4- شركة الهند الشرقية البريطانية .

5- شركة سيراليون البريطانية .

الفصل السابع
التكالب الإستعمارى الأوروبى على إفريقيا
خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

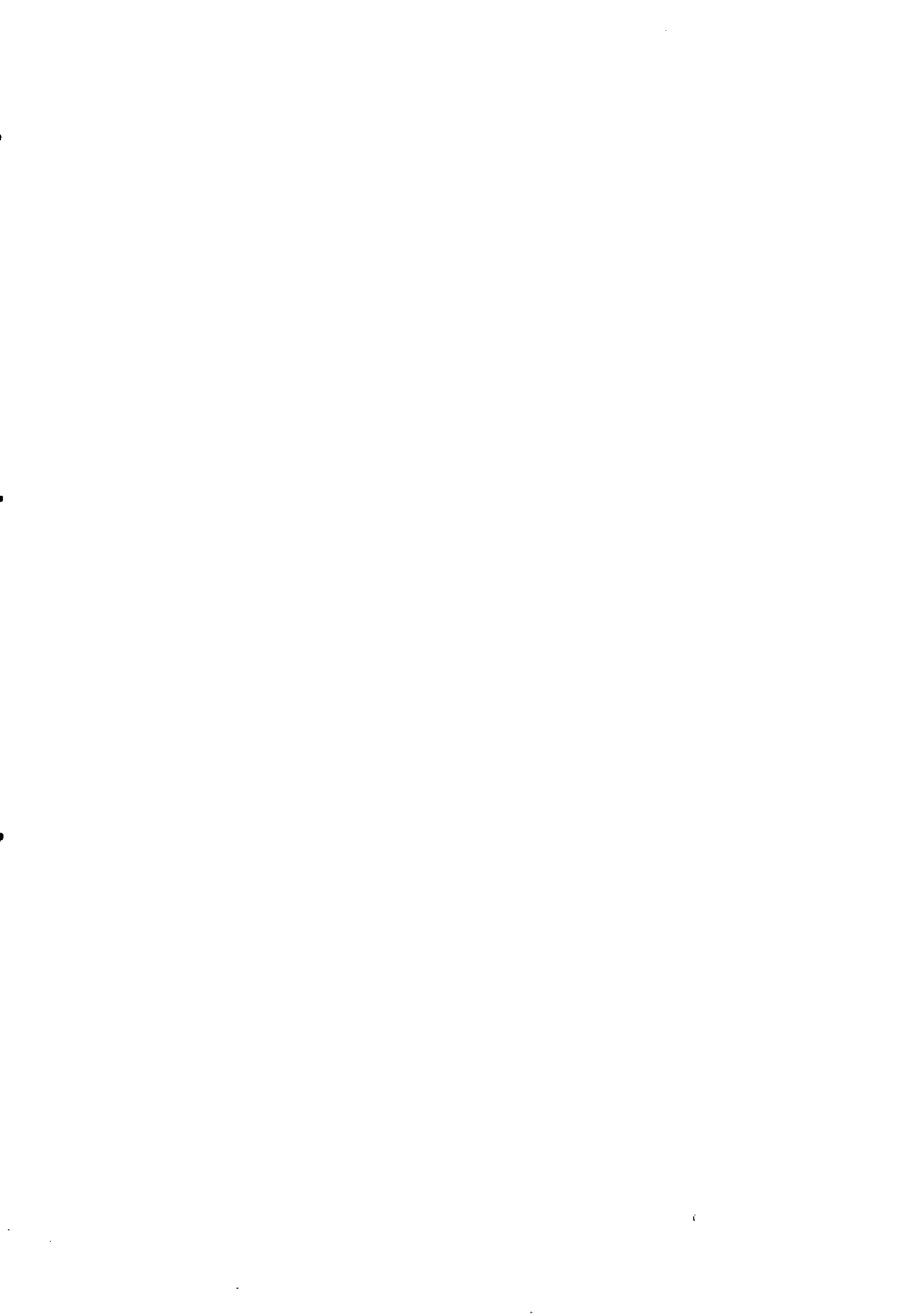

الفصل السابع

التكالب الإستعمارى الأوروبى على إفريقيـــا

خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

إن الفترة التى جاءت بعد فترة تجارة الرقيق فى إفريقيا هى فترة اهتمام أوروبا بالقارة الإفريقية وقد تميزت بالنشاط الدبلوماسى الذى قام به قناصل الدول الأوروبية وسعيهم الى تقسيم إفريقيا إلى مناطق نفوذ وقد أسفر هذا النشاط فى نهاية الأمر إلى خضوع إفريقيا إلى الإستعمارى الأوروبى وعليه رأيت إلقاء الضوء على هذه الفترة التى تعتبر فترة هامة فى تاريخ إفريقيا .

إن ما جاء فى بعض المصادر التاريخية يفيد بأنه كانت توجد علاقات بين أوروبا وإفريقيا قبيل هذه الفترة وكان روادها التجار والرحالة والمكتشفون ، ففى غرب إفريقيا وصل البرتغاليون فى فترة هنرى الملاح حتى نهر السنغال سنة 1442 ، ثم توغلوا إلى ساحل الذهب واكتشفوا نهرى النيجر والكنغو ثم امتدت حركتهم ووصلوا حتى رأس الرجاء الصالح سنة 1488م . وقد كانوا ينشئون الموانى والقلاع فى المناطق التى يكتشفونها دون التوغل فى الأراضى الداخلية وقد ساعدت هذه البدايات الرحالة فاسكو دى جاما حول رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الجانب الشرقى من القارة الإفريقية ثم إلى الهند ، ولم يجد البرتغاليون من ينافسهم من القوى الأوروبية فى بادىء الأمر لأن انجلترا وأسبانيا وفرنسا كانت مهتمة بالتنافس

الإستعمارى فى الأراضى الجديدة .

وفى القرن السادس عشر بدأ البريطانيون والفرنسيون والهولنديون يهتمون بأمر أفريقيا بعد أن حدث تحول فى ميزان القوى الأوروبية فلم يعد الأسبان هم سادة البحار خاصة بعد أن حطم الإنجليز أسطولهم المسمى بـ (الأرمادا) فى سنة 1588م . وظهور الأسطول البريطانى كبديل له . وبعد انتهاء حرب السبع سنوات فى أوروبا ، أصبحت كل من بريطانيا وهولندا وفرنسا دول لها وزنها فى أوروبا وفى خارجها ، ولم يكد القرن السابع عشر يبدأ حتى كانت لهذه الدول مستعمراتها التابعة لها فى الأراضى الجديدة **ويمكن تصنيف هذه المستعمرات على النحو التالى : -**

أ - المستعمرات البريطانية :

وهى تشمل كل الشاطىء الشرقى لأمريكا الشمالية فى المنطقة الواقعةما بين خليج سان لوران شمالا وفلوريدا جنوبا وقد أسست فيها ثلاثة عشر مستعمرة جديدة .

ب - المستعمرات الفرنسية :

وهى تشمل معظم (كندا) الحالية والأجزاء الغربية من أمريكا الشمالية حتى المكسيكو وهى ذات مساحات واسعة .

وجميع هذه المستعمرات أنشئت على حساب إبادة العناصر الأصلية من الهنود الحمر ، وقد جرت عدة معارك دامية فى سبيل السيطرة الأوروبية على

هذه الأراضى . وبما أن تعمير هذه الأراضى اعتمد أساسا على الزراعة فقد أصبحت هناك حاجة ملحة لاستجلاب أيد عاملة تقوم باستصلاح الأراضى وزراعتها وبما أن تجارة الرقيق آنذاك كانت تجارة رائجة فقد عمدت أوروبا إلى أخذ الإفريقيين قسرا من بلادهم إلى الأراضى الجديدة ، وقد استعملت أساليب فى غاية القسوة لجمع الإفريقيين فى الشواطىء بعد اصطيادهم بالسلاح النارى أو شرائهم من الزعماء الإفريقيين الذين يعملون بالنخاسة وكانت مراكز التجميع هذه قد أنشئت على طول الساحل الإفريقى المواجه لأمريكا ، وكان يتم نقل هؤلاء الإفريقيين بالسفن الكبيرة عابرة المحيط .

وبخلاف ذلك فقد ظل تدخل الأوروبيين فى إفريقيا محدودا وذلك حتى سنة 1860م . **ولعل الأسباب التى جعلت تدخلهم محدودا تتلخص فى الآتى :**

أ - أن المناطق الداخلية فى إفريقيا كانت عبارة عن أحراش وغابات تكثر فيها الأمراض والأوبئة التى تسببت فى موت بعض الرحالة ولذلك فإن تغلغل الأوروبيين انحصر فى السواحل حيث اكتفوا بأخذ الرقيق منها .

ب - إن إنجلترا وفرنسا وهولندا كانت كلها منصرفة إلى تدعيم وجودها فى أوروبا من جهة وفى المستعمرات التابعة لها من جهة أخرى فى كل الأرضى الجديدة ونيوزيلنده واستراليا والهند وقد تطلب وجودها فى بعض الأحيان الإصطدام مع الثورات المحلية التى كانت تنشب من حين لآخر .

ج – إن أوروبا بصفة عامة كانت تعيش مشاكلها الخاصة بها إذ أنها كانت فى حالة مخاض أسفر فيما بعد عن ظهور الدول القومية .

وفى بداية سنة 1860 بدأت فى أوروبا موجة من الإتجاه عن النظم التقليدية ورفع شعارات تقدمية كالإشتراكية والديمقراطية ولم يصمد بلد أوروبى أمام هذه الموجة سوى بريطانيا وذلك لعدة أسباب أهمها أنها استطاعت أن تقود الحركة الصناعية وأن تنشىء الأساطيل البحرية التجارية والعسكرية مما جعلها فى وضع مميز وأصبحت تجارتها رائجة وذات اتصال مع العالم القديم . ولذلك لم تتأثر بالحركات الثورية وبقيت محافظة على نظامها السياسى الملكى كما أنها الدولة الأوروبية الوحيدة التى كانت لها مستعمرات تابعة لها فى الدنيا الجديدة .

وحيث أن ظاهرة الإستعمار أصبحت ظاهرة دولية ونسبة لأن التحولات التى حدثت فى أمريكا واتجاهها نحو الإستقلال من بريطانيا تدريجيا فقد بدأ الإقتصاديون البريطانيون يتذمرون من كساد التجارة مع أمريكا فاتجهت أنظارهم نحو إفريقيا ، وقد كانت بريطانيا تضع أنظارها على إفريقيا منذ أمد بعيد وكانت تتبع سياسة النفس الطويل بالتسرب البطىء نحو إفريقيا متخذة وسيلتين لتحقيق هذه التسرب وهما :

أ – خلق علاقات ودية مع رؤساء القبائل والحكام المحليين بواسطة التجار والمبشرين .

ب – عدم التورط فى سياسة معينة مع الدول الإفريقية بحيث تكون غير

مقيدة بأى التزامات تجاهها .

وقد شجعت حالة الضعف والتدهور التى شهدتها إفريقيا الدول الأوروبية علىالإسراع فى التكالب عليها ولاسيما المناطق الشمالية لإفريقيا والتى هى جزء من الوطن العربى وتخضع للحكم العثمانى . ففى مصر فإن خلفاء محمد على باشا لم يستطيعوا المحافظة على الإمبراطورية التى أنشأها فى إفريقيا وامتدت حتى السودان ومصوع والصومال وتورطوا فى الديون المالية من الدول الأوروبية ، وأيضا فإن الحكم التركى فى شمال إفريقيا أصبح غير قادر على الإستجابة لطموحات مواطنيه وانحصر جل همه فى استنزاف موارد هذه البلاد لمصلحة حكامه ولم يعد فى مقدور الحكام المحليين المحافظة علىاستقلالهم إذ أنهم كانوا أيضا يعانون من أزمات مالية ففى سنة 1867 كانت كل من فرنسا وايطاليا وبريطانيا قد سيطروا على إدارة النقد فى تونس والجزائر وليبيا بواسطة المصارف الأوروبية التى أنشئت خصيصا كقنوات ينقذ من خلالها التسرب الأوروبى . وفى سنة 1869 كانت الأزمة المالية الطاحنة فى مصر تواجه الخديوى اسماعيل الذى تورط أيضا فى الاستعانة بخبرات الأجانب فى تسيير أمور امبراطوريته الإفريقية ولم يعد قادرا على الإلتزام بتسديد ديونه وخاصة تموين جيوشه . فلذلك طالبت كل من فرنسا وانجلترا بحق التدخل فى إدارة الشئون المالية فى مصر وذلك لتضمنا سداد ديونها على مصر والتى سبق أن صرفتاها فى حفر قناة السويس ، وأنشئت وظيفتا المراقب المالى والإدارى ويشغلها فرنسى وبريطانى ، وبذلك أصبحت بريطانيا تمهد نحو التغلغل فى مصر لاسيما بعد شرائها لأسهم الخديوى إسماعيل

فى شركة قناة السويس ثما أصبحت تتحكم فى تجارة الدولية المتجهة إلى الهند والشرق الأدنى وقد ارتبطت السيطرة البريطانية على مصر أيضا بسيطرتها على قبرص ومالطا وجاء اعتراف برلين بحق بريطانيا فى قبرص ومالطا تمكينا لهذه السيطرة . والجدير بالذكر أن الشركة البريطانية الهندية لشرق إفريقيا والتى يرأسها السير ماكينون قد أصبحت ذات علاقة قوية مع حاكم زنجبار فى شرق إفريقيا .

وقد أدى التدهور فى الحكم التركى إلى قيام العديد من الثورات الوطنية ضده فى كثير من البلاد العربية والإفريقية . وأهم الثورات الوطنية التى قامت ضده فى الوطن العربى هى الثورة المهدية فى السودان وقد جاءت رافضة للوجود التركى فى مظهريه المصرى والبريطانى حيث استغل البريطانيون صفتهم الإدارية التى تم تعيينهم بها فى إدارة السودان فى التمهيد للغزو الإستعمارى للسودان فيما بعد وفى محاربة التوسع الإسلامى العربى تحت ستار محاربة تجارة الرقيق ولقد كان للثورة المهدية انعكاساتها فى الوطن العربى حيث قامت على أرضه ثورات وطنية أخرى مماثلة وتأثرت بها أيضا إفريقيا مثل ما حدث فى الصومال وأثيوبيا وأوغندا .

وقد تزامن هذا التدهور فى الحكم التركى فى الوطن العربى وإفريقيا حدوث حالة استقرار وتحسن فى أوروبا إذ أن بروسيا كانت قد هزمت نابليون الثالث وقامت فيها الوحدة الألمانية بعد ذلك ، وأيضا ايطاليا فقد تدعمت وحدتها وأصبحت دولة ذات ثقل وبدأت تفكر فى تثبيت دعائم حكمها

والنظر لمصالحها فى إفريقيا خاصة بعد أن تغلغلت بريطانيا فى إفريقيا من بوابتها الشمالية عبر مصر ، وتجدر الإشارة إلى أن بريطانيا كانت قد استفادت من بوابتها الشمالية عبر مصر ، وتجدر الإشارة إلى أن بريطانيا كانت قد استفادت من الحملة الإعلامية التى سادت فى أوروبا ضد ما يعرف بمحاربة تجارة الرقيق فأوعزت إلى الخديوى اسماعيل باستصدار فرمانات سلطانية تقضى بتحريم تجارة الرقيق فى أملاكه وتبع هذه الفرمانات تعيين بعض الأوروبيين لتنفيذ هذه الحماية ومن أشهرهم غزدون باشا وصمويل بيكر اللذين عملا لمحاربة التجارة فى السودان وأوغندا ، وكذلك دفعوا السلطان برقش سلطان زنجبار إلى اتخاذ نفس الإجراء وأيدوه فى إنشاء مراكز تفتيش تجارية لمراقبة السفن على طول الساحل الشرقى لإفريقيا . ولم تكن حركة بريطانيا لمحاربة تجارة الرق مبعثها الأكيد هو دافع انسانى كما جاء فى كتابات الأوروبيين وإنما كانت تهدف من وراء ذلك إلى إيجاد موضع قدم لها فى أهم البلاد الإفريقية وهى مصر وزنجبار باعتبارهما البؤرتين اللتين ينطلق منهما المد العربى الإسلامى إلى داخل إفريقيا ، وقد كشفت الثورة المهدية بالسودان ذلك المخطط سنة 1885 ، حيث أزعج البريطانيين قيامها ، فعملوا على إسقاطها عسكريا سنة 1898 .

وأما بقية الدول الأوروبية فقد تغلغلت أيضا فى إفريقيا كل حسب أهدافه ومراميه وأطماعه فتحركت الجيوش الفرنسية نحو شمال إفريقيا فاحتلت تونس سنة 1881 ، وكذلك اتجهت ايطاليا صوب أرتريا وأثيوبيا وليبيا . والجدير بالذكر أن الفترة مابين سنة 1870 و 1890 كانت فترة تحول فى

السياسة الأوروبية تجاه أوروبا حيث ظهرت شخصية بسمارك السياسى الألمانى الداهية والذى قام بدور مهم فى أحداث أوروبا إذ أنه فى سبيل جعل ألمانيا هى الدولة الأوروبية الكبرى والقوية فى أوروبا فقد أحاطها بسلسلة من المحالفات والاتفاقيات فى أعقاب مؤتمر برلين 1878 ، والذى انعقد للنظر فى المسألة الشرقية ، وقد كانت سياسة بسمارك ترمى إلى ايجاد تنافس أوروبى دولى خارج أوروبا تكون ألمانيا بعيدة عنه . فكان هذا المؤتمر بمثابة إشارة المرور نحو التحرك إلى استعمار إفريقيا فتحركت قوات بريطانية نحو احتلال قبرص سنة 1880 ، ثم منها إلى احتلال مصر سنة 1882 ، وكذلك تحركت قوات فرنسية نحو احتلال تونس سنة 1881 ، وأيدتها ألمانيا فى احتلالها لها ونشطت فرنسا بعد ذلك فى استعادة نفوذها فى السنغال حيث دعمت وجودها هناك ووضعت خطة تهدف نحو التحرك إلى النيجر . أما ايطاليا فرغم أنها كانت تنظر إلى تونس وأنها لم ترض عن تصرف فرنسا إلا أنها وبإيعاز من بسمارك اتجهت صوب الحبشة فى إفريقيا ، ولعل هناك اتفاقا سريا تم بين فرنسا وايطاليا نحو التنسيق بينهما فى مجال المستعمرات فى إفريقيا باعتبارهما دولتين مسيحيتين فبينما نجد أن نشاط فرنسا انحصر فى الجزء الغربى نجد أن ايطاليا اتجهت إلى شرق إفريقيا .

وقد اعتمدت الدول الأوروبية فى تحركها هذا بناء على التقارير والمعلومات والدراسات التى تمت إما بواسطة الرحالة الأوروبيين الذين توغلوا فى إفريقيا من كل الإتجاهات أو بواسطة المبشرين المسيحيين الذين زاروا إفريقيا وعملوا على محو الصورة القاتمة التى كانت قد تركتها بصمات

أجدادهم الذين استباحوا إفريقيا فى عمليات تجارة الرقيق فيما بين القرنين 15 / 16 .

وعندما حلت سنة 1880 اتضح أن الغلاف الدولى قد سقط وانكشفت مطامع ليوبولد الشخصية فى الكنغو وكانت فرنسا قد تنبهت لذلك فأرسلت بعثة علمية بقيادة المكتشف دى برازا لإقامة منطقة نفوذ فرنسى هناك ، ونجح دى برازا فى عقد اتفاقيات مع الزعماء الإفريقيين فى الشاطىء الشمالى لنهر الكنغو سنة 1882. وبذلك وضع حجر الأساس لمستعمرتى الكنغو براز افيل والجابون ، وحفز هذا العمل الرحالة ستانلى الذى يعمل لمصالح الملك ليوبولد ليقوم بعقد اتفاقيات مماثلة . وأزعج هذا التحرك من فرنسا وبلجيكا بريطانيا التى سارعت لجمع المعلومات عن المخططات الفرنسية فى غرب إفريقيا وفاجأت العالم باحتلالها لمصر سنة 1882 . وقد ساهمت السياسة الألمانية تحت قيادة بسمارك إلى زيادة الصراع بين فرنسا وبريطانيا عندما رحبت ألمانيا باحتلال بريطانيا لمصر وذلك فى مقابل عضويتها فى صندوق الدين . ورغم ذلك لم تر بريطانيا فى هذه المرحلة مايستدعى دخولها فى المنافسة فى إفريقيا بضم أراضى واقامة مستعمرات فى غرب إفريقيا ولو أنها كانت مقتنعة بضرورة حماية تجارتها عن طريق المعاهدات الثنائية والاتفاقات مع زعماء القبائل بإشراف وزارة الخارجية البريطانية وبذلك تسد الطريق أمام أى نشاط فرنسى محتمل فى غرب إفريقيا . وفى مقاومة النفوذ البلجيكى والفرنسى فى الكنغو أثارت بريطانيا البرتغال للمطالبة بحقوقها القديمة فى المنطقة فعقدت معاهدة سنة 1884 ،

واعترفت فيها بريطانيا بحقوق البرتغال فى مصب نهر الكنغو فى مقابل السماح للتجار والمبشرين البريطانيين فى التجول فى المنطقة .

وقد أثار موضوع التاجر الألمانى الذى يعمل فى منطقة (ناميبيا) حاليا ، الخلاف بين بريطانيا والمانيا حيث أن بريطانيا رفضت وجوده فيها لأنها من ضمن المناطق التى وضعت بريطانيا يدها عليها ، وقرر بسمارك إزاء هذا الصلف البريطانى إقامة مستعمرات فى إفريقيا ويعتبر قراره هذا تحول فى السياسة الألمانية التى لم تكن تنوى التورط فى سياسة استعمارية والدخول فى تنافس مع بريطانيا وفرنسا واتخذ بسمارك خطوات فعلية لتنفيذ هذه السياسة عندما أعلن أن منطقة جنوب غرب إفريقيا بأكملها تحت الحماية الألمانية وفى نفس الوقت عرض لوزير المستعمرات الفرنسى زغبته فى التعاون ضد بريطانيا فوافق وأعلنت الدولتان اعتراضهما وعدم اعترافهما بالمعاهدة البرتغالية البريطانية حول الكنغو . وفى يونيو 1884 وضحت لبريطانيا رؤية عزلتها فاعترفت بحماية ألمانيا لجنوب غرب إفريقيا ولكن بعد فوات الأوان إذ أن التقارب بين فرنسا وألمانيا قد قطع شوطا بعيدا وظهر ذلك فى مؤتمر لندن سنة 1884 عندما انحازت ألمانيا لفرنسا ووافقتا على ضم ألمانيا للكاميرون وتوجولاند وهما يقعان بالقرب من مناطق النفوذ البريطانية وفى أغسطس توسعت ألمانيا فى جنوب إفريقيا فضمت كل الساحل بين الكاب وأنجولا ، وفى أكتوبر سنة 1884 وصل التفاهم الألمانى ذروته عندما قدمتا دعوة مشتركة لبريطانيا لحضور مؤتمر برلين بهدف بحث المسائل الدولية وتنسيق التفاهم حول نهرى الكنغو والنيجر ووضع خطة متفق عليها.

مؤتمـــر برليـــن 1884 - 1885 : -

انعقد هذا المؤتمر العالمى الأوروبى فى نوفمبر سنة 1884 ليقرر مستقبل الكنغو وتنسيق النشاط الأوروبى فى إفريقيا وحضره ممثلو أربعة عشر 14 دولة أوروبية ماعدا سويسرا وحضرته بصفة مراقب الولايات المتحدة الأمريكية . وكان هدف ألمانيا وفرنسا هو تحجيم نشاط بريطانيا فى الكنغو والنيجر وهما المدخلان لقلب افريقيا . وكانت بريطانيا على إلمام بهذا المخطط فقبل انعقاد المؤتمر تخلت عن معاهداتها مع البرتغال ، وقد لعب الملك ليوبولد دورا هاما فى هذا المؤتمر إذ كسب كل من فرنسا وألمانيا إلى جانبه وانفض المؤتمر فى 1885/2/20 **وقد قرر ما يلى :**

1- اتفق المؤتمرون على أن أى دولة أوروبية تحتل بلدا إفريقيا وتعلن الدول الأخرى بهذا الإحتلال ، يحق لها أن تستعمر هذا البلد فيما بعد . وكان هذا القرار بمثابة الضوء الأخضر للتكالب على إفريقيا ودعوة للتنافس الإستعمارى الإمبريالى .

2- الإتفاق على حرية التجارة المشروعة فى حوض نهرى الكنغو والنيجر وكذلك حرية الملاحة الدولية .

3- وافق المؤتمر على إعطاء الإتحاد الإفريقى أو الملك ليوبولد الحق فى امتلاك معظم أراضى وادى الكنغو على أن يكون محايدا والتجارة فيه حرة

4- وافق المؤتمر على الإستمرار فى محاربة تجارة الرقيق فى

إفريـقيا .

5 – أن أى دولة سبق أن ارتبطت بمعـاهدات أو اتفـاقيـات مع السكان الوطنيين يكون لهـا الحق فى احـتكار التـجـارة معـهـم دون تدخل دولة أخرى .

وكنتيجة لـهذا القـرار شهـدت القـارة تـكالـب الـدول الأوروبيـة على عـقد اتفـاقيات مـع زعـمـاء القبـائل الإفريقيا وكان مبعـوثـو الـدول والحكومـات الأوروبيـة يتـجـولون فى القـارة مـقـدمين الهـدايا والرشـاوى وتوقيع الاتـفـاقات وفى كـثيـر من الأحـيـان لايـدرى الإفـريـقى علـى مـاذا وقـع ، ومما يلاحـظ أن قـرارات هـذا المـؤتمر كـانت سـرية ولم تعـط للإفريقيـين أى اعتـبار كأنمـا إفريقـيـا قـارة خـالية من السكان .

تقســـيم إفريقيــــا : –

وفى سنة 1890 انعقـد مؤتمر بروكسل الذى جدد وأيد قرارات مؤتمر برلين ولكن ذهب إلى أبعد من ذلك حيث وضـعت إفـريقـيا على طاولة المفاوضات **وقـسمت إلى مناطـق نفـوذ بين الدول الأوروبيـة على النـحـو التالى :**

1– أصبح الكنغو دولة الكنغو الحرة فى أغسطس سنة 1885 أى بعد ستة أشهر من المؤتمر مستعمرة بلجيكية .

2– استولت كل من بريطانيا وفرنسا على مساحات كبيرة من إفريقيا

بفضل امكانياتها البحرية والبرية وتسليحهم .

3- احتفظت البرتغال بمستعمراتها فى موزمبيق وأنجولا رغم أنها أضعف الدول الأوروبية .

4- استولت ألمانيا على الكاميرون والتوجو لاند وجنوب غرب إفريقيا ومساحات فى شرق إفريقيا .

5- احتفظت اسبانيا بمناطق نفوذها فى ريوموني Rio Muni والصحراء الإسبانية (الصحراء المغربية الآن) بالإضافة إلى الجزر المجاورة للسواحل الإفريقية .

6 - أيدت بريطانيا فى إحتلالها لعصب وأرتيريا وكذلك حمايتها على الحبشة والجدير بالذكر أن ايطاليا منيت بهزيمة من الأحباش فى معركة عدوة سنة 1896 م .

7 - لم تجد فرنسا منطقة نفوذ فى الكنغو والنيجر ولذلك ركزت جهودها فى ساحل العاج وداهومى والسنغال .

8- أيدت الدول استقلال سيراليون (التى تحت الحماية البريطانية) وليبيريا (التى تحت الحماية الأمريكية) .

أسئلة للمراجعة

1- ما الأسباب التى حالت دون تدخل الأوروبيين فى إفريقيا قبل سنة 1870 م ؟

2- تعتبر سنة 1870 سنة تحول فى السياسة الأوروبية تجاه إفريقيا ، ناقش مشيرا إلى حالة إفريقيا آنذاك ؟

3- لعب بسمارك دورا هاما فى إيجاد تنافس أوروبى فى إفريقيا بين الدول الأوروبية الكبرى أنذاك ، وضح ذلك فى الفترة ما بين 1884 -1887 .

4- تحدث عن مؤتمر برلين سنة 1884 - 1885 بشأن إفريقيا وما النتائج التى ترتبت عليه .

5- أكتب مذكرات وافية عن : -

1- الخديوى إسماعيل .

2- الثورة المهدية فى السودان 1881 / 1885

3- السلطان برقش .

4- الملك ليوبولد .

5- مؤتمر لندن 1884 .

6 - دولة الكنغو الحرة .

الفصل الثامن
أثيوبيا والسودان فى القرن التاسع عشر

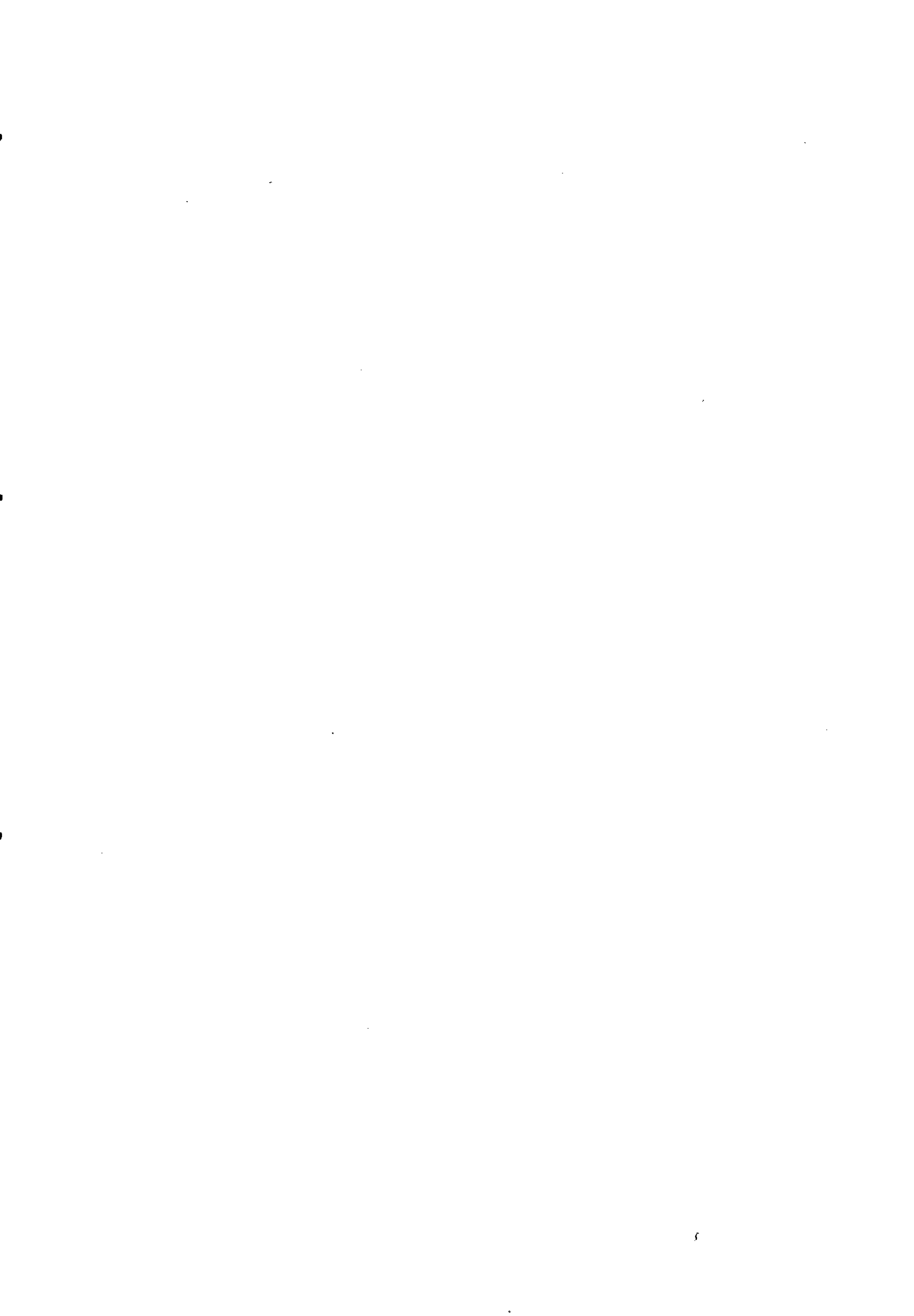

الفصل الثامن

أثيوبيا والسودان فى القرن التاسع عشر

بعد مؤتمر برلين سنة 1884 - 1885 وإقرار مبدأ الاستعمار أصبحت كل إفريقيا من مطامع الاستعمار وفى الفترة ما بين 1885 وحتى سنة 1900 كانت كل إفريقيا قد شهدت عمليات تقسيم مناطق النفوذ وكانت الدول المستقلة فيها سيادة إقليمية وحكومات وطنية هى أثيوبيا والسودان وسلطنة عمان فى زنجبار ، أما ليبيريا وسيراليون فصحيح أنهما دولتان مستقلتان ، ولكنهما صنيعة استعمارية . وسوف نتحدث فى هذا الفصل عن أثيوبيا والسودان باعتبارهما محط التنافس الايطالى البريطانى فقد قاوم الأثيوبيون الاستعمار الإيطالى رغم أنه استعمار مسيحى وهى دولة مسيحية ، وأيضا قاوم السودان ممثلا فى حكومة الإمام المهدى الإسلامية الاستعمار البريطانى وأجلته عن السودان سنة 1885 م . ولكنه عاد ليسترد السودان سنة 1898 .

ويرجع النشاط الإيطالى فى أثيوبيا إلى عهد الملك يوحنا حينما أحرزت إيطاليا نصرا دبلوماسيا عندما قدمت عروضا لاتفاقات تجاريةوصداقة ليوحنا ومنيليك حيث رفض يوحنا وقبل منيليك حين وقع على معاهدة أنكوبر فى سنة 1883 م . ومن ضمن بنود الاتفاقية ضمان لمنيليك فى الاتصال بالعالم الخارجى عن طريق ميناء عصب . وكان يوحنا مدفوعا حين رفض بأمل حل مشاكله بمعاهدة مع بريطانيا ومصر . ونجح فى ذلك إلا أن بريطانيا

خذلته لتحقيق هدفه الأكبر وهو حيازة ميناء مصوع بحجة أنها من الأملاك العثمانية ولاتستطيع بريطانيا ولا مصر نقل ملكيتها له . ولكن بعد ستة أشهر من ذلك دعت بريطانيا ايطاليا لتحتل مصوع دون أن تخبر يوحنا ودون أن ترتبط بالتزاماتها نحوه حسب بنود اتفاقية عدوة . وهذه هى الحقيقة التى صفيت فيها إمبراطورية اسماعيل بواسطة بريطانيا عندما أجبرت مصر بالجلاء عن السودان ولم يبق للثورة المهدية إلا احتلال الخرطوم المحاصر . فوجود إيطاليا الصديقة على البحر الأحمر أضمن لمصالحها من وجود الحبشة . وفى 5 فبراير سنة 1885 م ، وبعد أن سقطت الخرطوم فى يد الثورة المهدية احتلت ايطاليا ميناء مصوع . وبذلك ضمنت بريطانيا دولة صديقة مثل ايطاليا بدلا من فرنسا المعادية وسعت فرنسا عملياتها التوسعية من مستعمرتها فى أوبوك التى أحتلتها فى سنة 1872م . حين احتلت تاجورا وجيبوتى .

يوحنـــا والإيطاليـــن :

وانزعج يوحنا عندما تابع نشاط الإيطاليين ورأهم يحتلون القرى والمواقع التى أخلاها الجيش المصرى فى ارتيريا ورأهم فى طرق التجارة الحبشية وباحتلالهم لكل الساحل وسيطرتهم حتى على الموانىء الصغيرة ، سيطروا على الصادر من والوارد إلى الحبشة وأجبروهم بدفع رسوم جمركية فى ميناء مصوع . وكان رد الفعل الأول ليوحنا هو الاحتجاج . وعندما لم يأت هذا بنتيجة أمر قائد رأس الولا ليهاجم مواقع الايطاليين الحربية . وقام بالفعل بهجوم على موقعهم فى دوجاكى فى يناير سنة 1887م ، وأباد قوة

أيطالية صغيرة فيها . وتظاهرت بريطانيا بمحاولة التدخل فى الأمر بغية الصلح بين الطرفين ولكنها خيبت أمل يوحنا عندما أعلنت أنها اعترفت بحق ايطاليا فى بوغوس . وعليه فقد رد يوحنا للملكة فكتوريا ملاحظا أن إيطاليا عندما بدأت صراعها معه أوقفت نشاط التجار واحتلت أماكن فى مملكته تسمى سهاتى وديا وحصنتها . ومن الظلم أن يظهر كمعتدى يؤمر باعطاء الايطاليين الأرض التى أعطاها له السيد المسيح . فالصلح يحتمل عقده فى نظر يوحنا اذا ما كانوا هم فى بلادهم وهو فى بلاده . غير أن الوضع الآن يختلف طالما أنهم (الأحباش) ينامون وهم ممسكون بالسيوف فى أيديهم وخيولهم مسرجة وفى حالة تأهب واستعداد للحرب . وبالرغم من العوامل المنذرة بوقوع اصطدام بين الفريقين فقد ترددا . فالإيطاليون كانت خطتهم تهدف إلى أثارة منيليك ليهاجم يوحنا أولا ولكنها لم تنجح ويوحنا من جانبه كانت حدوده مع السودان تتعرض لهجمات وغزوات جيوش الثورة المهدية .

أما عن السودان فكان أول اتصال كما جاء فى وثائق المهدية مع يوحنا امبراطور الحبشة هو خطاب موجه من المهدى له فى يوم 15 يونيو سنة 1885م ، وقبل موت المهدى بأيام قليلة . وما كان هذا الخطاب الا ردا على رغبة يوحنا فى التعرف على حقيقة المهدية . فقد كان الأمير محمد ارباب يرابط بجيوش المهدية فى الحدود الشرقية فى جبهة القلابات ليهاجم الحاميات التركية على الحدود الحبشية واتصل به الامبراطور يوحنا ليستفهم

منه عن حقيقة المهدية . وأرسل محمد ارباب هذه الرغبة للمهدى الذى رد في الحال ليوحنا شاكرا له محاولته الوقوف على حقيقة المهدية والمهدى وذكر له أن الإسلام نسخ كافة الأديان السماوية قبله وأشار إلى اضمحلال الاسلام في عهد الأتراك وأنه أرسل لهداية الخلق وتقويم الدين وانه فرغ من السيطرة على السودان . ويطلب منه الدخول في الاسلام ويكون كالنجاشى الذى ناصر الاسلام في أول عهده . ثم يوضح له عناصر دعوته .

وقد كان الأمير محمد ود ارباب قبل ذلك يهاجم المراكز العسكرية للحكومة التركية على الحدود الحبشية وساعد الأحباش في إجلاء بعض القوات التركية . وفي مارس 1885م احتل القلابات وجعلها منذ ذلك الحين مركزا أماميا لقوات الثورة المهدية . وفي هذه الحقبة بدأ الإيطاليون باتفاق مع بريطانيا زحفهم للداخل لتسلم المراكز المصرية في ارتيريا بعد احتلالهم لمصوع . وهذا ما أغضب يوحنا بعد أن ساعد مساعدة فعالة في انقاذ الكثير من الحاميات التركية وسحبها إلى ساحل البحر الأحمر . وتحت هذا التأثير على ما يبدو اتصل بود أرباب وطلب منه معرفة حقيقة المهدية وكان رد المهدى السالف الذكر هو استجابة لهذا الطلب . غير أن يوحنا لم يرد على خطاب المهدى .

يوحنـــا والخليفة عبد اللــه :

حدث أول اصطدام بين جيوش المهدية والراس عدار الحبشي في يناير سنة 1887م . عندما رفض ود أرباب تسليم قاطع طريق عاث فسادا داخل

الحبشة ولجأ إلى القلابات . هاجم الراس عدار مراكز الأنصار وقتل ود أرباب وجيشه وأحرق القلابات وعاد بالغنائم والأسرى إلى الحبشة . واهتم الخليفة عبد الله للأمر وبعث بجيش كبير يقوده الأمير يونس الدكيم من أقربائه وخلصائه . وحمل يونس الدكيم معه خطابا من الخليفة موجها ليوحنا يشرح له الإسلام ورسالة المهدية ثم قال له (ونحن قد كنا معك ملاحظين إشارة قول سيد المرسلين (اتركوا الحبشة ما تركوكم) ومن ثم لم نصرح لجيوش المسلمين بغزو جبهتك حتى حصل منك التعدى البليغ على ضعفاء المسلمين الذين بالقرب من بلدك المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة بالقتل والأسر والنهب والنفر) . وطالبه فى الخطاب برد السودانيين الذين لجأوا لبلاده . وكالعادة لم يرد يوحنا على الخطاب . وشرع يونس فى ارسال السرايا تهاجم القرى الحبشية وتجمعات المحاربين . وهذه الغزوات أثارت يوحنا حتى أمر الراس عدار بحشد جيش قوى للرد على هذه الاعتداءات . ونقل جواسيس يونس له هذه التحركات الحبشية وبعث يخبرها بدوره للخليفة عبد الله .

أبو عنجة والحبشة :

رأى الخليفة أن يبعث بخيرة قواده وموضع ثقته حمدان أبو عنجة بمدد ضخم من الأنصار ومعه أمراء بارزون أمثال الزاكى طمل والنور عنقرة . وحما أبو عنجة خطابا من الخليفة عبد الله إلى يوحنا جاء فيه :

((والحاصل أن ما مضى قد فات وما زلنا نريد هدايتك فيما هو آت

ودخـولك فى دين الاسـلام وانتظامك فى سلك أصحـاب المهـدى عليـه السلام. ومن ثم حررنا هذا ثانيا اليك قبل اعادة الكرة عليك . فان رحمت نفسك بالدخول فى ملة الاسلام والإنتظام فى سلك اتبـاع المهـدى عليـه السلا وشهـدت أن لا اله الا الله وأن محـمـدا رسول الله نطقـا بلسـانك واعتقادا فى جنانك وأقمت شعائر الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك من الأحكام فأعلم أنك تكون منا والينا ونكفى عنك المحاربة ويغفر الله لك جميع الآثام التى وقعت منك فى زمن الكفر . والا فان كنت لم تزل على اعراضك عن اجابة داعى الهـدى واصرارك على دين الكفـر واتبـاع الهوى فاعلم انك تصير من الهالكين بقدرة رب العالمين اذ لابد من حلول جيـوش الاسـلام بدارك ومناجرتك الحرب وقطع دابرك . ولتـرد لنا منك الافادة بما تختاره من اعراض أو اجابة . والسـلام على من اتبـع الهـدى سنة 1305 م.

غـــزوات حمـــدان للحبشـة :

وعندما فضل يوحنا السكوت وعدم الرد خرج أبو عنجة فى جيش كثيف فى 9 يناير سنة 1888م إلى منطقة دميا وهاجم قراها فقتل وسبى ورجع للقلايات . وقام بغزوة أخرى فى 17 يونيو 1888م . ولم يلق إلا مقـاومـة طفيفة وفى هذه المرة حرق ديرا عظيما وقتل من وجد فيه من الرهبان وعاد للقلابات . و كان يوحنا فى موقف حرج آنذاك بسبب و جود الإيطاليين وطمعهم فى أراضيه . ولذلك رأى أن يصالح المهدية ولايقاتل فى ميدانين .

كتب خطابا لأبى عنجة جاء فيه : (وبعد ذلك فيما كتب فى مدينة أسمرة حاكمين الإسلام بالإيمان المسيحى كتب إلينا المهـــدى كتابا يأمرنا بالدخول فى دين الإسلام . فغضبنا وأرسلنا « حربة » إلى مدينة المتمة (القلابات) فأهلكت من الخلائق عددا جزيلا ثم حضرتم أنتم إلى بلاد دمبيا وحاربتم وغلبتم من غلبتموه ، وبهذا السبب هلكت المساكين فما الفائدة فى ذلك . ونحن ليس لنا ارادة على التعدى من حدودنا إلى حدودكم . فلا يكن لكم ارادة على الخروج من حدودكم إلى حدودنا . بل نحن وانتم نكون ساكنين جلوسا ببلادنا فلا تهلك المساكين فى الباطل . والواقع أن الافرنج أعداء لنا ولكم . فاذا غلبونا وهزمونا لم يتركوكم بل أخربوا دياركم . واذا غلبوكم وكسروكم فعلوا بنا كذلك . فالرأى الصواب أن نتفق عليهم ونحاربهم ونغلبهم ويتردد التجار من أهل بلادنا بالمتجرة إلى بلادكم وكذلك تجار بلادكم تتردد إلى غندار لأجل المعايش والمكاسب لأهلكم ولأهلنا) .

غير أن أبا عنجة لم يستجب لهذه الدعوة للمصالحة التى أملتها ظروف قاهرة ليوحنا وما كان له أن يتقبل بأقل من اعتناق يوحنا للاسلام والانضواء تحت سلك المهدية . فكتب له خطابا سرد فيه الوقائع التى انتصر فيها المهدى والخليفة عبد الله بعده . ورد على حججه وغضب أبو عنجة من فاتحة الخطاب الذى قال فيه (إلى المعظم دجاج أبى عنجة) وهو لقب تعظيم عند الحبشة ولكن أبو عنجة رأى فيه تحقيرا (فأما نداءك لى فى صدر الجواب بقولك دجاج أبو عنجة فاعلم أنى لست بدجاج وانما أنت

الدجاج لكفرك وتماديك على غضب باريك) . ورفض أبو عنجة رفضا باتا هذا العرض للصلح .

الزاكى طمل ويوحنا :

نشط أبو عنجة فى تحصين مواقعه فى القلابات استعدادا لهجوم يوحنا المرتقب . ولكنه قبل أن يتم هذه التحصينات فاجأته الوفاة وفقد الخليفة عبد الله وفقدت المهدية قائدا من أكفأ قوادها . وبعد المشاورات عقد اللواء للزاكى طمل وكان من القواد فى جيش أبى عنجة . وتمت التحصينات على يد الزاكى وحشد نحو ستين ألف مقاتل من الأنصار . وفى 9 مارس سنة 1889م وصل يوحنا على رأس جيش جرار متفوق العدد . ودارت حرب طاحنة بين الفريقين حتى جرح يوحنا جرحا مميتا أذاع الاضطراب فى صفوف الأحباش مما أدى الى هزيمتهم وفرارهم من ميدان المعركة وتبعهم الأنصار حتى لاقوهم على نهر عطبرة وأوقعوا بهم هزيمة غنموا على أثرها وسبوا وعادوا منصورين للقلابات ومعهم تاج الامبراطور .

منيليك الثانى *(1889 - 1913) م :*

وبموت يوحنا خلا العرش الامبراطورى الذى احتله منيليك بسهولة لأنه كان أكثر الملوك خبرة وأقواهم فى جيشه . وكانت علاقاته كما قدمنا مع يوحنا علاقة ود وصداقة ولو أنها كانت فاترة فى السنتين الأخيرتين من حكم يوحنا . إلا أنه كان محايدا فى النزاع بين الإيطاليين ويوحنا شريطة ألا تدعى إيطاليا أرضا حبشية . وأول عمل فى السياسة الخارجية قام به

منيليك هو عقد اتفاقية أتشيالى (Uccialli) مع الإيطاليين فى 2 مايو سنة 1889 م وبمقتضى هذه الاتفاقية اعترف منيليك بمكلية الأراضى التى تضم كرن وأسمرة فأصبح الطليان يحتلون كل ارتيريا فقاموا بتنظيمها سنة 1890م . كمستعمرة ايطالية وكقاعدة للهجوم على الحبشة سنة 1890م . وسنة 1935م . وعندما عقد منيليك هذه الاتفاقية فى سنة 1889م . يبدو أنه كان متخوفا من خطر المهدية أكثر من الخطر الإيطالى وظن أن ايطاليا ستقف مطامعها عند هذا الحد ويضمن صداقتهم والسلم معهم . ولم تظهر الرؤيا له فى احتمالات المستقبل ومطامع ايطاليا لأنه يثق فى كلمة الشرف التى يعيطها الأوروبيون بخلاف سلفه يوحنا الذى حاول المصالحة مع أبى عنجة واتفاق الإفريقيين ضد الأوروبيين .

منيليك والإيطاليون (موقعة عدوة 1 مارس سنة 1886 م) :

إدعت ايطاليا أن الإتفاقية جعلت الحبشة محمية ايطالية حسب النص الإيطالى ولكن النص الحبشى لايحمل هذا المفهوم ورفض منيليك هذا لأن الإيطاليين خدعوه فقام الإيطاليون بحملة لغزو الحبشة . وحشد منيليك ما استطاع من قوة وأحرز انتصارات فى أمبا ألاجى وميكالى وأخيرا تلاقى الجيشان فى عدوة . واعتقد الإيطاليون أن الدائرة لابد وأن تدور على الحبشة لأنهم ظنوا أن القوى الحبشية غير موحدة ، وبتفوق الإيطاليين بأسلحتهم وتدريبهم العسكرى . غير أن تقييم الإيطاليين للموقف لم يكن صحيحا . فقد نجح منيليك فى توحيد الحبشة ضد العدو المهاجم وأثار فيهم الروح القومية واستورد كميات كافية من الأسلحة حيث كانت أغلبية الجيش

الموحد والذى يتراوح عدده بين ثمانين ألفا ومائة ألف مسلحا بالأسلحة النارية وكانت قوة الجنرال براتيرى تقل عن عشرين ألف . فرأى أن يعوض هذا الفرق العددى بهجوم مفاجيء من موقع استراتيجى فى الصباح الباكر من يوم أول مارس 1896م . ولكن الأحباش كانوا على أتم يقظة واستعداد . ودارت حرب ضروس طوال اليوم هزم الأحباش فيها فرقة ايطالية تلو فرقة وقدر الإيطاليين ستة آلاف قتيل وألف وخمسمائة جريح وثلاثة آلاف أسير على الأقل . وكانت خسائر الأحباش كبيرة أيضا . فتقدير قتلاهم بلغ نحو سبعة آلاف قتيل ومثل هذا العدد جرحى ولم يؤسر حبشى واحد .

نتائج موقعة عدوة :

كانت موقعة عدوة امتحانا للقومية الحبشية والذود عن حياض الوطن وقد نجحوا فى هذا الامتحان وظلت الحبشة بحدودها دون اعتداء خارجى لمدة اربعين سنة إلى أن تعرضت لغزو ايطالى ناجح فى عهد موسولينى . وفى معاهدة الصلح التى أبرمت بعد هذا الانتصار الرائع اعترفت ايطاليا بأن اتفاقية أوتشيالى تعتبر لاغية واعترف بالحبشة دوليا دولة مستقلة ذات سيادة . وهرعت البعثات الدبلوماسية للعاصمة أديس أبابا متنافسة تعرض صداقتها لمنيليك وتقدم خدماتها له . وكانت سياسة فرنسا تهدف الى جعل ميناء جيبوتى منفذا للحبشة على البحر الأحمر وتود مساعدتها فى نضالها ضد بريطانيا فى أعالى النيل . وبريطانيا من جانبها تهدف إلى استقرار الحدود بين الحبشة والصومال البريطانى وأن لايؤيد منيليك الخليفة عبد الله .

وموقعة عدوة لها تصال مباشر بحملة كتشنر لفتح واسترجاع السودان فبعد مو .نة عدوة استنجدت إيطاليا ببريطانيا تطلب منهم أن يقوم الجيش المصرى بمناورات عسكرية من جبهة سواكن أو وادى حلفا ليلفت أنظار الخليفة بعيدا عن كسلا حيث كان يحتلها الإيطاليون ولإبعاد إحتمال إتحاد الخليفة مع منيليك . ورأت بريطانيا كما قدمنا أن تصطاد عصفورين بحجر واحد بأن تستجيب لنداء إيطاليا وفى نفس الوقت تشرع فى أول مرحلة لاسترداد السودان . وعقدت الحبشة اتفاقيات مع فرنسا ومع بريطانيا فى اوائل سنة 1897م فقد عينت الحدود بين الحبشة والصومال الفرنسى واشترك الفرنسيون مع جيش حبشى زحف نحو أعالى النيل لمساعدة الحملة الفرنسية التى قادها مارشان نحو فاشودا ولكنه رجع قبل مقابلة مارشان . وفى الوقت نفسه امتنع منيليك عن مساعدة الخليفة عبد الله تاركا كتشنر يزحف بقواته ليقضى على دولة المهدية . وبعد فتح السودان عينت الحدود بين الحبشة والسودان فى سنة 1902م وأعقبتها اتفاقية حدود بين الحبشة وكينيا فى سنة 1907م وأبرمت اتفاقيات بين إيطاليا والحبشة عينت الحدود بين الصومال الإيطالى والحبشة . ولكن مثل ما حدث فى اتفاقية أوتشيالى كانت الحدود مختلفة فى نصوص وخرائط الطرفين مما زاد فى البلبلة حتى سنة 1934م . قبل الاعتداء الإيطالى . ولازالت الحدود موضع نزاع وتفسيرات مختلفة بين الحبشة والصومال المستقل والسودان .

تطلعات منيليك :

نتيجة للمحاولات الخارجية بغزو الحبشة منذ غزوات الخديوى اسماعيل كانت السياسة التى اتخذها منيليك هى دعوى التوسع من جميع جوانب الحبشة واحتلال مواقع استراتيجية تحمى البلاد من محاولات الغزو الإجنبى فى المستقبل . وعليه فقد كتب منشورا وزعه على نطاق واسع للدول الأوروبية وادعى رقعة أرض كبيرة تمتد ما بين خطى العرض 5 و15 شمالا ومن النيل الأبيض إلى المحيط الهندى . وأعلن أيضا انه سوف لايقف متفرجا اذا ما أتت دول من مكان بعيد لتحتل أى جزء من الأرض التى أدعى نفوذه عليها . وبدأ بالفعل هو وقواده فى محاولة بسط النفوذ الفعلى فى الحبشة نفسها كمقدمة للتوسع فى الجوانب بالطرق السلمية ما أمكن والا اتخذ القوة . فقد خضع له سلميا الكثير من القالة Gala الغربية إتباع ملك ليكا والسلطان أبا جيفار سلطان جيما بين سنتى 1881م و 1883م وعمل على تثبيت حكامهم فى السلطة . أما أقليم كيفا فى اقصى الجنوب الغربى فقد قاوم ولكنه سلم فى سنة 1897م . بعد أن اكتسحت جيوش منيليك الاقليم . وفى الشرق احتل اقليم هرر فى سنة1887م . بعد أن جلا عنه الجيش المصرى . والتوسع والسيطرة فى الجنوب كان خلال سنتى 1894 - 1900 م وتفاوتت درجات الحكم الإقليمى على الطريقة التقليدية حسب درجة القوة العسكرية التى استخدمت فى الاحتلال . أو إذا ما دعت الحالة إلى ترك حامية

عسكرية لحفظ الأمن كانت نفقاتها على حساب المنطقة . ولو أن منيليك على وجه العموم أكثر تسامحا من أسلافه وفتح الباب للقالا فى الجيش إلى مناصب عليا إلا أن اللغة الأمهرية والديانة المسيحية حسب المذهب الأرثوذكس كانتا السمات الظاهرة والسياسة المقررة فى الاقاليم التى للأمبراطور نائب فيها .

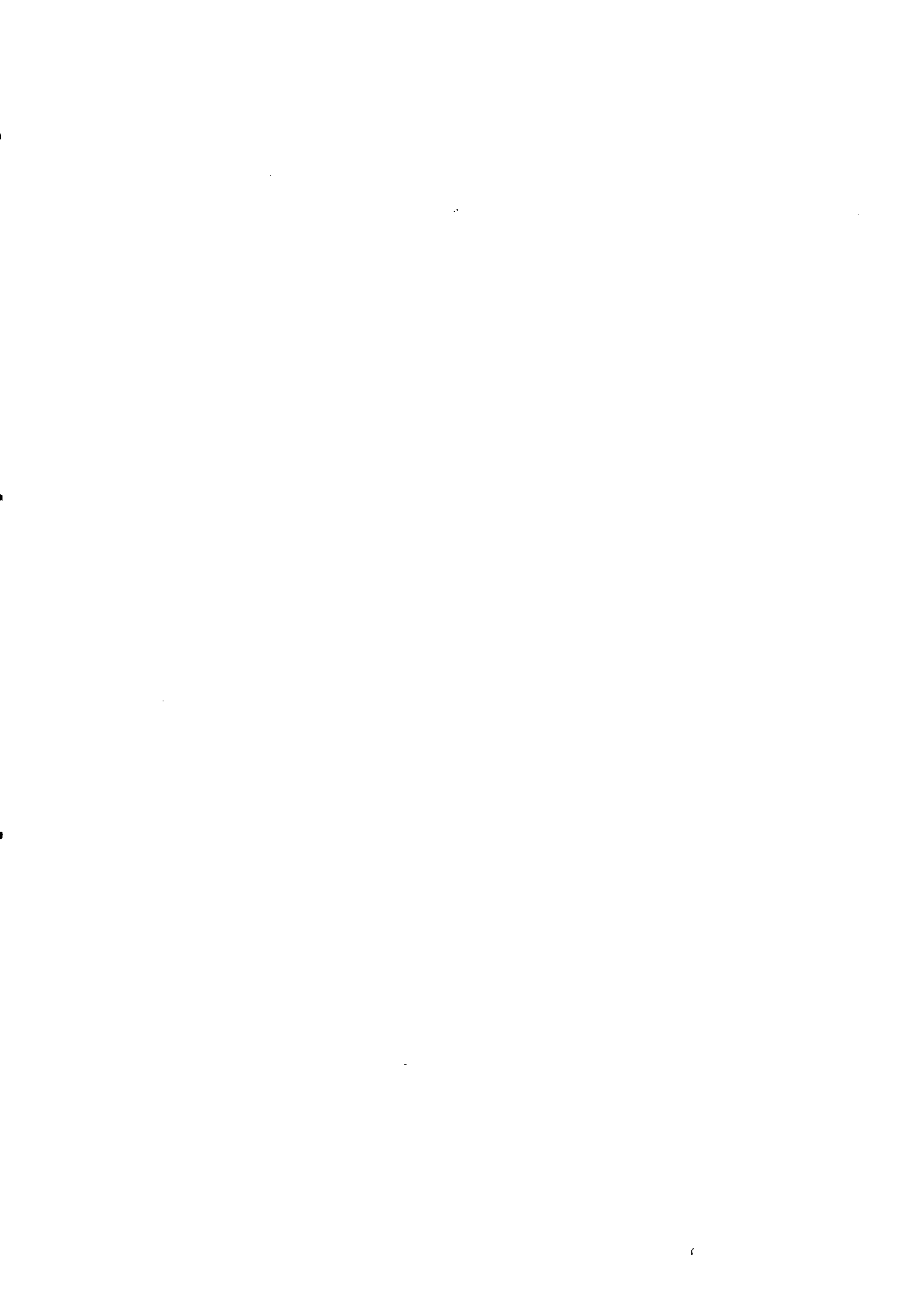

أسئلة للمراجعة

1- تحدث عن فترة الملك يوحنا والتدخل الإيطالى ؟

2- لماذا احتلت قوات المهدية السودانية مدينة القلابات على الحدود الأثيوبية السودانية ؟

3- اكتب عن العلاقات بين الملك منيليك الثانى والخليفة عبد الله حول التدخل الايطالى - البريطانى فى وادى النيل ؟

4 - أكتب مذكرات وافية عن :

أ - مصوع .

ب - حمدان أبو عنجة .

ج - منيليك .

د - الزاكى طمل .

5 - تحدث عن معركة عدوة وما نتائجها بالنسبة لأثيوبيا وإيطاليا ؟

الفصـــل التاســـع

الاستعمار الأوروبى لإفريقيا فى القرن التاسع عشر

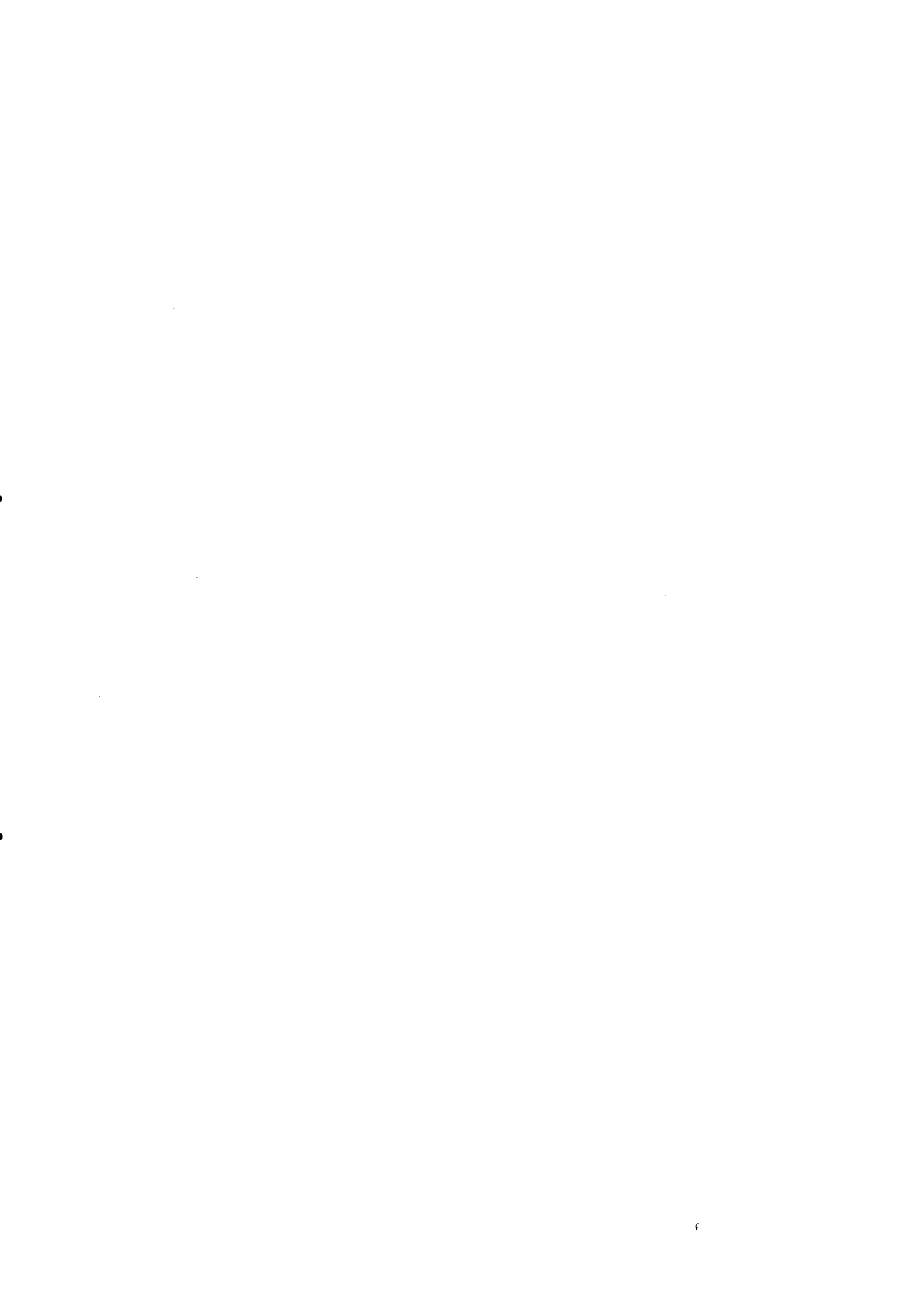

الفصل التاسع

الاستعمار الأوروبى لإفريقيا فى القرن التاسع عشر

تعريـــف الاســـتعمار :

يقصد بلفظ الاستعمار قيام دولة بفرض سيطرتها الكاملة خارج حدودها على شعب دولة أخرى وبدون موافقة ورضا أهلها ، وتقوم هذه السيطرة على استغلال الإقليم المستعمر وسكانه ، مما يفقد هذا الإقليم سيادته الداخلية والخارجية ، فيصبح إقليما مستعمرا وليس دولة . وقد ادعت الدول الاستعمارية فى ذلك وجود شرعية للاستعمار تبرر لها حق الغزو على أراضى الغير الضعفاء دون مراعاة لحقوقهم فى الحرية والحياة الكريمة المستقلة . ولذلك أصبح الاستعمار نوعا جديدًا من أنواع العبودية حيث يفقد المرء حريته وسيادته **وينقسم الاستعمار الى نوعين :**

1- استعمار تقليـدى أو قديم :

وهو الذى اعتمد على الاحتلال العسكرى المباشر لتحقيق أهدافه ، وكان من أساليبه أيضا بجانب استغلال ونهب الثروات الطبيعية للاقاليم المستعمرة العمل على تشويه معالم سكان هذه الاقاليم الحضارية من خلال عدة أساليب مثل الإبادة الجماعية ، التهجير ، أو التبشير الدينى المسيحى فى مناطق لم تكن مسيحية أصلا بل كانت تقع فى دائرة الاسلام مثلا مثل مصر والسودان والمغرب فى إفريقيا . وكذلك شجعت الدولة المستعمرة رعاياها على الهجرة بغرض الإستيطان فى الأقاليم المستعمرة مما يجعل سكان

هذه الاقاليم الأصليين في درجة أقل مكانة من المستوطنين الأجانب الذين يحظون برعاية الحكومة الاستعمارية بالحصول على الامتيازات والتسهيلات التى يحرم منها السكان الأصليين من تعليم وعلاج وخدمات ، مثل ما حدث فى جنوب إفريقيا والبرازيل وأمريكا الشمالية .

2 – *استعمار حديث* :

وهو شكل جديد من الاستعمار جاء بعد رفض المجتمع الدولى فكرة الاستعمار القديم ورفض الهيمنة وقيام الثورات ضد الاحتلال العسكرى. وهو يعنى أيضا فرض السيطرة الأجنبية بشتى أنواعها عسكرية ، سياسية ، اقتصادية ، ثقافية ، وأيديولوجية على دولة ما مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها . ويعتمد هذا الاستعمار الجديد على عدة وسائل خفية مباشرة أو غير مباشرة للوصول إلى أهدافه الخفية لتحاشى المعارضة الشعبية الصريحة لهذه الدولة المستقلة . أو معارضة الرأى العام العالمى . ويسمى هذا النوع من الاستعمار الامبريالية Imperialism ، **والوسائل التى درج الاستعمار الجديد على اتباعها هى** :

عقد الإتفاقيات غير المتكافئة ، تكبيل الدول النامية والتى هى فى طور النمو بعراقيل وشروط تحول دونها ودون تطورها ووصفها بدول العالم الثالث فى صورة اتفاقيات مشروطة واقامة قواعد عسكرية أو تقديم معونات اقتصادية ومساعدات عسكرية أو احتواء بعض الرؤساء وتشجيع الانقسامات الداخلية وإثارة الإضطرابات المستمرة أو الإنقلابات العسكرية مما يحدث حالة عدم

استقرار فى هذه الدول ، وأخيرا برزت ظاهرة استخدام المنظمات الدولية التى أنشئت للمحافظة على السلام للضغط على الدول النامية وتوجيه سياساتها .

الدوافـع التى دفعت الأوروبيين للإســتعمار :

لقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى القيام بعمليات الاستعمار لإفريقيا أهمها :

أ - الدافــع الدينـــى :

لقد انتهى الصراع بين المسلمين والمسيحيين فى شبه جزيرة أيبيريا بخروج المسلمين نهائيا منها سنة 1492م . فأصبحت الأندلس بالنسبة للمسلمين الفردوس المفقود . وبعد الإنتصار المسيحى اتجهت القوات الإسبانية والبرتغالية إلى ساحل الإفريقى المقابل ، وحملت البرتغال لواء حركة دينية سميت بحركة الاسترداد المسيحى ، أى ارجاع إفريقيا إلى مسيحيتها بهدف تطويق الدول الإسلامية والاتصال بمملكة الحبشة لتحقيق هذا التطويق والقضاء على مصدر قوة الدول الإسلامية الذى يتمثل فى تجارة الشرق وفى السيطرة على مصادرها . وقد كانت الكنيسة البابوية وراء تلك التحركات حتى أنه عندما حدث خلاف بين البرتغال وأسبانيا تدخلت لفض النزاع . وأدركت القوة الاسلامية هذا الهدف من وراء النشاط الاستعمارى ومن ثم تصدت بعض الدول لإيقاف النشاط البرتغالى مثل مصر ولكنها هزمت فى معركة (ديو) البحرية سنة 1509م. والدولة العثمانية التى أيدت مجهودات جهاد خير الدين بربروسا البحرى فى التصدى للأساطيل البرتغالية

والإسبانية وفرسان القديس يوحنا . والجدير بالذكر أن الأوروبيين أطلقوا على جهاد خير الدين لفظ (قرصنة بحرية) ، والعامل الديني الذى تسابقت اليه الجمعيات المسيحية لم يكن إلا وسيلة لتبرير الاستعمار .

ب - الدافــع الإقتصـــادى :

فى الوقت الذى كانت فيه بعض الدول الأوروبية تتحد وتتكون ، كانت الثورة الصناعية تسير بخطى سريعة مما جعل الحاجة إلى المستعمرات أمرا ضروريا لأن التصنيع فى الدول الكبرى وخاصة بريطانيا وألمانيا قد واجهته **عدة صعوبات منها :**

1- اتضح للدول الصناعيـة حاجتها إلى المواد الخام التى تدخل فى الصناعة والتى تتوافر فى إفريقيا .

2- أدت الثورة الصناعية إلى تركيز الصناعات فى المدن مما أدى إلى هجرة الفلاحين وحدوث نقص فى المواد الغذائية لسكان المدن الصناعية الذين تزايد عددهم .

3- أدى استعمال الآلات الحديثة إلى حدوث انتاج كبير أكثر من حاجة الدول المنتجة فكان لابد من وجود أسواق محتكرة وعملاء تجاريين فى الخارج لبيع المصنوعات .

ولقد وجدت الدول الأوروبية حل هذه الصعوبات فى إفريقيا وآسيا حيث تتوافر المواد الخام من مطاط وبترول وذهب وقطن وحديد ونحاس ومنجنيز وغير ذلك من المواد الخام . كما توجد أسواق لاستهلاك الفائض من

الانتاج وكان أصحاب رؤوس الأموال يطالبون حكوماتهم بإلحاح شديد فى امتلاك المستعمرات .

ج - الدافــــع الاستراتيجـــى :

وهو ناتج بسبب التنافس بين الدول الإستعمارية مثل بريطانيا وفرنسا منذ أواخر القرن الثامن عشر فى مستعمرات الأراضى الجديدة وفى البحر المتوسط وتقسيم الدولة العثمانية بين الدول الأوروبية ، كل ذلك جعل بعض المناطق والمراكز فى إفريقيا هامة من الناحية الاستراتيجية . فالجزائر مثلا وهى تواجه الساحل الفرنسى على البحر الأبيض المتوسط كانت نقطة تنافس بين فرنسا و انجلترا ، لأن الأخيرة كان لها نفوذ فى تركيا ومصر ومنطقة شرق البحر المتوسط وكانت تريد الإنطلاق من الجزائر ولذلك سارعت فرنسا لاحتلال الجزائر سنة 1830م . هذا بالاضافة إلى أن موقع القارة الإفريقيا يربط أوروبا والأمريكتين ببقية أنحاء العالم . وان الطرق البحرية عبر إفريقيا أصبحت مطروقة ومعلومة لدى الأوروبيين الذين أصبحت لهم مستعمرات وتجارة فى الهند وشرق آسيا فلكى تستمر تجارتهم إلى تلك الأرجاء كان عليهم السيطرة على الطرق التى تؤدى إلى هذه المناطق مثل طريق البحر الأحمر الذى تتحكم فيه مصر وطريق غرب إفريقيا وجنوب إفريقيا .

د - الدافــــع الإنســـانى :

اعتقد بعض الأوروبيين أن من واجبهم أن يأخذوا بأيدى الافريقيين والآسيويين المتخلفين وأن يغيروا نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية

حتى يسايروا ركب المدنية الحديثة .

وذهب البعض إلى القول بأن الا ستعمار مادام ينعم على المتخلفين بالمدنية ونظمها وقوانينها فعلى الأوروبيين أن يضحوا براحتهم لنشر هذه النعم بين المحكومين وقد أطلق على هذه الفكرة مسئولية أو عبء (الرجل الأبيض) ولكن لورد أوليفر عضو مجلس الشيوخ البريطانى كان صريحا حين قال :

(ليس ثمة أمة استعمرت بلدا من أجل الإنسانية وحب الخير لأهله) .

وقد كان الدافع الإنسانى الذى فى جوهره إلغاء تجارة الرقيق ماهو إلا ذريعة وستارا أتخذ لإخفاء المقاصد الفعلية للإستعمار . وإلا فكيف يفسر مشاركة أوروبا قبل ذلك فى تجارة الرقيق !! ألم يكن هناك دافع انسانى نذاك ، عندما أخذ الإفريقيون قسرا من بلادهم وبيعوا فى أسواق تجارة الرقيق فى أوروبا .

هـ - عامل يتصل بأوضاع الدول الأوروبية نفسها :

وهو أن بعض الدول الأوروبية كانت لها دوافع تدفعها إلى عملية الإستعمار ، ونذكر على سبيل المثال فرنسا باعتبارها أول دولة أوروبية تقيم مستعمرة فى إفريقيا فى العصر الحديث ، فحالة التخلف والظروف الاقتصادية والمعيشية المتردية فيها جعلت الحكومة تفكر فى تحويل أنظار الشعب الفرنسى إلى عمل خارجى مثل احتلال الجزائر . ويرتبط هذا العامل بعوامل نفسية متأصلة فى نفوس الأوروبيين وهى حب

الإمتلاك وحب العظمة والتقليد والتنافس غير المشروع وحب القوة والسيطرة .

فكل هذه العوام جعلت الدول العظمى تبنى لنفسها أمجادا على حساب إفريقيا القارة البكر وتتجه نحوها فى سرعة وانقضاض .

و – حل مسألة الإنفجار السكانى :

كانت مسألة ازدياد السكان من المسائل التى شغلت أذهان الأوروبيين خاصة الفرنسيين والألمان وبدأوا يفكرون فى إيجاد حل لها وتحدث المفكرون عن نوعين من المستعمرات ، مستعمرات سكنية بغرض الإقامة الدائمة لاسيما وأن هناك خلافات دينية ومذهبية ارتبطت بصراعات سياسية أدت إلى التفكير فى الهجرة خارج أوروبا ، ومستعمرات استغلالية بغرض الحصول على المواد الخام . وتألفت مجموعة من المغامرين ورجال الأعمال والصناعات للقيام بهذه الهجرات وقد ساعدهم فى ذلك رجال الإدارة والمبشرون والعسكريون . ولذلك كان القرن التاسع عشر – وخاصة النصف الثانى منه – قمة موجة الهجرات الأوروبية إلى إفريقيا .

المراحل التى مر بها الاستعمار فى إفريقيا :

يمكن تقسيم الاستعمار الغربى لإفريقيا بمرحلتين رئيسيتين أولاهما تغطى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، تركز فيها الاستعمار الإستيطانى المرتبط بالكشوف الجغرافية . أما الثانية فهى تمتد من نهاية القرن الثامن

عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر وهو استعمار استغلالى ارتبط إلى حد كبير بالثورة الصناعية فى أوروبا وافرازاتها وفى كلا المرحلتين كان التوجه الصليبى الاستعمارى والصراع ضد المسلمين من أهم موجهات الاستعمار .

أما طابع الاستعمار فى المرحلة الأولى فكان يقوم على قهر الشعوب واخضاعها عن طريق السيطرة العسكرية المباشرة وشهدت إفريقيا فيها استعمال الأسلحة النارية التى حسمت الموقف لصالح الشعوب المستعمرة رغم المقاومة العنيفة التى وجدها الاستعمار . أما فى المرحلة الثانية فقد اختلف طابع الاستعمار من منطقة إلى أخرى حسب ظروفها الاقتصادية والاجتماعية لأنه كان يهدف إلى استغلال موارد الشعوب ولذلك ليس فى مصلحته اتباع أسلوب القهر والتسلط وعلى سبيل المثال فإن الاستعمار فى شرق إفريقيا فى الفترة الثانية يمكن **تقسيمه الى ثلاث فترات** :

الفترة الأولى من 1886 - 1914 :-

وهى ما تسمى بمرحلة الحماية ، وأهم سماتها ان المنطقة لم تكن إدارتها لصالح أبنائها أو التخطيط لاستغلال مواردها بل هى جزء من الصراع العالمى للدول الاستعمارية وفوز القوى والتباهى بتكوين الامبراطوريات حسب مقررات مؤتمر برلين سنة 1885 م .

الفترة الثانية من 1918 - 1939 :-

وهى الفترة التى لجأت فيها الدول إلى اقامة أنواع مختلفة من الادارة

بغرض الاستفادة من خيرات إفريقيا وسميت هذه الفترة بمرحلة الانتداب أو الوصاية وقد طبقت كل دولة مستعمرة أسلوب الحكم الذى تراه مناسبا لمناطق نفوذها فبينما بريطانيا سياسة الحكم الغير مباشر فى شرق إفريقيا ووسط إفريقيا والسودان نجد أن فرنسا طبقت سياسة الحكم المباشر فى السنغال وموريتانيا والجزائر .

وأما المرحلة الثالثة من 1945 - 1962 :-

فهى حقبة النضال من أجل الحرية والاستقلال وفى هذه المرحلة تبلورت فيها الشخصية الإفريقية وظهرت فيها دعوات الوحدة الإفريقيا والتحرر من الاستعمار . وهذه المراحل بعضها تميز بصفات تختلف عن الأخرى من حيث مركز الثقل وموقف الدول الكبرى منها ، وظهور عوامل ومؤثرات جديدة .

ولكن السمة الواضحة لمراحل الاستعمار هى أنها لعبت دورا هاما فى اضعاف الثقافة والروابط لإفريقيا وطغيان الحضارة الغربية ، وازالت معالم الثقافة العربية فى بعض أجزائها وجعلها تدور فى دائرة (عدم وضوح الهوية الثقافية) وهى أزمة لازالت كثير من الدول الإفريقيا تعانى منها .

لقد ركز الاستعمار والتدخل الاستعمارى فى المرحلة الأولى على استغلال قيام الثورة المهدية فى السودان وإعلانها حكومة اسلامية فيه وهو ما عرف بالصراع الدولى على أعالى النيل .

الصـــراع الدولى على أعالـــى النيل وبداية الستعمار :

لقد أدى قيام الثورة المهدية إلى انقطاع الصلة بين أمين باشا وبين مصر وفى الفترة التى انقطع فيها الاتصال بين أمين باشا ومصر كان أمين باشا قد استبد به القلق وخاف أن يلحق بمصير لبتن بك فكتب عدة رسائل إلى بعض زملائه فى لندن يشرح لهم فيها موقفه الصعب وتضمنت كتاباته وصفا لأحوال جنوب السودان وخيراته وسكانه الإفريقيين ووصف جنوده وبسالتهم وتحملهم للشدائد فى ظروف قاسية ، وطالبهم بتنوير الرأى العام الأوروبى على ضوأ تلك المعلومات ففى 21 أكتوبر سنة 1886 نشر شارلس الان سكرتير جمعية محاربة الرقيق الخطاب الذى أرسله له أمين باشا فى جريدة التايمز وعقب عليه بمقال أثار مشاعر البريطانيين بعنوان «فلننقذ غردون الثانى طالما أننا خنا زعيمه » يريد بذلك غردون باشا الانجليزى الذى كان حكمدارا للمديرية الاستوائية وكان أمين يعمل نائبا له ، وفى المقال لوم للشعب الانجليزى والاوربى لتركهم رسل الحضارة فريسة للهمجية الاسلامية . وفى نوفمبر سنة 1886 نشر د . فلكن – صديق امين باشا – خطابا آخر لامين باشا ، وتوالت لهم عدة مقالات يطالبون فيها بالنجدة لانقاذ امين وقد نشرتها جريدة التايمز ومجلة Forinightly Review وازاء هذه الحملات الصحفية تحرك الرأى العام الاوروبى مطالبا باتخاذ موقف لانجاد أمين باشا ، وقد اتخذت خطوات عملية نحو ذلك ففى 8 نوفمبر سنة 1886 أرسلت جمعية محاربة الرقيق التماسا إلى وزارة الخارجية يفيد أن موقف أمين يدعو حكومة جلالة الملكة باتخاذ موقف ، وفى 23 نوفمبر

وبتأثير من د . فلكن ارسلت الجمعية الجغرافية الملكية قرارا تلتمس فيه من الحكومة البريطانية ان يحصل امين باشا على تعضيد الحكومة البريطانية نظرا للخدمات العديدة التى قدمها امين للعلوم بوجه عام وللجغرافيا بوجه خاص .

أما فى ألمانيا وفرنسا وبلجيكا فان الصحف اليومية قد أثارت الوضع الحرج الذى يعانيه ممثلو أوروبا الأحياء فى أعالى النيل وحملت بريطانيا مسئولية حياتهم وتحت ضغط الرأى العام الأوروبى قررت حكومة سالسبرى إرسال حملة لإنقاذ أمين باشا . ويبدو أن حكومة سالسبرى اتخذت هذا القرار نسبة للتحرك الألمانى الذى يقوم به المستشار الألمانى بسمارك Bis-mark فى شرق إفريقيا لأنها استغرقت وقتا طويلا فى المباحثات حول كيفية إنقاذ أمين ، وقد أبدى الملك ليوبولد استعدادا للمشاركة فى هذه الحملة بعد الموافقة على ارسالها ، اذ كان هناك خلاف حول الطريق الذى ستسلكه هذه الحملة وكانت انجلترا ترى أن أقرب وأسرع طريق هو طريق زنجبار الا أن الملك ليوبولد كان يرى أن أسرع وأضمن طريق هو طريق الكنغو الحرة . ولقد أبدت الحكومة المصرية تشككها فى المدة التى ستصل فيها الحملة فى الوقت المناسب فى حالة مرورها عن طريق الكنغو الحرة ولم يكن تشكك الحكومة المصرية آت من فراغ ولكن بناء على ماالديها من معلومات ومعرفة بهذا الطريق . وبعد قرار ارسال الحملة ساهمت الحكومة المصرية فى اعداد هذه الحملة بعدد من الجنود السودانيين العاملين بالجيش المصرى وعددهم ستين جنديا كان بعضهم قد خدم فى خط الاستواء ومبلغ

عشرة آلاف جنيه وكمية هائلة من الذخيرة والمؤن مع استخدام العلم المصرى ، وتحركت الحملة من الاسكندرية فى 27 يناير 1887 وبعد رحلة شاقة عن طريق زنجبار وصلت إلى كافلى فى جنوب السودان فى 12 ابريل سنة 1888م . وكان لقاء امين باشا مع استانلى فى قرية نابى شمال كافللى وقد سلم استانلى لامين رسالة من الخديوى ورسالة من نوبار باشا وبراءة خديوية بمنحه لقب « باشا » ، وعرض عليه الموقف بعد سقوط الخرطوم وقد حضر اللقاء ضباط أمين ووكيل المديرية ومن جانب استانلى ضباطه والمستر جفسن وبعد أن **شرح له الموقف خيره بين ثلاث حلول** :

الأول :

قبول الانسحاب بقواته عن طريق زنجبار واخلاء المديرية وعودته إلى مصر وهذا هو الحل الرسمى ورغبة الحكومة المصرية .

الثـــانى :

فى حالة رفضه الأول ورغبته فى البقاء فى المديرية عرض عليه رغبة الملك ليوبولد فى الانضمام تحت خدمة حكومته ورفع العلم البلجيكى على هذه الأرجاء .

الثـــالث :

فى حالة رفضه المشروعين عرض عليه المشروع البريطانى وهو البقاء بقواته فى شرق إفريقيا بالقرب من بحيرة فيكتوريا وهى بقعة صحية وسهلة المواصلات على أن يحكم المديرية موقتا باسم رابطة شرق إفريقيا إلى حين

تدعيمه بقوات بريطانية أخرى .

وهكذا وجد أمين باشا نفسه حائرا بين وضعه المزرى وبين الإطماع الاستعمارية التى تحاصره من كل جهة فى منطقة بذل فيها جهدا كبيرا فى تعميرها وتمدينها ولم ينجح استانلى فى اقناع أمين وحدد له ميعاد للانسحاب بقواته واذا تأخر فلا يلومن الا نفسه . وقد تعرض أمين باشا إلى حادث أدى إلى مرضه ولذلك لم يتمكن من اللحاق باستانلى الذى رجع وقد أخذ معه جزءا كبيرا من قوات أمين التى رغبت فى العودة عن طريق زنجبار .

والسؤال الذى يطرح نفسه ، هل كانت هذه الحملة ذات أهداف انسانية أم أنها جزء من مخطط إخلاء السودان ، يقول محمد رفعت رمضان (نحن إذا نظرنا إلى حملة الانجاد فى ضوء الرسائل والوثائق التى تتعلق ثم جمعنا الحقائق التى تتعلق بها لوصلنا إلى نتيجة حتمية تدمغ هذه الحملة – التى قيل ان الباعث عليها تمسك الأمة البريطانية بتقاليدها فى خدمة الحضارة الانسانية تدمغها بطابع هو أبعد ما يكون عن الحضارة والانسانية – فلقد شجعت على ارسالها وعود أمين الكاذبة التى صدرت من غير ذى حق شرعى فاهتمت الحكومة البريطانية والرأى العام البريطانى وتألفت لجنة من كبار الانجليز كانت لاتخطو خطوة الا بموافقة وزارة الخارجية البريطانية ثم تخيرت عميلا استعماريا يخفى تحت قناعه الأمريكى وجها بلجيكيا وآخر بريطانى ثم تألفت لجنة من كبار الأركان من الضباط الانجليز ورتب أمورها

الدبلوماسيون البريطانيون فى القاهرة وزنجبار ، ولما كان المسؤلون البريطانيون فى مصر قد مهدوا لذلك باخلاء السودان عامة فقد حصل قائد الحملة على فرمان من الخديوى يأمر فيه امين باخلاء المديرية ثم جاء نفس القائد وهو يلبس مسوح الرهبان يقدم النصح للمدير ويغريه بقبول حل واحد من ثلاثة كل منها أمر من الآخر ، فهل نكون مخطئين اذا قلنا أن حملة الانجاد كانت وليدة خطة انجليزية مدبرة بقصد اخلاء المديرية لتقوم انجلترا بعد ذلك باعادة احتلالها على الوجه الذى يتفق مع اطماعها وسياستها فى إفريقيا). ويبدو ان استنتاج محمد رفعت كان صحيحا حيث أن العاملين المصريين من قوات أمين والمستخدمين الملكية قد تشككوا فى تصرفات استانلى وامين واحسوا بهذا التآمر فحرروا تقريرا سريا مفصلا معنون (لسعادة سردار الجيش المصرى بالقاهرة) ، ويبدو أن هذا التقرير ارسل عن طريق النيل فوقع بين أيدى قوات المهدى .

وقد أثار موقف استانلى من امين عدة تساؤلات حول دخول امين باشا فى خدمة الحكومة البريطانية فهل وقع معها تعهدا أو منحها وعدا وقد أثار هذا التساؤل دكتور شوانيفورث حيث قال (ان امين باشا لم يدخل إلى صديقه أوجين وولف Eugen Wolf مراسل جريدة برلين Berliner Tageblatt حيث جاء فى هذا الخطاب ردا على ادعاءات استانلى وغيره من الكتاب الانجليز الذين ذكروا أن امين وقع عقدا مع الحكومة البريطانية حيث جاء فيه ما يلى (ان استانلى لايستطيع ان ينكر ان وصوله هو الذى أدى إلى انفجار الثورة فى كافة المديرية بدون مقدمات ولايستطيع أن ينكر

انني تحملت عبء ادارة هذه المديرية بدون مساعدات من سنة 1882م . إلى سنة 1889م .ولايستطيع ان ينكر انه عرض على مشروع الملك ليوبولد ونصحني بأن أقبله ولايستطيع أن ينكر انه عرض على أخيرا بيع هذه المديرية إلى الشركة البريطانية لشرق إفريقيا وان هذا العرض الأخير يتوقف على امضائى ولازلت أحتفظ بأصل صورة العقد الذى لم أوقع عليه واذا رغبت فسوف أرسله اليك) . ولكن محمد رفعت استنادا إلى على ما كتبه استانلى قد أفاد (أن استانلى عندما لم يستطع الحصول على موافقة أمين أبرز له الخطاب الذى سبق أن حرره أمين باشا إلى السير جون كيرك القنصل البريطانى فى زنجبار والذى يعرض عليه فيه تسليم المديرية الاستوائية لانجلترا فى مقابل انجاده) ، وأيضا أشار إلى ذلك رجب حراز فقد ذكر استنادا على ما كتبه استانلى إلى السير ماكينون فى خطاب بتاريخ 1888/9/3م . (أن أمين باشا وافق على العرض الانجليزى) ، وقبل أن نذكر أن أمين فاجأ انجلترا بدخوله فى الخدمة الألمانية **يجب أن نلاحظ** :

أ - أن أمين رفض الانصياع لأوامر استانلى ورفض مقترحاته جميعها .

ب - أن أمين فضل البقاء فى محطته ورفض الحضور إلى زنجبار حيث مقر الحاكم البريطانى رغم أنه محاصر من قبل المهدويين .

أما الأسباب التى حدث بأمين بقبول خدمة الحكومة الألمانية فذلك راجع إلى أنه مواطن ألمانى قبل كل شيء ، وانه وجد اهتماما شخصيا من ممثلى الحكومة الألمانية ومتابعتهم لتطور موقفه أول بأول وحتى من أعلى المستويات

فقد أرسل اليه بسمارك بأمر الامبراطور وليام تلغرافا عندما وصل إلى محطة (بقامايو) فى منطقة النفوذ الألمانى يهنئه فيه بسلامة الوصول ويشيد بشجاعته .

(برلين 4 ديسمبر 1888 - إلى القنصل الألمانى الدكتور أمين عند عودتك أخيرا من المحطة التى تحملت عبء ادارتها لمدة أحد عشر عاما بشجاعة الألمانى واخلاصه وتفانيه فى أداء واجبه تجبرنى لأن أرحب بقدومك سالما مع موافقتى وتوجيهاتى بفتح الطريق أمام قواتك عبر محميتنا) .

وقد تلا ذلك تلغراف آخر يؤكد دخول أمين فى خدمة الحكومة الألمانية وبذلك انقطع آخر أمل لبريطانيا فى كسب أمين للدخول فى خدمتها وقد كان رد الفعل البريطانى لدخول أمين باشا في خدمة الحكومة الالمانية قويا عكسته الصحف البريطانية فكتبت صحيفة لندن المسائية فى صدر عدد لها تحت عنوان (أمين باشا تحت العلم الالمانى) (إن صح ما تواترت به الأنباء عن دخول امين باشا فى خدمة الحكومة الالمانية فان التعاطف الكبير الذى وجده امين باشا فى الشعب الانجليزى سينقلب إلى احتقار ، لأنه تجاهل أبسط قواعد الواجب والأخلاف بل لقد انقلب ضد أولئك الأصدقاء الذين أنقذوا حياة جنوده وذلك في مقابل دريهمات معدودة فى حين ان هذا العرض قد سبق ان تقدمت له به بريطانيا التى لها دين وفضل عليه . اننا لانستطيع ان نصم آذاننا عما يجرى هناك وان منافسة شديدة وحذرة تدور بيننا وبين ألمانيا في تلك الأرجاء خاصة بعد أن أصبح أمين

لايمثل إلا نفسه ويعمل ضد بريطانيا) .

ورغم الاستياء البريطاني على دخول امين فى خدمة المانيا إلا أننا نجد أنه فى الواقع العملى فهناك اعتراف بدخوله وذلك واضح من الاتفاق الذى تم بينه كممثل الحكومة الألمانية وبين جيدج مندوب شركة إفريقيا الشرقية البريطانية بتاريخ 8 ديسمبر 1890م . بشأن تنظيم حركة المرور والسفن عبر بحيرة فكتوريا ومنع تجارة الأسلحة والذخائر بين الأراضى الواقعة تحت النفوذ البريطاني والأراضى الواقعة تحت النفوذ الألمانى . فهل كان سكوت لندن على دخول امين وتوقيع هذه الاتفاقية مناورة بريطانية وذر للرماد فى العيون لوقف الزحف الألمانى . أم أنها قصدت لبلجيكا التى توغلت فى بحر الغزال ووصلت حتى نهر (كيبى) هذا ما سنراه فى التنافس الخطير بين هذه الدول حول الاستيلاء على القوات الباقية من قوات امين باشا والتى يتزعمها فضل المولى الأمين .

موقف فضل المولى الأمين فى المديرية الا ستوائية والتنافس بين بريطانيا وبلجيكا حول الاستحواذ على قواته : -

لقد كان لحملة الإنقاذ التى قادها استانلى رد فعل قوى لدى القوات المصرية والسودانية العاملة هناك فقد أدت إلى وقوع تمردين عسكريين فى الأورطة الثانية . الأول فى 13 أغسطس 1888م . فى منطقة لابوريه والثانى فى 21 أغسطس فى دوفيليه ، وكان التمرد الثانى أخطر وأقوى اذ أسفر عن عزل أمين باشا وتشكيل حكومة عسكرية مؤقتة بدلا من أمين باشا وقد

أفاض عمر طوسون بتفاصيل هذين التمردين وما أطلعت عليه من وثائق فضل المولى الأمين لايختلف مع ما أورده طوسون وكانت أسباب هذين التمردين راجعة إلى احساس الجنود بروح التآمر بين استانلى وامين حول انسحابهم من المديرية الإستوائية .

يقول محمد رفعت رمضان (وقد أشيع بين الجنود أن القوة المسلحة من الأوروبيين المسيحيين القادمة من الجنوب هدفها حمل امين باشا ورجاله عن طريق غير معروفة حيث اتفق معهم أمين باشا على بيع هؤلاء الرجال لأولئك الأوروبيين المسيحيين) . وما أورده محمد رفعت يتفق مع ما أورده كازاتى Casati استنادا إلى تقرير جفسن الذى رافق استانلى ووصف رد الفعل عند قراءة النص الأمر بالانسحاب باللغة العربية ، (ولاحظت علامات الثورة والهياج خاصة بين الجنود السودانيين) ، غير أن جفسن حاول ارجاع السبب إلى المنشورات العربية التى وزعت بين المحطات والتى كانت من عمل بعض الضباط المصريين الذين نفوا إلى جنوب السودان فى أعقاب الحركة العرابية وقد ذكر ذلك أيضا محمد رفعت وبعض الكتبة كمصطفى أحمد وأحمد محمود وصبرى والطيب) .

وبعد رحيل استانلى المفاجىء كان الموقف فى المديرية الاستوائية كما يلى مجموعة كبيرة من الجنود المنشقين من أمين باشا تحت قيادة فضل المولى الأمين تجمعت فى التلال المجاورة لوادلاى وهى منطقة خصيبة ومرتفعة ويرفعون العلم المصرى وفى انتظار جلاء الموقف .

مجموعة قليلة من الجنود الموالين لأمين باشا والذين قبلوا الانسحاب مع استانلى فى طريق عودتهم إلى القاهرة وهؤلاء على الحدود الأوغندية - السودانية وهؤلاء يسيرون بدون علم مجموعة الجنود الموالين لامين ولكن فاتهم استانلى وهؤلاء تجمعوا تحت قيادة سليم مصر فى كافللى على ضفة بحيرة ألبرت وهم أيضا فى انتظار وصول نجدة أخرى كما وعدهم استانلى وهؤلاء ظلوا يرفعون العلم المصرى أيضا.

وقد كانت قوات الجهادية والحال كذلك موضع تسابق استعمارى شرس بين كل من بريطانيا والمانيا وبلجيكا ثم فرنسا أخيرا ، فالكل يحاول أن يكسب هذه القوات المسلحة إلى جانبه لتكون له ركيزة فى حالة فوزه فى هذا التسابق واحتلال هذه المديرية ويمكن تقسيم هذا التسابق إلى فترتين فترة العمل على استحواذ هذه المديرية وما فيها من قوات بالطرق الدبلوماسية أما الفترة الثانية وهى فترة التدخل المسلح . وقد فازت المانيا فى الفترة الأولى إذ كسبت ولاء امين باشا ووقعه اتفاقا معها بالخدمة تحت علمها بجنوده وكان للدور الكبير الذى لعبه وايزمان Wisemann القنصل الألمانى المقيم فى زنجبار أثر كبير فى كسب ولاء أمين باشا ولكن النفوذ الألمانى لم يتسطع فرض هيمنته على المنطقة لتعرض امين باشا إلى حادث اغتيال فى أحد الأحراش ولذلك أضحت قواته بدون قيادة ، أما بلجيكا فان الملك ليوبولد كان أكثر حنكة من الألمان إذ أن تحركه بنى على تحرك دبلوماسى خاصة بعد التقرير الذى رفعه اليه استانلى عد عودته إلى أوروبا فأسرع باتخاذ هذه الإجراءات :

أولا :

عقد اتفاق مع حكومة فرنسا - البروتوكول الفرنسى البلجيكى لتنظيم عملية الملاحة والتوسع على حوض نهر الاوبانجى الذى سبق أن اكتشفه ضابط بلجيكى وكان التوقيع على البروتوكول فى 29 ابريل سنة 1889 .

ثانيـــا :

جدد معاهدة منع بيع الرقيق مع المانيا والتى تقضى بمنع تسرب دعاة المهدية من العرب عبر بحر الغزال .

ثالثـــا :

وقع اتفـاقا خاصا مع الشركة البريطانية لشرق إفريقيا سنة 1890م . وتم بمقتضى هـذا الاتفـاق الاعـتراف بالحقـوق الملكيـة لدولة الكـنغو الحـرة البلجيكية على الأراضى الواقعة بين بحيرة البرت حتى مدينة اللادو شمالا .

رابعـــا :

تقدم النشاط الكنغـولى البلجيكى الكشفى نحو النيل اذ لم يكن هناك

مانعا بعد توقيع هذه المعاهدات ليحول دون التقدم شمالا نحو النيل عبر أراضى مديرية بحر الغزال فسرعان ما بدأ النشاط الكنغولى البلجيكى فى 1890/10/3 ، حيث أرسل النقيب فان كيركهوفن Van Kirkhoven حملة تستهدف الاتصال بفضل المولى الامين وكانت خطته التقدم نحو النيل بحملتين تلتقيان بالقرب من وادلاى عند النيل حيث يعسكر فضل المولى وتوغلت هذه القوات فى سرية تامة فى مديرية بحر الغزالولكنها خاضت معارك دامية مع قوات المهدية تبودلت فيها الهزيمة والنصر وقد لقى فان كيركهوفن حتفه فيها وخلفه فى القيادة النقيب (ميلز Milez) وآخر نقطة وصلت اليها القوات الكنغولية - البلجيكية هى معسكر نهر (كسيبى) فى مديرية بحر الغزال .

وقد لعب الترجمان المصرى يعقوب أفندى سليمان دورا هاما فى التفاوض مع فضل المولى الامين واقناعه هو ورفاقه المصريين فى الدخول تحت خدمة حكومة الكنغو الحرة البلجيكية وحسن لهم الدخول طالما أن الحكومة المصرية قد استغنت عن خدماتهم . وفى نفس الوقت كان ميلز قد كتب إلى فضل المولى مؤكدا ما ذكره يعقوب افندى سليمان ، وعلى ضوء هذه الظروف تم عقد معاهدة ثنائية قبل بموجبها فضل المولى ورفاقه من الضباط المصريين الدخول فى خدمة دولة الكنغو الحرة البلجيكية وكذلك بقية المستخدمين الملكية من ملكية وجهادية وقد وقع الطرفان فى 1892/10/19م . تم عقد إتفاقية باللغتين العربية والفرنسية فوقع عن حكومة الكنغو الحرة البلجيكية كطرف أول ميلز ووقع عن قوات الجهادية المصرية

المستخدمين الملكية الضابط فضل المولى الامين كطرف ثان . وتضمن العقد أن يقبل الطرف الثان الخدمة تحت علم دولة الكنغو الحرة البلجيكية والخضوع إلى قوانينها وأوامرها ومنع أى قوات اجنبية أخرى التوغل فى هذه الأرجاء على أن يدفع الطرف الأول إلى الطرف الثانى مبلغ مستوى قدره ألفان جنيه مصرى (2000)ج تدفع كل ستة أشهر ، نصف المبلغ نقدا والنصف الآخر بضاعة هذا إلى جانب تزويده بالسلاح والمؤن والملابس وما شابه ذلك . ومدة سريان العقد سنة من تاريخ توقيعه وقابل للتجديد ويتكون العقد من ثمانية بنود تفصيلية لمهام هذه القوات وقد حدث بعد فترة اختلاف عند تجديد العقد بين الطرفين فى البند الخاص بحقوق الجهادية إذ أن النص الفرنسى لم يكن موضحا هذه الحقوق بشيء من التفصيل . وتم توقيع العقد الثانى المجدد فى أول يناير 1894م ووقع عن الجانب البلجيكى هذه المرة النقيب (بايرت Bairet) وبعد ذلك عاد فضل المولى أمين إلى (جانده) حيث تعسكر قواته وبدأ فى تنظيم اعمالها وتحديد واجبات جنوده فأصدر عدة توجيهات إلى وحداته ويبدو أنه حاول أن يتفادى الأخطاء التى وقع فيها محمد أمين باشا فكون له مجلسا استشاريا من كبار ضباطه وكان لايتخذ قرارا إلا بمشورته وأما التعليمات فكان يصدرها مكتوبة باللغتين العربية والفرنسية وترجمتها إلى الانجليزية إذا لزم الأمر .

ولم تسكت بريطانيا بطبيعة الحال على هذا التقدم الألمانى والبلجيكى فى جنوب السودان نحو النيل فاتجهت إلى ايقافه بالطرق الدبلوماسية فجرت عدة مباحثات بين لندن وبروكسل وبرلين عن طريق القناصل وتقديم

الاحتجاجات البريطانية لدى حكومات تلك الدول وقد نجحت بريطانيا فى مسعاها إذ أثمر احتجاجها وتمسكها بقرارات مؤتمر برلين وبالاتفاقيات المبرمة مع تلك الدول المانيا وبلجيكا سنة 1890م إلى ايقاف الزحف الألمانى والبلجيكى فى جنوب السودان وفى نفس الوقت قررت احتلال السودان عسكريا عن طريق التدخل المسلح من شمال السودان ومن جنوبه .

وقد أحست بلجيكا بالمخطط البريطانى العسكرى قبل وقوع حوادثه فأرسل بايرت إلى فضل المولى الامين مذكرة فيها نص الاحتجاج البلجيكى ضد التدخل العسكرى البريطانى فى جنوب السودان ليبرزه لأى قائد بريطانى يصل هناك إذا حدث هذا الاحتلال ووصل الانجليز إلى هذه الأرجاء .

وقد كانت حكومة المهدية السودانية قد علمت بمخطط الانجليز الرامى نحو استعمار السودان فأرسلت قواتها إلى جنوب السودان وقد استطاعت هذه القوات أن توقف التحرك البلجيكى وأن تصفى الجيوب العسكرية لقوات فضل المولى الامين بعد عدة معارك كانت آخرها (جانده) التى قتل فيها فضل المولى الامين نفسه ومعظم قواده وبعدها تم رفع أعلام المهدية فى كل النقاط العسكرية فى المديرية الاستوائية وفى نهاية عام 1894م كان كل جنوب السودان تحت سيطرة الدولة المهدية لايشاركها فيه مشارك كما جاء فى تقرير عربى دفع الله عامل الخليفة عبد الله بعد استكمال هذه السيطرة ، إلا أن هذه السيادة السودانية على أقاليم جنوب السودان ما

كان لها أن تصمد طويلا بسبب وقوع استعمار السودان والتدخل فيه .

بريطانيا وفرنسا والاستحواذ على مديرية خط الاستواء وجنوب السودان :

لقد أفلحت بريطانيا بما توصلت اليه من اتفاقيات بين السنوات 1894 - 1890 مع كل من ايطاليا وألمانيا وبلجيكا أن تجعل كل منطقة حوض النيل الأعلى كلها منطقة واقعة تحت ما يسمى بدائرة النفوذ البريطانى ، ولكن الدولة التى لم تعترف بهذه الاتفاقيات والتى وقفت حجر عثرة أمام الأطماع البريطانية هى فرنسا . ظلت فرنسا تعارض أى أعمال من شأنها أن تؤدى إلى تثبيت اقدام بريطانيا فى مصر . وعندما وضح جليا أن السياسة البريطانية بعد الاتفاقيات تهدف إلى التدخل المسلح فى وادى النيل ليكون دائرة نفوذ بريطانية من المنبع حتى المصب . فقد وضعت فرنسا من المخطط ما تستطيع أن تزعزع به وضع بريطانيا فى مصر حتى لاتتمكن من بسط سيطرتها على وادى النيل .

وأول خططها كانت ترمى إلى ارسال بعثة من مناطق نفوذها فى إفريقيا الوسطى لتسير شرقا حتى بحر الغزال وتنتهى بوضع العلم الفرنسى فى اعالى النيل وقد استعانت الحكومة الفرنسية بآراء المهندس الفرنسى برمبت Bro-mbt الذى كان يعمل مهندسا فى خدمة الحكومة المصرية . وقد كان قد ألقى محاضرة فى المعهد الفرنسى فى القاهرة حول مشاكل المساقط المائية وأهمية السدود على نهر السوباط والنيل الأبيض لضبط عمليات الرى،

ونتيجة للمناقشات التي دارت حول أهمية السيطرة على حوض النيل كله فقد تأكدت مخاوف بريطانيا من صمت فرنسا فكتب أفلن بيرنج (كرومر فيما بعد) مذكرته الشهيرة حول ابعاد النشاط الايطالى والفرنسى عن حوض النيل . أما الحكومة الفرنسية وبتأثير من ديلكاسيه الامين المساعد لشئون المستعمرات أصبحت تفكر جديا فى تنفيذ الخطة التى من شأنها زعزعة وضع انجلترا فى مصر عن طريق التدخل المسلح فى جنوب السودان . وفى 15 مايو سنة 1893م اجتمع المهتمون بتنفيذ الخطة فى قصر الاليزيه واستعرضوا الوضع فى جنوب السودان وانتهى الاجتماع إلى اسناد أمر هذه الخطة إلى مونتيل Montiel المكتشف الفرنسى ليرأس بعثة يساعده فيها برمبت كخبير ومستشار وذلك لاكتشاف المواقع العامة والاستراتيجية فى أعالى النيل واتفق على أن تتولى الحملة وضع العلم الفرنسى على فاشودة بعد احتلالها عسكريا إذ أن ذلك يبطل أى ادعاء أو تخطيط لبريطانيا فى منطقة اعالى النيل ، وفى نفس الوقت سيسبب ذلك مخاوف لبريطانيا فى مصر . وقد أمر مونتيل بالتنفيذ الفورى على أن تكون نقطة تحركه من أعالى نهر الاوبانجى متجها صوب الشرق بقوة معقولة على أن يكون هدفه احتلال موقع فاشودة ووراؤه المنطقة التى يصب فيها فرعا نهر النيل السوباط وبحر الغزال .

وجرت التجهيزات بسرعة فائقة ولكن عارضا حدث وهو توغل البلجيكيين فى بحر الغزال وسعيهم لتدعيم وجودهم هناك بعد انتصارهم على قوات المهدى . وعندما علموا بالتحرك الفرنسى هددوا باستعمال القوة

لوقف الزحف الفرنسى ، لذلك فكرت فرنسا فى التوصل إلى اتفاق مع بلجيكا ومعالجة الأمر عن طريق المفاوضات ، ولذا أمر الحاكم الفرنسى على نهر الاوبانجى باتخاذ الحذر ومراقبة الموقف لاسيما وان الحكومة انشغلت فى مسألة العلاقات مع ايطاليا فى الحبشة والتى بدأت تتوتر بعض الشيء . وأوفد مونتيل إلى برلين فى بعثة دبلوماسية لفحص الترتيبات الخاصة بالكاميرون ضد الاتفاقية الانجليزية الألمانية والتى كانت ترى فرنسا أنها موجهة ضدها ويبدو أن الألمان كانوا مهيئين لقبول أى تسوية معقولة وتم تسوية الخلاف فى 15 مارس سنة 1894م والذى منحت فرنسا بموجبه حق امتدادها شرقا إلى أى مدى تزيده فى مقابل تنازلها عن أى ادعاء فى الكاميرون . وبعد ذلك عاد مونتيل ليحث حكومته على الاسراع بتنفيذ مخططها نحو النيل . ولكن بريطانيا كانت أسرع من فرنسا فى التحرك نحو النيل إذ أن مخططها كان يهدف إلى مد نفوذها إلى أعالى النيل من أوغندا وإلى التدخل السريع عن طريق شمال السودان .

والجدير بالذكر أن أوغندا قد أصبحت من منطقة النفوذ البريطانى منذ اعتراف المانيا بأحقية شركة إفريقيا الشرقية البريطانية فى التجارة فى إفريقيا الشرقية والاعتراف بنفوذها فى المنطقة الواقعة من نهر الجبا شرقا حتى أعالى النيل غربا وذلك فى مارس سنة 1890م . وما تلى هذين الاعترافين من اجراءات لتأكيد الوجود البربطانى فى أوعندا والذى بدأ بحملتين صغيرتين عام 1890م . الأولى بقيادة النقيب فردريك ليوقارد والثانية بقيادة فرنسيس دى ونتون ، ونتج عن هاتين الحملتين اعلان الحماية على اوغندا فى

1894/6/18م . وقد لعب ليوقارد دورا هاما فى أحداث اوغندا بين السنوات 1892-1894 إذ أنه استطاع أن يستفيد من وضع القوات المصرية التى كانت تابعة لأمين باشا وفاتتها حملة استانلى وأضحت منعزلة عن العالم فى منطقة كافللى عند بحيرة البرت تحت قيادة سليم مطر – حاكم مرولى سابقا – وقد أغرى ليوقارد سليم مصر وتوصل معه إلى اتفاق تم بموجبه دخول سليم وقواته فى خدمة الشركة البريطانية الإفريقية . وقد كان لدخول قوات سليم مطر فى خدمة الشركة البريطانية الإفريقيا أثر كبير فى تدعيم النفوذ البريطانى فى أوغندا خاصة وان هذه القوات مدربة وعلى قدر كبير من المهارات . وان كان ليوقارد قد استغل الموقف الحرج الذى تعانيه هذه القوات فى منطقة نائية الا أنه حاول أن يبعد عن نفسه تهمة هذا الاستغلال عندما أكد أن الاتفاق كان بين سليم مطر من جهة وبين مندوب الشركة البريطانية الإفريقية من جهة أخرى . ومهما يكن من أمر فان اتفاقا قد حدث بين سليم وبين الشركة البريطانية الإفريقية . وقد أشار كل من محمد رفعت رمضان وعمر طوسون و (Furly) إلى هذا الاتفاق ، وقد أورد طوسون نص هذا الاتفاق حيث ذكر (تعهد ليوقارد بأن يكتب إلى الخديوى يستأذنه فى تجنيد العدد اللازم من الجنود للشركة البريطانية الإفريقية اذا رفض الخديوى التصديق على ذلك واستدعيت الجنود إلى الديار المصرية يستلزم على ليوقارد تسهيل مهمتهم ومرورهم عبر اراضى الشركة وذلك فى مقابل الخدمة التى يكونون قد أدوها للشركة ، واذا كانوا راغبين فى الانضمام نهائيا فى خدمة الشركة منحوا مكافأة عن المدة التى يكونون قد قضوها فى

خدمة الشركة ، وفى أثناء خدمتهم ينتظمون فى سلك الجندية تحت قياد ليوقارد الذى تعهد بألا يرسلهم إلى المديرية الإستوائية وان يبقيهم داخل حدود مملكة الاتيوروا ... أما اذا دخلوا فى خدمة الشركة بعد وصول اذن الخديوى فيتحتم عليهم حينئذ أن يذهبوا إلى أى محل يؤمرون به رافعين علم الشركة ولهم الحق إلى حين وصول الاذن أن يرفعوا العلم المصرى ، أما فيما يختص بالرواتب والرتب والكساوى والعلوفة فيعاملون المعاملة التى كانوا يعاملون بها فى عهد الحكومة المصرية) .

وما أن ضمن ليوقارد خدمة هؤلاء الجنود السودانيين إلى جانبه حتى نصح باعلان الحماية البريطانية على أوغندا . وقد كان مجلس الوزراء البريطانى آنذاك مترددا فى التدخل رسميا فى أوغندا بسبب الحرب الأهلية الدائرة فيها بين الفئات المسيحية من جهة وبين مسلمى الباغندا منجهة أخرى ، وفى مارس 1894 م اتخذ قراره باعلان الحماية فى زنجبار وكينيا بعد نقاش مستفيض .

وكان اعلان الحماية البريطانية على اوغندا ماهو إلا مقدمة لتأمين حوض النيل ضد فرنسا ، وقد تم ذلك فى الوقت الذى تقدم فيه البلجيكيون نحو النيل فصدرت الأوامر إلى العقيد كوفيل Covil بالتقدم السريع والتحقق من ذلك وقد أرسل كوفيل النقيب ثرستن على رأس قوة صغيرة وعندما وصل وادلاى ووجدها مهجورة فرفع عليها العلم البريطانى وعند رجوعه فوجىء بوجود قوات سودانية حول أحراش مرتفعات وادلاى وهى بقايا قوات جنود فضل المولى الامين الذين لاذوا بالفرار بعد هزيمة قوات المهدية السودانية

لهم فى معركة جاندة واستشهاد قائدهم . ولازالت تلك القوة محتفظة بولائها العسكرى لمصر وترفع العلم المصرى . ومثلما استحوذ ليوقارد على قوات سليم مطر بالمكر والخديعة ، فقد استحوذ على بقايا قوات فضل المولى الأمين بنفس الأسلوب ، وفى هذا الصدد يلاحظ محمد رفعت رمضان (ولو نزلت مائدة من السماء على كوفيل لما شعر بالسعادة التى شعر بها عندما انهى اليه ثرستون بالخبر الذى من شأنه الحصول على بقايا رجال فضل المولى الامين ، وان يضم قوة جديدة إلى قوة الجهادية الموجودة بقيادة سليم مطر ، وبذلك يتدعم نفوذ انجلترا فى محميتها أوغندا ويسهل تحقيق الأمال العريضة التى ينشدها الانجليز فى حوض وادى النيل).

وقد وصل فى نفس الوقت الضابط البلجيكى بايرت حيث وجد العلم البريطانى مرفوعا فى وادلاى فثارت ثائرته وهدد باستعمال القوة إذا لم تنسحب بريطانيا من هذه المنطقة ورأت بريطانيا أن التهديد البلجيكى يمكن معالجته بالطرق السلمية فحدث اتصال بين حكومة الدولتين وفعلا تمت تسوية النزاع مع بلجيكا واتفق ان تحتل بلجيكا المنطقة الواقعة غرب النيل من بحيرة البرت حتى فاشودة على سبيل الإيجار من بريطانيا طوال حياة الملك ليوبولد ، بالإضافة إلى منح دولة الكنغو الحرة البلجيكية الأراضى الواقعة بين خطى طول 25 ، 30 شرقا وخطى عرض 5 ، 10 شمالا فى مديرية بحر الغزال . وقد كانت فرنسا تمر بأزمة وزارية ورغم ذلك فقد استطاعت المجموعة الاستعمارية فى المجلس القديم تصعيد الشعور بالاحتقار لبريطانيا لعقدها هذه الاتفاقية إلى المجلس الجديد وبعد تكوين الحكومة

وتفهمها للمسألة من كل جوانبها وأهداف ومرامى السياسة البريطانية فى حوض النيل ، تحدث هانتو Hanotaux عن صعوبة التوصل إلى اتفاق مع الملك ليوبولد وانجلترا وتطرق إلى حقوق تركيا القانونية فى مصر والتى ضمنت فى فرمان الولاية الخديوية سنة 1892 والذى حظى بموافقة دول أوروبا ، وفى رأيه أن بريطانيا قد وضعت يدها على أراضى مصرية بدون وجه حق وبدون أى صفة قانونية وانتهى إلى القول بأن فرنسا لن تسمح بأن تمزق الاتفاقيات الدولية بهذا الشكل ورفعت فرنسا احتجاجا ضد الاتفاق الانجليزى البلجيكى ، وأيدتها ألمانيا فى ذلك لأن الأراضى التى أجرتها بريطانيا لبلجيكا لاتبعد كثيرا عن منطقة النفوذ الألمانى فى إفريقيا الشرقية ، وكان رد بريطانيا على الاحتجاج انها لاتقبل أن تتدخل فرنسا فى سياستها وانها تصرفت وفق مقررات مؤتمر برلين كما أن البلجيكيين ادعوا من جانبهم أن منطقة بحر الغزال غير واقعة فى اطار الأقاليم المتنازع عليها . وازاء هذا التحدى جددت فرنسا نشاطها العسكرى وأرسلت بعثات استكشافية نحو النيل من خلال محورين : من نهر الاوبانجى من الغرب ومن الحبشة من جهة الشرق وذلك من خلال وجود فرنسا فى الحبشة . ومعروف أن فرنسا لعبت دورا هاما فى إيقاف تقدم الايطاليين نحو السودان الشرقى بما قدمته من مساعدات إلى منيليك الثانى الحبشى والتى تمثلت فى مده بالأسلحة الحديثة فى مقابل حصولهم على امتيازات التعدين وانشاء خطوط السكك الحديدية . وقد استخدم منيليك الدعم الفرنسى فى مقاومته لسيطرة الايطاليين واتضح ذلك فى هزيمته للإيطاليين فى معركة

عدوة الشهيرة فى مارس سنة 1896م . وكانت لهزيمة عدوة أبعاد سياسية ملموسة فى إيطاليا وأوروبا وأفريقيا ، ففى ايطاليا أدت الهزيمة إلى استقالة حكومة جرسبى فى 5 مارس سنة 1896 وجاءت حكومة الماركيز دى روديني Du Rudini الذى انتقد سياسات من سبقوه وكانت سياسته اتباع سياسة سلمية فى إفريقيا والانسحاب نهائيا من شرق إفريقيا . وفى أوروبا قادت الهزيمة إلى تفاهم فرنسى إيطالى بسبب تخلى ايطاليا عن اهدافها الاستعمارية المتضاربة مع فرنسا ، أما فى إفريقيا .فقد أدت هزيمة الايطاليين الى تحرك بريطانى سريع لاعادة استراجاع السودان باسم الخديوى اسماعيل ، لاسيما وان البريطانيين خشوا من قيام تحالف حبشى سودانى خاصة وان السفير الايطالى فى لندن كان قد نقل إلى الحكومة البريطانية فى 5 يناير سنة 1896م بأن هنالك مراسلات بين الخليفة عبد الله ومنيليك الثانى .

وقد أسفرت المفاوضات البريطانية - الإيطالية بشأن شرق السودان عن تخلى الايطاليين عن مراكزهم فى شرق السودان والانسحاب من كسلا وتسليمها إلى القوات البريطانية ، كما اعترف الإيطاليون بأن منطقة جنوب السودان منطقة نفوذ بريطانية ، وفى 13 مارس سنة 1896م . أرسلت الحكومة البريطانية أوامرها إلى كتشنر باعداد حملة تتقدم مع النيل لاحتلال اقليم دنقلة حتى ينشغل الخليفة عبد الله عن الإيطاليين فى كسلا وفى نفس الوقت أصدرت أوامرها إلى قواتها فى سواكن بالتحرك صوب كسلا لاستلامها من الايطاليين . ووصلت القوات البريطانية إلى كسلا فى

25 ديسمبر سنة 1896م بعد معارك طنيفة مع قوات المهدية - وتسلمتها لتصبح من (إملاك الخديوى) على أن يدفع الخديوى للحكومة الايطالية مبلغا من المال يتفق عليه بين مصر وايطاليا .

وقد وجدت حملة استرجاع اسلودان مقاومة ضارية فى شمال السودان فى عدة معارك عسكرية راح ضحيتها الآلاف من لبناء السودان والمسلمين وكان آخرها معركة (كررى) الشهيرة وحيث أن هذه المقاومة قد أخرت تقدم البريطانيين نحو جنوب السودان فقد كان هناك تقدم آخر لبريطانيا من جهة أوغندا . بعد قضاؤها على مقاومة شعب (الباغندا) المسلم فى شمال أوغندا وكان لوجود الجنود السودانيين تحت قيادة سليم مطر أثرهم البالغ فى اتساع نطاق هذه المقاومة التى كادت أن تطيح بالوجود البريطانى فى أوغندا. وقد استعملت القوات البريطانية أساليب فى غاية الشدة لاخماد تلك المقاومة ويعزى طوسون أسباب قيام تلك الثورة إلى الجنود السودانيين الذين رفضوا الاشتراك فى الحملة الانجليزية المتجهة لاحتلال فاشودة قبل أن يصلها الفرنسيين وكان للرائد مكدونالد دورا هاما فى تصفية الوجود الاسلامى فى شمال اوغندا . وقد سجل ذلك فى مذكراته واعتز بالدور الكبير الذى قام به حيث قال (لقد كان من حسن حظى وأنا أشغل وظيفة قوميسير أن أعمل بصفة قاطعة على تصفية آخر مجهود تبذله الهمجية الاسلامية فى طرد النفوذ البريطانى ومشروعات التمدن والحضارة التى يقوم بها المبشرون فى شمال أوغندا) .

وقد واكب تقدم الانجليز هذا من الشمال تقدم الفرنسيين الفعلى عن

طريق بحر الغزال فى منتصف سنة 1898م وقد وصف اللورد سالسبرى الموقف آنذاك فى أعالى النيل بأن الحكم على ما يجرى فى حوض أعالى النيل ولمصلحة من يكون لهو صعب مثل النبؤ بما يجرى على الوجه الآخر من القمر . وما أن وصل كتشنر إلى أم درمان فى 3 سبتمبر سنة 1898م وقبل أن يوطد سيطرته فى شمال السودان حتى علم بتحرك النقيب مارشان Marchan نحو فاشودة فى أعالى النيل بقوات فرنسية ، ولذلك كان تقدم كتشنر السريع نحو الجنوب ووصل الى فاشودة فى 18 سبتمبر 1898م حيث وجد أن مارشان قد سبقه اليها ورفع العلم الفرنسى عليها وكاد صداما حقيقيا أن يقع بين الطرفين .

وحدثت أزمة دبلوماسية بسبب حادث فاشودة بين بريطانيا وفرنسا فكل دولة لها مبرراتها لاحتلال فاشودة ، فالأولى ترى أن هذه الأراضى كانت تابعة للحكومة المصرية وهى الآن بحكم وضعها فى مصر واحتلالها فانها مسئولة عن اعادة هذه الاراضى لمصر ، والثانية ترى أن هذه الأراضى أراض لا صاحب لها ، بعد انسحاب القوات المصرية وعجز دولة المهدية فرض سيطرتها عليها ، وتأزم الموقف بين القائدين وكل فى انتظار توجيه حكومته واضطرت فرنسا الى الانسحاب عندما هددت بريطانيا باستعمال القوة لاجلاء الفرنسيين عن فاشودة لا سيما وأنهم أصبحوا مصحورين بين قوات بريطانية من جهة الشمال ومن جهة الجنوب . فكانت تعليمات ديلكاسيه إلى مارشان بالانسحاب .

وبانتهاء أزمة فاشودة أصبح كل السودان وأوغندا تحت النفوذ البريطانى المباشر ، وعرف حكم بريطانيا لأوغندا بالحماية البريطانية وحكم بريطانيا للسودان بالحكم الثنائى بين مصر وبريطانيا وفقا لاتفاقية الحكم الثنائى سنة 1899م . والتى وقعها بطرس غالى وزير الخارجية نيابة عن الحكومة المصرية ورغم أن مصر تعتبر شريكا فى الحكم الا أن بريطانيا فى واقع الأمر قد انفردت بحكم السودان .

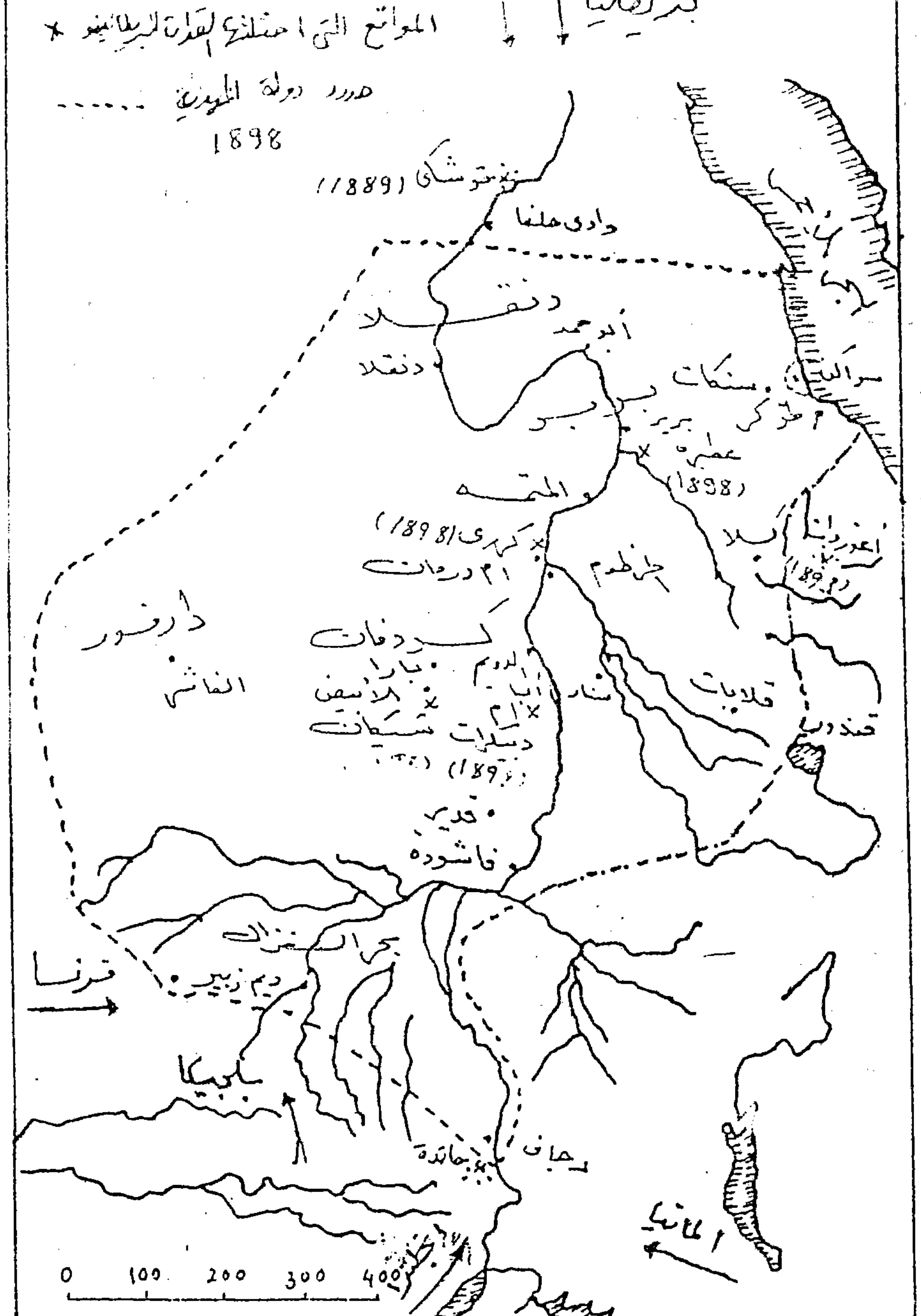

الغزو البريطاني للسودان 1896 _ 1899
والصراع الدولي على أعالي النيل

التنافس الاستعمارى فى غـرب إفريقيـا :

ومن أمثلة هذه التنافس :

أ - التنافس بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا فى غرب إفريقيا : -

بدأ تحديد مناطق النفوذ بين الدول الاستعمارية أمرا غير سهل حيث كانت تختلط المنشآت الفرنسية بالبريطانية ولم يكن واضحا وضع اليدى كأساس لادعاء الحق . فعملت فرنسا بحماس محموم على توسيع ميدان نشاطها فى السودان الغربى لتقطع على منافستها خط الوصول إلى الداخل معتمدة على منشآتها القديمة من قلاع وحصون لاستعمالها كنقطة إرتكاز للحملات ، وتمكنت من توحيد السنغال وداهومى وساحل العاج فى سرعة رغم مقاومة الملوك السود ، كما فتحت طريقا نحو مصب نهر النيجر واحتلت تمبكتو وواصلت زحفها لتشاد وأعالى النيجر فترتب على ذلك أن حوصرت الممتلكات البريطانية فى غامبيا وسيراليون وساحل العاج وكذلك فى توجو الألمانية ولكن شركة غولدى الملكية تصدت للفرنسيين بكتائبها العسكرية وامكانياتها وعلاقتها مع الولايات الإفريقيا وبواسطتها تمكنت بريطانيا من إيقاف الزحف الفرنسى وأعلنت حمايتها على لاغوس وانتهى الخلاف بين الدولتين فى منطقة النيجر ونيجيريا بتوقيع اتفاق سنة 1890م الذى بين الحدود لكل دولة ، وآلت نيجريا برمتها للبريطانيين بعد قضائهم على بقايا الفلانيين . وأقامت فيها حكما غير مباشر خطط له ورسمه الاستعمارى ليوقارد وهو نظام يحتفظ فيه الأهالى بوضعهم القبلى

ويحتكمـون الى تقـاليـدهـم وأعـرافـهـم الإفـريـقيـا تحت إشـراف البـريطانيين من العـاصــمـة . وقـد أفـاد هذا النظام فى صـرف الأهالى عن مـقـاومـة الحكم البريطانى ، واستفاد البريطانيون من امكانات إفريقيا العديدة البشرية والطبيعية حيث سيطرت بريطانيا على أشجار النخيل والكاكاو والفول وتوسعت فى زراعتها ، أما فرنسا التى كانت لها حرية التصرف فى منطقة تشاد اضطرت إلى تجميع كل ممتلكاتها فى إفريقيا الشمالية والسودان والكنغو تحت إدارة واحدة وسميت بإفريقيا الاستوائية الفرنسية .

كما اصطدمت بريطانيا بألمانيا فى غرب إفريقيا فقد أيد بسمارك منذ سنة 1882 نشاط التجار الألمان فى ساحل إفريقيا الغربى وساحل غانا بصفة خاصة وكان على رأسهم الدكتور ناختيجال Nachigal الذى كان يراسل الحكومة الألمانية وواصل نشاطه حتى المنطقة الواقعة إلى الشرق من المستعمرة البريطانية فى ساحل الذهب . حيث استطاع أن يعقد إتفاقيات مع الزعماء المحليين وأعلن عن قيام محمية توجو الألمانية ، ثم اتجه نحو الكاميرون وفعل مثلما فعل فى منطقة التوجو وقد انتهى نشاطه بأن أصبحت هذه المناطق مناطق نفوذ ألمانية إذ أنه رفع العلم الألمانى عليها بموافقة حكومته ودعمها له .

وقد أثار هذا التحرك الألمانى مخاوف البريطانيين والفرنسيين على السواء . وتم تسوية الموقف بين كل منهما على حدة ، وأهم هذه التسويات الإتفاق بين ألمانيا وفرنسا وذلك عندما وافقت ألمانيا لفرنسا بإطلاق يدها فى

منطقة مراكش مقابل اعتراف فرنسا بأحقية ألمانيا فى توجو والكاميرون وانتهت هذه التسوية نهائيا عام 1911 م .

التنافس الأوروبى فى شــــرق إفريقيـــا :

كانت أهم سمات شرق إفريقيا بعد إنحسار النفوذ البرتغالى هو قيام إمبراطورية عمان العربية فى شرق إفريقيا التى شملت أرجاء واسعة من الساحل الإفريقى ما بين زنجبار وممبسا . ولم يكن هناك أدنى تخوف من تدخل أوروبى عندما فكر سيد سعيد وقرر إقامة امبراطوريته فى شرق افريقيا نسبة لقوة نفوذه وخبرته ، وكان الأوروبيون من فرنسيين وبرتغاليين مشغولين فى عمليات تجارة الرقيق ، وبريطانيا غير راغبة فى التوسع الإقليمى الخارجى ، وحتى عندما قرر ضابط بحرى بريطانى فرض حماية بريطانية على ممبسا سنة 1824 لم توافق حكومته على مسلكه . غير أن هذا الموقف المريح لسيد سعيد – الذى وطد أركان دولته – لم يستمر طويلا ، حيث أن أوروبا بدأت فى التدخل فى إفريقيا وقد اتخذت ذريعة تجارة الرقيق وإبطالها مدخلا لهذا التدخل . وحيث أن سلطنة عمان كانت تعتمد على هذه التجارة فقد وقعت بريطانيا مع السلطانسيد سعيد العديد من الاتفاقيات بشأن إلغاء هذه التجارة وتحريمها فى ممتلكاته ووافق السلطان على تعيين مندوب بريطانى فى زنجبار لمراقبة السفن ، وكانت هذه أول شوكة فى جسم سلطنة عمان حيث ظل المندوب البريطانى يكرر لسيد سعيد الشكاوى من غارات العرب على الإفريقيين . وأما الشوكة الثانية فكانت المبشرين والرحالة – وقد

ذكرنا دورهم – وهم الذين كتبوا تقارير بشعة عن غارات العرب على الإفريقيين وما ألحقوه من خراب ودمار وهلع فى إفريقيا . وهب الرأى العام الأوروبى يطالب بالغاء تجارة الرقيق والضرب على أيدى من يمارسونها من العرب وظل سيد سعيد يدرا الخطر دبلوماسيا وسياسيا إلى أن مات فى سنة 1856 م .

وقد أدى الصراع بين ولده حول السلطة إلى ازدياد التدخل الأوروبى فى شئون السطنة وقد انتهى ذلك الصراع باقتسام السطنة إلى جزئين أحدهما مقره عمان والآخر فى زنجبار . وإزاء التنافس الفرنسى والألمانى فى شرق افريقيا طلب السلطان برقش التأييد من بريطانيا التى لم تتردد فى تأييده شريطة أن يستجيب لكل مطالبها وتعيين جون كيرك مندوبا ساميا لديه للإشراف على تنفيذ السياسة البريطانية ، وقد أصبح لجون كيرك نفوذا قويا حيث هدد السلطان مرة بمحاصرة جزيرته بالأسطول البريطانى إذا لم يصدر بيانا بتحريم تجارة الرق فى كل ممتلكاته ، وتحت هذا الضغط أصدر السلطان بيانا سنة 1873م ، وكانت هذه بداية النهاية لنفوذ برقش فى زنجبار حيث أنه فقد تأييد التجار العرب والمسلمين وما يدفعونه له من مكوس وضرائب وزكاة.

وشهدت هذه الفترة التى تدهور فيها نفوذ برقش حقبة نشطة فى النشاط الأوروبى الذى تقوم به عدة دول أوروبية إذ أن ممثليهم صاروا يعقدون فى الداخل الاتفاقات والتحالفات مع الزعماء الإفريقيين والسلطان فى زنجبار

يشهد مصرع دولته !! .

وألمانيا كانت من أنشط الدول إذ أنها لم تعترف بأى سيادة لسلطان زنجبار الا على جزيرته واعتبرت ان كل الاراضى الخارجة عنها مستباحة . وإزاء هذا الموقف المتوتر رأى السلطان إنقاذ ما يمكن إنقاذه معتمدا على صداقته القديمة لبريطانيا ومهد لذلك - بغرض إذلاله - بترتيب زيارة له لبريطانيا عاد بعدها ورضى بقبول الحماية البريطانية لأنها المخرج الوحيد له للمحافظة على بقية املاكه فى الجزر التى حوله ، ولكن الحوادث بدأت تتداخل ووصلت إلى نهايتها المحتومة وهى تقسيم شرق إفريقيا . بين بريطانيا وألمانيا خاصة وأن أوروبا أصبحت مقتنعة بضرورة إنهاء الوجود العربى فى شرق إفريقيا حيث طغت كتابات الرحالة والمبشرين بصور سيئة عن أثر التجار العرب فى شرق إفريقيا ووسطها فهم أينما حلوا أثاروا الرعب والخراب والدمار واستنزفوا موارد البلاد الاقتصادية ، وباستعمالهم السلاح النارى أثاروا النعرات القبلية بين القبائل ولكن لم يكن الغرض من هذه الحملات هو إيقاف النفوذ العربى وإنما الغرض منه منع انتشار الاسلام فى إفريقيا حيث أن العروبة والإسلام صنوان لايفترقان فحيثما وجدت العروبة وجد الإسلام ، ونسى الأوروبيون أو تناسوا الصور البشعة التى تركوها فى غرب أفريقيا ! ، بيد أنه هنا فى شرق إفريقيا ترك العرب الأثر الحسن الذى وصفه الرحالة دون مايلى إنك عندما تتجول فى أحراش إفريقيا المتوحشة تصادفك بعض الأحيان مزارع من القمح والأرز وحدائق الجوافا والليمون والموز ، فأعلم أنها من صنع العرب الذين حولوا سهول تابورا إلى جنائن غناء ..

وعلموا البانتو الصيادين الزراعة والفلاحة .

الخـــلاف مع ألمانيـا وايطاليـــا ومحاولات إبعادهمـا عن النيل : -

ورغم أن بريطانيا كان لها نفوذ فى زنجبار إلا أنها بعد هزيمة غردون فى السودان الشرقى وفقدها معظم جنودها وكذلك تدخل ألمانيا فى الكاميرون والتوجو لم تكن راغبة فى التورط أكثر ، إلا أن بعض اعضاء حكومة جلادستون تنبهوا إلى بوادر التسابق الاستعمارى على شرق إفريقيا ورأوا أن يؤيدوا المعاهدات التى عقدها هارى جونسون Hary Johnson - عالم التاريخ الطبيعي - الذى جاب المنطقة حتى جبل كلمنجارو وهى ما تسمى تنجانيقا ، حتى لاتسبقهم اليها ألمانيا .

ومعروف أن ألمانيا وافقت لشركة كارل بيترز Karl Peters وزملاؤه التحدث باسم الحكومة الألمانية وسميت الشركة هذه شركة شرق إفريقيا الألمانية ، وكان كارل قد استطاع أن يجوب معظم شرق إفريقيا الداخلية وأن يحصل على اتفاقات مع زعماء القبائل الذين كانوا موالين لحاكم زنجبار . وفى أثناء انعقاد مؤتمر برلين أعلنت ألمانيا حمايتها للشركة ومنحتها حق إقامة مستعمرة وإدارة ألمانية فى شرق إفريقيا وأيدت قرارها بإرسال أسطول حربى إلى ساحل زنجبار .

وحيث أن بريطايا لم يكن فى وسعها مجابهة التهديد الألمانى خرقت اتفاقها مع السلطان فى زنجبار ونصحته بأن يوافق للألمان بالتنازل عن الأراضى التى تقع خلفه فى كينيا وما جاورها . وهكذا ظهرت إلى الوجود

شركة إفريقيا الشرقية الألمانية . وعندما حاولت هذه الشركة إستخدام امين باشا كما سبق ذكره ، رأى سالسبرى أن تحرك المانيا نحو النيل يثير مخاوفه خاصة وأن المانيا بدأت فى الاتصال بالكباكا Kabaka ملك أوغندا فى محاولة لتوقيع معاهدة معه ، فلم يترك الأمور لتسير فى تطورها الطبيعى بل رأى أن يتصل بالحكومة الألمانية ليدخل معها فى مفاوضات ويقدم لها تعويضا مجزيا يبعدها به عن هذه المنطقة الحساسة لموقف بريطانيا فى مصر

وهذه تعتبر معلما هاما قلب السياسة البريطانية رأسا على عقب إذ أنه منذ ذلك النقطة أصبحت السياسة البريطانية تسيطر عليها الأهداف السياسية والاستراتيجيات أكثر من المصالح التجارية . وانتهت المفاوضات بين المانيا وبريطانيا بتوقيع اتفاقية جزيرة (هيجو لاند Hugo Land) فى بحر الشمال تنازلت فيه بريطانيا عن هذه الجزيرة لألمانيا فى مقابل اعتراف ألمانيا بفرض حمايتها على اوغندا وكينيا وممتلكات حاكم زنجبار فى الجزر التابعة لها . وجزيرة هيجو لاند ذات موقع استراتيجى لألمانيا حيث أنها تسيطر على مياه بحر الشمال عند مدخل قناة (كيل Keel) التى بدأت المانيا فى حفرها منذ عام 1887م وبذلك يتمكن الأسطول الألمانى من الملاحة بين بحرى البلطيق والشمال فى مياه إقليمية ألمانية .

ولكن تتم بريطانيا إحكام قبضتها على وادى النيل وتتحكم فيه حاولت إبعاد ايطاليا عن النيل الأزرق وروافده ، فأوغرت لها أنها لاتقترض على ازدياد نفوذها فى الصومال والحبشة ، ولكن وجودها فى أريتريا خاصة بعد تدخل القوات الايطالية حتى كسلا فى نهاية عهد الدولة المهدية إنحسار

مخاوف بريطانيا فدارت مفاوضات بين الدولتين وافقت فيه بريطانيا على احتلال ايطاليا لأريتريا ووجودها فى كسلا مؤقتا ريثما ينتهى موضوع استرجاع السودان لمصر ، وفى هذه الحالة يمكن أن تعوض بمصوع ، وبذلك تم لبريطانيا تنحية ايطاليا عن رافد نهر العطبرة مثلما أبعدت المانيا عن أوغندا وتم تسوية الخلاف بين الدولتين على مناطق شرق إفريقيا كلها باتفاقية سنة 1890 م

أ. ا جنوب إفريقيا فقد كانت منطقة هامة بالنسبة لبريطانيا خاصة بعد خوضها معارك ضد البوير ، تلك المعارك التى انتهت بالاعتراف بإستقلال جمهوريات البوير فى مقابل سيطرة البريطانيين على مدينة الرأس Cape . ونتيجة للتحرك الألمانى الذى تم فى جنوب إفريقيا فقد قامت بريطانيا بالتحرك من الكاب حتى بتسوانالاند ، واعترفت آنفا بالنشاط الاستعمارى الذى قام به رودس سيسل واعلان الحماية على منطقة نفوذه فى كمبرلى باقليم جريكو ايلاند الغربية . كما اعتبرت المنطقة ما بين بتشوانالاند والزمبيزى منطقة نفود بريطانية وسمحت لرودس بالقيام بمهمة الحكومة البريطانية فى تلك الأصقاع . وفى الفترة ما بين أعوام 1889 - 1890م تمكنت بريطانيا من فرض سيطرتها على معظم جنوب افريقيا من الكاب حتى روديسيا الشمالية ونياسالاند ، وبذلك تحققت خطة بريطانيا وهى الربط بين محورى القاهرة – الكاب تلك السياسة التى نجح سالسبرى فيها وعلى ضوئها تم تقسيم إفريقيا .

التنافس الاستعماري في شمال إفريقيا : -

رغم أن الاستعمار كان أكثر اهتماما بشمال افريقيا إلا انه لم يتخذ من الأساليب ما يوضح أهدافه مباشرة مثل ما حدث في بقية أجزاء إفريقيا ، إذ انه كان يخشى من الوجود العربي الاسلامي في بادىء الأمر ثم من الدولة العثمانية ولم تقو شوكته إلا بع ضعف الدولة العثمانية ، وأما الدول التي تنافست في شمال إفريقيا فهي بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وايطاليا

أما مناطق التنافس فهي كانت تتمثل في الجزر البحرية في البحر الأبيض المتوسط ، وجزر الكناري وجبل طارق ومدن وثغور شمال إفريقيا عموما ، وأهمها سبتة ومليلة وتونس والجزائر ومراكش وساحل ليبيا ومصر ، وقد بدأ هذا التنافس منذ أن تخلص الأسبان من العرب بعد سقوط غرناطة آخر حصن عربي في الأندلس سنة 1492م وتتبعوا العرب في المدن الساحلية على الشاطئ الإفريقي المواجة لأوروبا ، فأحتل الأسبان مليلة ووهران والجزائر وسوسة وصفاقس وسبتة ، وقد استغل الإسبان الأوضاع السيئة في أواخر دولة الموحدين ، فامتدت أطماعهم نحو تونس ومراكش والجزائر ، وقد تصدت الدولة العثمانية لهذا التوجه الاسباني عندما احتلت تركيا تونس سنة 1574م ، واضافتها لسيادتها وأنهت حكم آل حفص الموالين للإسبان ، وحاول الإسبان أيضا سنة 1592م . الإستيلاء على جزيرة جربا ولكنهم منوا بهزيمة منكرة من العثمانين ، وقبل نهاية القرن الثامن عشر كانت اسبانيا قد جلت عن مظعم الأقاليم التي استعمرتها في شمال إفريقيا ما عدا مليلة وسبة التي آلت اليها من البرتغال

أما فى فترة التكالب الإستعمارى فإن فرنسا استولت على تونس سنة 1881م . وكانت قبل ذلك قد احتلت الجزائر ، ولم تستطع اسبانيا مقاومة فرنسا فاكتفت بتقوية نفوذها فى مناطقها القديمة وهى مدينة أفنى ، وريو دى أورو والصحراء الرسبانية ، وأما بريطانيا فقد احتلت جبل طارق سنة 1704م لأهميته الاستراتيجية بالنسبة لمصالحها فى البحر الأبيض المتوسط وتأمين خط سير سفنها عبر البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأحمر وإلى الهند ، أما مصر فقد كانت محل تصارع استعمارى مستمر بين فرنسا وبريطانيا أدى إلى اشتباك مسلح أكثر من مرة وذلك عندما أجلت بريطانيا القوات الفرنسية من مصر فيما يسمى بالحملة الفرنسية على مصر وذلك بادعاء أن بريطانيا تربطها اتفاقات ومعادهات مع الباب العالى . وقد انتهى التدخل البريطانى فى شؤون تركيا إلى احتلال مصر سنة 1882م ، وإخماد الثورة العرابية التى قامت فى مصر رافضة للتدخل البريطانى فى مصر . أما ايطاليا التى كانت تطمح فى تونس ، فقد ساءها إحتلال فرنسا لتونس فأوعزت لها الدول الأوروبية الأخرى بالتوجه نحو ليبيا .

ونتيجة لتضارب المصالح بين الدول الأوروبية فإنه بعد سنة 1900م لجأت الدول الأوروبية إلى توقيع اتفاقات لتحقيق التنسيق فيما بينها بشأن شمال إفريقيا ، فوقعت اسبانيا وفرنسا اتفاقا سنة 1902م . سوت فيه الدولتان اختلافاتها بشأن المغرب ، أما بريطانيا وفرنسا فقد وقعتا الإتفاق الودى سنة 1904م . وبموجبه تقرر أن تطلق الثانية يد الأولى فى مصر فلا تطلبها بتحديد موعد لإنهاء الاحتلال البريطانى لمصر ، فى مقابل أن تترك بريطانيا

لفرنسا حريتها فى المغرب وبلغ التنسيق بين الدول الأوروبية غايته فى مؤتمر الجزيرة سنة 1906م الذى انعقد للنظر فى شؤون المغرب ، وحضرته أكثر من اثنى عشر دولة أوروبية ، ورغم ان المؤتمرين اتفقوا على احترام استقلال المغرب إلا أنه لم يمض على توقيع الميثاق عام واحد حتى كانت فرنسا قد احتلت وجدة على الحدود الجزائرية المغربية وأسرعت اسبانيا لاحتلال مناطق هامة فى الريف ، وتطورت الأحداث فاحتلت فرنسا الرباط ثم فاس ، وأثارت هذه التحركات المانيا وإيطاليا ، فأما ألمانيا فأرسلت فى سنة 1911م . سفنها الحربية إلى ميناء أغادير فى مظاهرة عسكرية ، وقد أدى ذلك أن تسارع فرنسا إلى التفاهم معها ووصلتا إلى اتفاق تركت فرنسا لها بموجبه رقعة من أملاكها فى حوض الكنغو فى مقابل ترك الحرية لفرنسا فى المغرب . أما ايطاليا فقد اتفقت مع فرنسا بعد أن وافقت فرنسا على عدم معارضتها فى احتلالها ليبيا فى مقابل سكوت ايطاليا عن احتلال فرنسا للمغرب ، وإزاء هذا التحرك الأوروبى وجد سلطان المغرب نفسه مجبرا لقبول الحماية الفرنسية سنة 1912م . وأما اسبانيا فقد اتفقت أيضا مع فرنسا بتحديد مناطق النفوذ الإسبانى فى المغرب فى المنطقة التى أطلق عليها الريف الإسبانى .

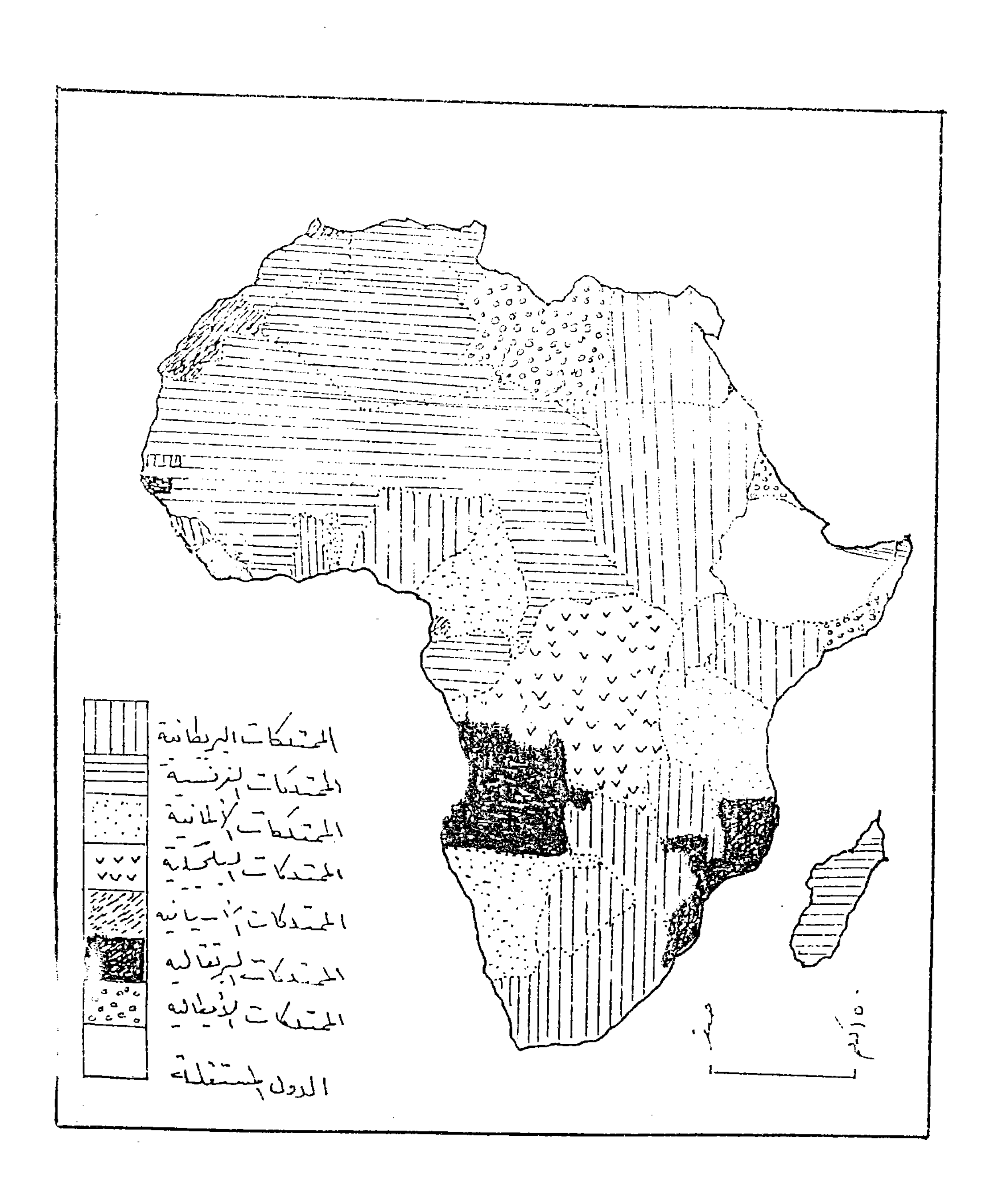

أفريقيا المستعمرة إبان القرن التاسع عشر

خصائص الاستعمار فى مراحله الثلاث : -

تميزت المرحلة الأولى للاستعمار بعد تقسيم إفريقيا إلى مناطق نفوذ بعد عام 1890م بعمل الدول الأوروبية على بسط سلطان الحكومة فى كل الدويلات التى خضعت لها سواء كانت مستعمرات أو دولة تحت الحماية أو دول تحت الوصاية ، وقد استعملت غاية الشدة فى اضعاف الثورات المحلية الرافضة للوجود الاستعمارى ، وصرفت الدول الاستعمارية على عملياتها العسكرية وفرض سلطانها مبالغ طائلة ، ويسمى بعض المؤرخين هذه الحقبة من الاستعمار عصر التهدئة الذى سبق عصر القانون والنظام ، وقد تمثلت هذه الإعانات أو الصرف فى تموين الجيوش وأنشاء الطرق والسكك الحديدية لضمان ربط المستعمرات بالساحل مثل خط سكك حديد السودان – مصر الذى مده كتشنر سنة 1898م . لنقل جيوشه ، وكذلك خط سكك حديد غينيا – أوغندا الذى مده ماكدونالد لتوصيل جيوشه سنة 1894 - 1892 م .

ولم يكن هذا الإتفاق آت من فراغ لأنه توافرت للجهات الاستعمارية معلومات عن الخيرات والامكانات التى تزخر بها إفريقيا ، ويعلمون أنهم سوف يستردون ما أنفقوا فى خلال مدة قصيرة ، وخاصة فى مجال المحاصيل الزراعية والبقوليات والمعادن .

خصائص المرحلة الثانية بعد الاستعمار :

بعد أن نجحت الحكومات الاستعمارية سواء أكانت بريطانية أم فرنسية أم بلجيكية أم المانية فى فرض سيطرتها على المستعمرات وإنهاء المقاومة الإفريقيا ، أصبح المظهر العسكرى غير لائق وبدأ المظهر المدنى يحل محله تدريجيا فى مجال الإدارة فكانت الإدارة المدنية هى القاعدة فى جميع الإنحاء ما عدا الأطراف النائية وتكونت الأنظمة الردارية تحت أمرة حكام وأمناء مركزيين ومفتشى أقاليم وموظفين ، واختير هؤلاء على أسس مهنية وخبرات ولم يعودوا يختارون من ضباط الجيش أو التجار أو الصيادين ، وشرعت الحكومات فى تقديم الخدمات فى مجال الطب والصحة والتعليم ، وقد تعاونت الإدارات المدنية الاستعمارية مع هيئات التبشير المسيحى إلى حد كبير فى مجال التعليم إذ أن جميع الدول الاستعمارية كانت متفقة على أساسيات بالنسبة للتعليم وهى وضع قواعد لنشر المسيحية وإزالة العروبة والإسلام فى إفريقيا ، وكانت هذه السياسات ترسم على أعلى المستويات وتتابع بواسطة المديرين ومفتشى المراكز وأوضح ما تكون هذه السياسات فى شرق إفريقيا والصومال والسودان الشرقى وليبيا لأنها المداخل إلى بقية أجزاء إفريقيا .

خصائص المرحلة الثالثة :

تميزت هذه الفترة التى وقعت بين الحرين العالميتين بسعى الدول الأوروبية إلى اجراءات تنمية اقتصادية وذلك بخلق مشاريع إنتاجية تعود

بالفائدة حتى تستطيع الدول الاستعمارية أن تغطى نفقات إدارتها وأهم هذه المشاريع مشروع سكك الحديد لشرق إفريقيا الألمانية وكينيا وأوغندا المحميتين البريطانيتين ومشاريع سكك حديد غرب إفريقيا لربط الداخل بالسواحل . وكان الغرض من هذه المشاريع هو تأمين وصول المنتجات الإفريقيا إلى أوروبا بسهولة وسرعة مثل الكاكاو والتبغ والخشب والمطاط وزيت النخيل والفول السودانى . أما فى مصر والسودان فقد أنشئت السدود والخزانات لضبط عمليات الرى فأنشىء خزان سنار سنة 1920م . وخزان جبل اولياء وخزان أسوان ، كما استصلحت الأراضى وأنشتئت المشاريع الضخمة لزراعة القطن مثل مشروع الجزيرة والزيداب والزاندى ، كما تم ربط هذه المشاريع بشبكة السكك الحديدية التى تربط أواسط السودان بالبحر الأحمر . وقد ساهمت هذه المشاريع الزراعية فى قيام نهضة صناعية كبرى فى بريطانيا ألا وهى صناعة النسيج للقطن حيث أنشئت المصانع فى لانكشير وليفربول خصيصا لصناعة النسيج للقطن السودانى طويل التيلة ، وفى جنوب إفريقيا كانت صناعة التعدين هى الأساس للإستقرار الأوروبى وجذبا لرأس المال الخاص ، فلقد كان اكتشاف مناجم الذهب والماس فى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى هو السبب فى قيام مجتمعات حضرية وصناعية فى جنوب إفريقيا .

وقد أعطت هذه الثورة المحلية إفريقيا الجنوبية اقتصادا مختلفا تماما عن الاقتصاد الإفريقى حيث أن اتحاد جنوب إفريقيا فى منتصف الثلاثينات أصبح مشاركا فى التجارة الدولية ، وارتفع دخل الفرد فيه من(3) ثلاث

جنيهات إلى (22) جنيه إذا ما قورن بدخل الفرد فى تنجانيقا وشرق إفريقيا (1.5) جنيه ، وأيضا لعبت منطقة روديسيا والكنغو دورا هاما فى التجارة الدولية حتى ما بعد الأربعينات حيث بينت الحرب العالمية الثانية مدى الإمكانات الضخمة التى توجد بإفريقيا من تموين وأخشاب ومعادن ومواد خام يحتاج لها فى الاسهام لتقليل النفقات العسكرية ، وقد أدى الارتفاع فى مستوى المعيشة الاقتصادى إلى اهتمام المستعمرين بالمشروعات الاقتصادية والاجتماعية إذ أن هذا التطور الاقتصادى لابد أن يقابله تطور اجتماعى ، فركز الأوروبيون جهودهم فى الصرف على ثلاثة مجالات هى التجارة وغيرها من الميادين الاستغلالية ، والتبشير ، وتطوير الإدارة وقد اهتم التعليم بتخريج كادر وظيفى مهنى لتسيير الأعمال الإدارية من كتبه ومراسلين وفراشين ومساعدى صحة ، ولكن لم يكن هناك اهتمام بالتعليم العالى .

ومن الواضح أن إفريقيا المستعمرة خلال الأربعينيات والخمسينيات كانت تتحرك نحو تنمية اقتصادية واضحة لعبت دورا هاما فى الإرتقاء الاجتماعى والتعليمى والصحى .

الأساليب التى اتبعها الاستعمار فى إدارة المستعمرات فى إفريقيا :

لقد اختلفت الأساليب التى اتبعها الاستعمار فى إفريقيا بحسب طبيعة وتكوين الدول المستعمرة ، فالبرتغال مثلا كان الهدف الذى وضعته أمام أنظارها هو استغلال المستعمرات إلى أقصى حد ممكن ، ومقاومة أى حركة

أو تمرد ولذلك اتسم نظام إدارتهم بالعنف والقسوة وا ستغلال المواطنين الإفريقيين الى أبعد حد ممكن . وكانت هناك وزارة لإدارة المستعمرات يرأسها وزير يعاونه مجلس استشارى ، وكان يعقد اجتماعه فى لشبونة كل ثلاث سنوات ، وكانت السلطة الفعلية فى المستعمرات فى يد الحاكم العسكرى الذى يعاونه أيضا مجلس استشارى عسكرى ، ويؤخذ على النظام البرتغالى أنه أسهم إلى حد كبير فى رواج تجارة الرقيق حيث كانت انغولا هىالمركزالرئيسى لتجارة رق غرب ووسط إفريقيا ، وقد كان البرتغاليون يسخرون الإفريقيين فى مواطنهم بنفس النظرية التى تقوم عليها تجارة الرقيق ، أى أنهم مواطنين أقل درجة من المواطن البرتغالى .

إلا أن هذه النظرة بعد قيام حركة الإنسانيين وإلغاء تجارة الرق فى أوروبا تغيرت قليلا ، وقد أطلقت البرتغال على وزارتها الاستعمارية وزارة الأقاليم البرتغالية الواقعة فيما وراء البحار ، باعتبار أنها أراضى تابعة للبرتغال ، وصدر قانون سياسة الإندماج والمساواة Assimilation ، حيث يمنح هذا القانون الإفريقى الذى هو فى مستعمرة برتغالية واعتنق المسيحية الكاثوليكية ، وتعلم اللغة البرتغالية نفس حقوق المواطن البرتغالى ، ولكن هذا القانون لم يطبق إلا فى حالات نادرة .

وما ذكر عن الاستعمار البرتغالى ينطبق أيضا على الاستعمار الاسبانى والهولندى ، يؤخذ على الاستعمار الهولندى أنه اعتمد كثيرا فى بادىء الأمر عل الشركة الهولندية الملكية التى استعملت القوة فى كثير من الأحيان لتحقيق سياستها الرامية إلى اخضاع الإفريقيين وأخذهم قسرا

للعمل فى المزارع أو التعدين ، بل أن السياسة التى سارت عليها هولندا وورثها الانجليز فى جنوب إفريقيا خلقت ما يعرف بسياسة التمييز العنصرى فيما بعد ، حيث أن النظم التى وضعت لإدارة هذه المناطق لم يكن فيها للسكان الوطنيين أى نصيب فى تسيير شئون الحكم ، وليس لهم حق ابداء الرأى فى الشئون المتصلة بهم أو فى تقرير مصيرهم ، وأصبح الأمر كله فى يد البيض من البوير (المزارعون الهولنديون) والانجليز ، مما جعل المواطنين الإفريقيين غرباء فى بلادهم !! .

أما الكنغو البلجيكى فقد اتخذ اسلوبا فريدا فى إدارة مستعمراته وهو نوع متقدم من أنواع السيطرة الخفية حيث وضع نظام إدارى يحقق خضوع الدولة إلى سياسة وحكم ملكى ذو صبغة عسكرية ، فقد وضعت السلطة فى يد حاكم عام يساعده عدد من الموظفين ، وأطلق على إسم الدولة الإفريقيا دولة الكنغو الحرة ، وقسمت البلاد إلى أربعة عشر إقليما يدار كل منها بواسطة مندوب يمثل الحاكم ومسئول أمام الحاكم العام . ورغم هذا التسلسل الإدارى ولإطلاق صفة أن الدولة حرة فى قراراتها إلا أنها كانت فى واقع الأمر لاتخطو خطوة إلا بإمر الملك ليوبولد ملك بلجيكا . وعندما قام مؤتمر برلين كان أول أمر قام به هو اعتراف دول أوروبا بهذه الدولة الإفريقيا شكلا ولكنها كانت تابعة فعلا لبلجيكا .

أما فرنسا فقد رسمت سياستها الاستعمارية على أسس وفلسفة معينة وهى نظام الحكم المباشر ، وهو نظام صاحب الاحتلال الفرنسى للدول

الإفريقية ، وانتهى في تطوره في خضوع كل مستعمرة إلى حاكم فرنسى يتلقى أوامره من وزير المستعمرات في باريس يعاونه مجلس أعلى لشئون المستعمرات ، وقد كان للحاكم مستشارين للشئون التعليمية والصحية والإدارية ومعظم الموظفين الذين يديرون العمل في المستعمرة الفرنسية فرنسيين .

وكان الغرض من هذا النظام هو استغلال الدول الإفريقيا - وخاصة المواد الخام - لأقصى حد ممكن ، لتنفيذ سياسة إنشاء امبراطورية فرنسية في إفريقيا ذات صفة مسيحية كاثوليكية ، وقد تطلب إنشاء هذه الإمبراطورية القضاء على العقبات التي تقف أمامها المتمثلة في الوجود العربي الإسلامي في شمال إفريقيا وغربها ، فكانت هناك سياسة إبادة العناصر العربية في المناطق الإفريقيا ، وعمل حاجز بين شمال إفريقيا العربي وغرب ووسط إفريقيا الزنجى ، وما كان هذا العمل ليتم إلا وفق سياسة عسكرية قوية لاتسأل عن ماذا تفعل وفيه طابع من السرية .

وبعد قيام ظاهرة الدعوات التحررية للإستعمار وخشية افتضاح سياسة فرنسا هذه لجأت فرنسا إلى خلق سياسة الاندماج والمساواة وهي نفس النظرية البرتغالية وهي أن سكان المستعمرات الإفريقية الذين يتكلمون الفرنسية ويعتنقون المسيحية على المذهب الكاثوليكى هم مواطنون فرنسيون لهم نفس الحقوق والواجبات التي هي على المواطن الفرنسي في فرنسا ، وقد خضع نظام فرنسا وسياستها هذه إلى عدة مؤتمرات بعد أن اتضح للفرنسيين ضرورة مراجعة موقفهم في حالة حصول المستعمرات على

استقلالها فانتهت هذه المؤتمرات إلى قيم مؤتمر براز افيل 1944م الذى بموجبه أصدرت فرنسا عدة دساتير فرنسية للدول الاستعمارية لتطوير علاقاتها مع فرنسا وأهم دستور يحتم هذه العلاقات هو دستور الجمهورية الرابعة سنة 1964م الذى أشار إلى خلق رابطة الدول الناطقة بالفرنسية .

أما نظام الحكم الغير مباشر الذى ابتدعه البريطانيون لإدارة مستعمراتهم ، فهو نظام جاء بعد أن قهر البريطانيون كل المقاومة الوطنية فى كثير من البلدان التى استعمروها كالهند ، ونيجيريا وأوغندا ومصر واعتمدوا فى تجربتهم هذه على الزعماء المحليين الذين كانت سلطتهم سلطة اسمية إذ كان الانجليز يديرون نيابة عنهم وباسمهم كل الأمور المتعلقة بهم ، يقول محمد المعتصم (وأول من أقام هذا الطراز من الحكم المستعمر البريطانى المعروف النقيب ليوقارد Lugard وكانت تجربته فى المناطق الاسلامية فى شمال نيجريا وأوغندا حيث عهد إلى الشيوخ والزعماء الوطنيين بحكم أقاليمهم فى الظاهر وهم فى حقيقة الأمر ينقذون بدقة كل ما يأمر به السادة الانجليز وكل ما يضعونه من خطط ومشاريع) .

وقد اتخذت الإدارة البريطانية هذا النمط من الحكم لعدة أسباب :

أولا : -

لأنه لم يكن يوجد بديل عملى لإدارة مناطق متخلفة كهذه نظرا للنقص الكبير فى عدد الإداريين العاملين هناك .

ثانيــا : -

أن المجتمعات القبلية والمحلية قد اعتادت بفطرتها على هذا النظام لأنه يتمشى مع العرف والتقاليد .

ثــالـــثا : -

ان زعماء العشائر والشيوخ فى المناطق النائية وفى الأقاليم كانت لهم كلمة نافذة ومطاعة وإن أى محاولة للتقليل من شأنهم قد تؤدى إلى عداوتهم وبالتالى تؤدى إلى عدوان شعوبهم .

رابعــا : -

إن الحكومة نفسها فى بداية الحكم لم تكن مستعدة لتطبيق أى نمط من الإدارة فقد كانت مهمتها فرض النظام والطاعة وإعادة هيبة الحكومة .

أسئلة للمراجعة

1- عرف معنى الاستعمار القديم والاستعمار الحديث ؟

2- عدد الأسباب التى دفعت بالأوروبيين للإستعمار ؟

3- لماذا أحجمت أوروبا عن التكالب على إفريقيا قبل سنة 1870 م ؟

4- تحدث عن التكالب الاستعمارى الأوروبى على إفريقيا فى الفترة ما بين 1870 - 1900م ؟

5- تحدث عن تقسيم إفريقيا بين الدول الأوروبية بعد مؤتمر برلين سنة 1885 م ؟

6- تحدث عن الفترات التى مر بها الاستعمار فى إفريقيا وخصائص كل مرحلة ؟

7- تحدث عن التنافس الأوروبى بعد سنة 1900م . على إفريقيا إما فى منطقة شرق إفريقيا أو فى منطقة غرب إفريقيا ؟

8- إكتب مذكرات وافية عن :-

أ - الملك ليوبولد فيل ودولة الكنغو الحرة .

ب - مؤتمر برلين 1884 - 1885 م .

ج - ونجت باشا .

هـ – امين باشا والخدمة تحت علم آخر .

9 – ارسم خريطة لإفريقيا سنة 1894م . لتوضيح عملية تقسيم مناطق النفوذ الأوروبية بين الدول الاستعمارية ؟

الفصل العاشر

إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال (1)

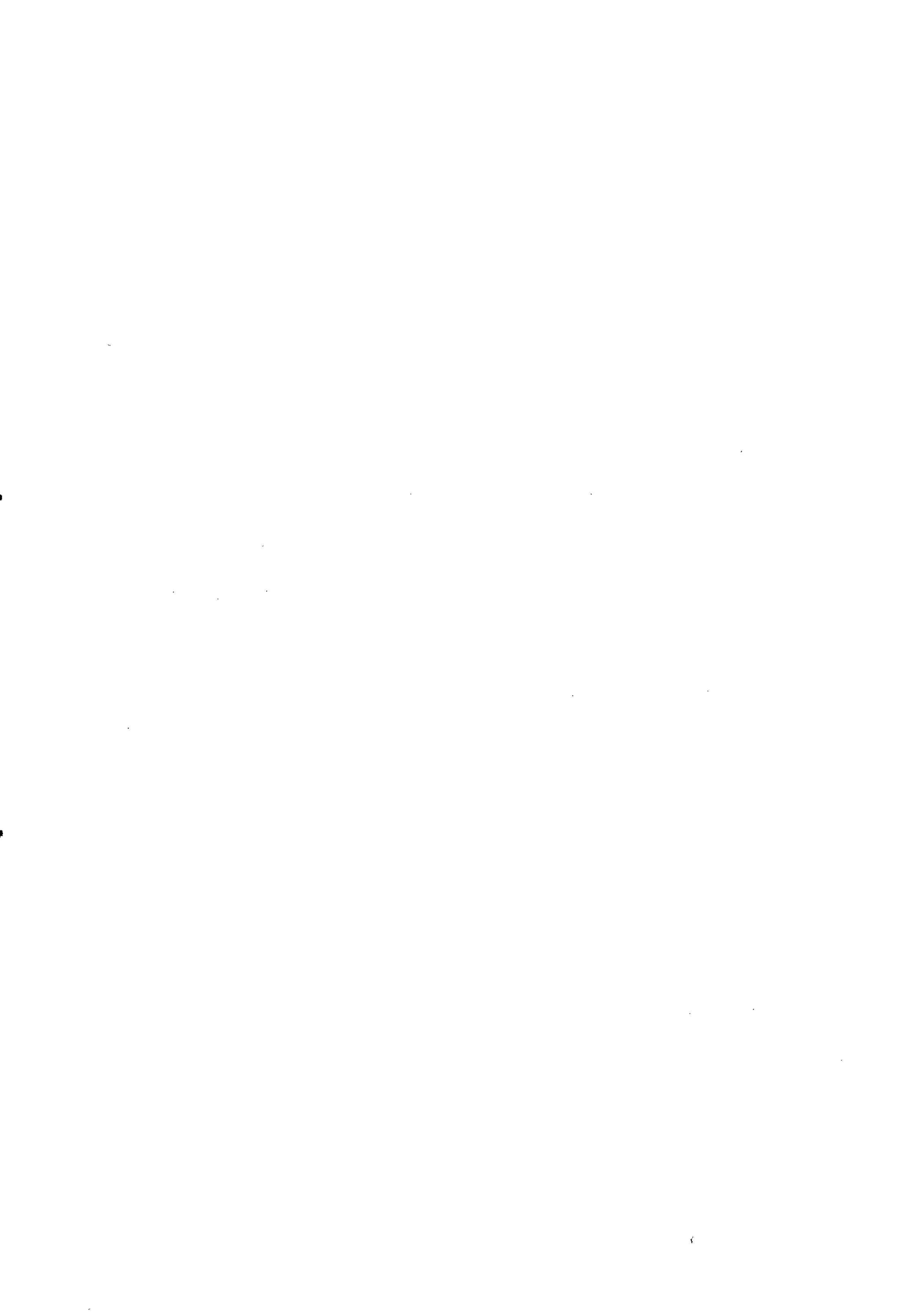

الفصل العاشر

إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال (1)

لقد ووجه الاستعمار الأوروبى منذ أن وطأت قدماه الأرض الأفريقية بمقاومة عسكرية وثورات عارمة متصلة وكانت المواجهة غير متكافئة ، إذ أن أوروبا استعملت فى إخماد هذه الثورات أحدث ما توصلت إليه من الأسلحة النارية وأسلحة الدمار !! فى حين اعتمد الأفريقيون فى مواجهتهم على الاسلحة البدائية من سيوف وحراب وسهام ، وسقط الآلاف من أبناء أفريقيا ذودا عن كيانهم ومن أهم الثورات التى يمكن الاشارة إليها فى هذا الصدد بإيجاز هى :

أ- ثورة عثمان بن فودى (1804 - 1810) :

ضد الاستعمار البريطانى وقد حدثت فى نيجيريا وظلت مستمرة فى أبناء الشيخ عثمان وقد قضى عليها الاستعمار البريطانى بغاية الوحشية .

ب - ثورة مـاء العينين (1900 - 1920) :

ضد الاستعمار الفرنسى وقد وقعت أحداثها فى مورينانيا ، وأيضا استعمل الفرنسيون غاية الشدة فى إبادتها ، وقد استمرت الثورة بعد مقتل الشيخ ماء العينين حيث قادها إبنه محمد ، وقد توغل إلى الجنوب فتعقبه الاستعمار الفرنسى وقضى عليه ، وأقام حكما عسكريا صارما فى موريتانيا .

ج – ثورة عبد القــادر الجزائــرى *(1832 - 1843)* :

ضد الاستعمار الفرنسى وقد واجهت الاستعمار الفرنسى مواجهة عنيفة وانتهت هذه الثورة بأسر الأمير عبد القادر ونفيه .

د – ثورة أحمـد الشــريف السنوس *(1920 - 1931)* ، وثورة عـمـر المختار *(1922 - 1931)* :

وهما ثورتان مكملتان لبعضهما البعض ، قامتا فى ليبيا ضد الاستعمار الايطالى ، وقد انتهتا بنفى الأول إلى تركيا ، وإعدام الشيخ عمر المختار ، وهما من أقوى الثورات التى وقعت ضد الإيطاليين الغزاة .

هـ – ثورة رابــح فضل الله أو (رابح الزبير) *(1893 - 1900)* :

وهو من بقايا جيش سليمان الزبير من السودان الشرقى لجأ إلى منطقة تشاد الحالية فرارا من الاستعمار البريطانى المتعاون مع الأتراك وأقام مملكة قوية فى برنو توحدت فيها القبائل الأفريقية فى إطار إسلامى وقاوم الاستعمار الفرنسى مقاومة عنيفة حتى اغتيل سنة 1900م . فى معركة (لامى) الشهيرة .

ز – ثورة محمد أحمد المهدى فى السودان الشرقى*(1881 - 1898)*

وهى ثورة دينية ضد الوجود التركى – المصرى فى السودان الشرقى المتحالف مع البريطانيين ، ونجحت فى إقامة دولة سودانية مستقلة تحكم بالشريعة الاسلامية لمدة 13 سنة تولى فيها الحكم خليفة المهدى الخليفة

عبد الله بن محمد ، وقد تآمرت القوى الصليبية ضد هذه الدولة وتم غزو السودان بقوات بريطانية ومصرية ، فيما يعرف بحملة استعادة السودان وانتهت بعد ذلك فيما يعرف بالحكم الثنائى .

ك – ثورة عبد الكريم الخطابى *(1910 - 1921)* :

وقد قام بهذه الثورة فى منطقة المغرب ، فيما أصبح يعرف (فيما بعد) بمنطقة (الريف الاسبانى) ، وقد استطاع عبد الكريم تكوين دويلة مستقلة فى منطقة الريف عاصمتها (أغادير) ، وتعاون الاستعمار الاسبانى والفرنسى فى القضاء على هذه الدويلة وقبض على عبد الكريم بعد هزيمة قواته ونفى إلى جزيرة (رينيون) .

ل – الثورة العرابية *(1879/3/2 - 1882)* :

وهى ثورة عسكرية بقيادة أحمد عرابى تفجرت فى مصر ضد البريطانيين ووجودهم فى مصر ، أسهم فيها الجيش المصرى بصورة فعالة حيث قام بمظاهرة عسكرية أمام سراى عابدين سنة 1881 وتقدم بعدة مطالب للخديوى توفيق أهمها إسقاط الوزارة الموالية للبريطانيين (وزارة رياض باشا) وتأليف مجلس للنواب لتحقيق المشاركة الفعلية للشعب ، وزيادة عدد الجيش وتحسين ظروف خدمته ، وقد استجاب الخديوى توفيق لمطالب الجيش وأقيلت وزارة رياض باشا ، وتكونت وزارة جديدة برئاسة محمد شريف باشا وسعى محمد شريف لتحقيق مطالب العرابيين وأهمها إنشاء مجلس للنواب ، ولكن التدخل الفرنسى والبريطانى فى مصر أوقف مساعيه

نحو إقرار دستور جديد ، وتعرض محمد الشريف إلى ضغوط أدت إلى استقالة وزارته ، وتألفت وزارة محمود سامي البارودي والتي تقلد فيها أحمد عرابي منصب وزارة الحربية ، وأيضا انتهت هذه الوزارة إلى الاستقالة بسبب تدخل الدول الكبرى بريطانيا وفرنسا ، وإزاء إضطراب الأوضاع الداخلية في مصر في نهاية عام 1881م . وخاصة بعد مذبحة الاسكندرية اضطرت انجلترا للتدخل الفعلي في مصر ، ودارت مواجهة عسكرية بين الجيش المصرى الذى يقوده أحمد عرابى وبين الغزاة ، وهزم العرابيون فى معركة الاسكندرية وفى معركة التل الكبير سنة 1882م . وانفرد البريطانيون بحكم مصر وتمت تصفية القيادات العسكرية الموالية لعرابى من الجيش ، كما تم محاكمة عرابى ونفيه هو وأصحابه إلى جزيرة سيلان ، بينما انفرد البريطانيون بحكم مصر فيما يعرف بدستور الاحتلال والذى استمر حتى اعلان الحماية البريطانية على مصر سنة 1914م (x) .

م – ثورة السطان على دينار بن زكريا (1900 - 1916) :

وهو أحد الأمراء فى دولة المهدية رجع إلى غرب السودان بعد سقوط المهدية وأقام دولة إسلامية هى دولة الفور الاسلامية . وقد خلق علاقات حميمة مع الدول الأفريقية المجاورة له ، كما خلق علاقات مع مصر وليبيا، وقد أدرك الاستعمار خطورته فجرد له حملات عسكرية متتالية انتصر عليه ،

(x) لمزيد من التفاصيل حول ثورة أحمد عرابى انظـر :

- Milad A. El Magrahi, British Policy towards Egypt 1875 - 1885, Tripoli: Libyan Studies Center, 1989, pp. 67 - 134.

بعد أن تدعم وجود الحكم البريطانى فى السودان . وفى أثناء قيام الحرب العالمية أرسلت له حملة كبيرة بقيادة هدلستون باشا (حاكم عام السودان فيما بعد) خاصة وأن على دينار هو السلطان العربى الوحيد الذى أيد تركيا من وجهة نظر إسلامية ، والجدير بالذكر أن السلطان العربى الوحيد كان قد بعث برسائل للحكام المسلمين يحثهم على الوقوف مع تركيا فى وجه الكفار ، وانتهت هذه الثورة بمقتل على دينار فى (برنجية) على مشارف مدينة الفاشر وكان ذلك فى خريف 1916 م .

ص – ثورة ماجلى ماجى وأبو شيرى :وهما ثورتان أفريقيتان وقعتا فى منطقة تنجانيقا (1894 - 1905) :

ضد الاستعمار الألمانى وقد وقعت عدة معارك بينهما وبين الغزاة انتهت بتصفيتها عسكريا .

ع – ثورة حميد بن محمد المرجبى (1887 - 1890) :

وهو عربى من منطقة عمان توغل فى أواسط إفريقيا فى منطقة الكنغو وساعد استانلى فى معرفة منابع النيل ، أصبح له نفوذ فى منطقة الكنغو . وفى فترة التسابق الاستعمارى وحد حوله القبائل الأفريقية ، وأقام سلطة فى منطقته وجدت الاعتراف من سلطان زنجبار ، ووقف ضد الزحف البلجيكى إلى أعالى نهر الكنغو ، تمت تصفية ثورته عسكريا ، ويعرف فى بعض المصادر بـ (التبوتب) ، حاول أبناؤه تجميع القبائل مرة أخرى ولكنهم لم يفلحوا حيث أطبق الاستعمار البلجيكى على المنطقة وحول السلطة إلى

الأوروبيين فيما يعرف بدولة الكنغو الحرة .

ويلاحظ أن جميع هذه الثورات كانت من العناصر العربية الاسلامية الموجودة فى افريقيا وأن أوروبا استعملت أقصى أنواع العنف فى تصفيتها جميعا !! . ورسمت بعد ذلك سياسة عامة تهدف إلى تنصير إفريقيا وتحجيم الوجود العربى فى أضيق نطاق ممكن .

وبعد خضوع كل إفريقيا إلى الاستعمار كما أوضحنا قبل ذلك ، وحدوث متغيرات على الساحة الدولية والعالمية وقيام حربين عالميتين حدثت تطورات فى الحركة الوطنية الأفريقية حيث اتخذ الأفريقيون أسلوبا آخر فى مناهضة الاستعمار وهو أسلوب العمل السياسى والثقافى ، وهو الذى جاء مواكبا للتطور العالمى وحركات التحرر العالمية وسوف نشير إلى التطورات التى حدثت فى المناطق المستعمرة والتى حصلت على استقلالها فيما بعد عن طريق العمل السياسى بشىء من التفصيل .

التطورات الاستعمارية فى شرق إفريقيا إلى الاستقلال

لابد لنا ونحن نتابع تطورات حقبة الاستعمار فى شرق إفريقيا فى فصل واحد من أن نركز على المعالم الرئيسية ولاسيما ان تلك الحقبة لم تكتمل مصادرها اذ لم يتمكن الباحثون من الاطلاع على الوثائق السرية بعد . وبصفة عامة يمكننا تقسيم مراحل الاستعمار إلى ثلاث . أولها ما بين سنتى 1886 و 1914 وهى مايسمى بمرحلة الحماية . وأهم سماتها ان المنطقة لم تكن إدارتها لمصلحة ابنائها أو لتخطيط استغلال مواردها بل هى جزء من الصراع العالمى للدول الاستعمارية وتوازن القوى والتباهى والاعتزاز بالامبراطوريات .

والمرحلة الثانية هى ما بين الحربين (1918 - 1939) وفى هذه المرحلة كانت بريطانيا وحدها فى الميدان فى شرق إفريقيا اذ عهدت عصبة الأمم لها بالانتداب والوصاية على مستعمرة تنجانيقا بدلا من ألمانيا المقهورة . والوصاية هذه ربما كانت سمة المرحلة فى كل المنطقة . وفى هذه المرحلة طبقت بريطانيا فلسفة لوقارد الذى سماها بالإدارة الأهلية أو الحكم غير المباشر واتجهت بريطانيا ايضا فى هذه المرحلة إلى خلق وحدة أو اتحاد يضم المستعمرات الثلاث (يوغندا - كندا - وتنجانيقا) .

والمرحلة الثالثة هى حقبة النضال من أجل الحرية والاستقلال وهى ما بعد الحرب العالمية الثانية (1945 - 1962) وهذه هى المرحلة التى تبلورت فيها القومية الإفريقية وأصبحت عاملا رئيسيا فى تطور الاحداث التى أدت فى

نهايتها إلى الحرية والاستقلال ولو أن هذه المراحل تميزت عن بعضها البعض بانتقال فى مركز النقل وبروز عوامل جديدة الا أن الصفة التى تربطها جميعا هى الضعف التدريجى للثقافة والروابط الإفريقية التقليدية وطغيان الحضارة الغربية فالأخيرة أضعفت سمات الحياة الإفريقية لا فى شرق أفريقيا وحدها بل فى كل إفريقيا السوداء جنوب الصحراء مما سبب أزمة ثقافية تعانى منها القارة الآن .

المرحلة الأولى (الاقتصاد) :

بالرغم من ادعاءات سلطان جنزبار الاقليمية فى المنطقة الا أن حكمة الفعلى لم يتعد الساحل ومازالت شرق إفريقيا تقطنها قبائل البانتو والقبائل النيلية الحامية . وأغلبيتهم الساحقة لم تسمع عن السلطان وتفاوتت تطورات سكان المنطقة السياسية من مملكات لها ومؤسساتها السياسية مثل بوغندة وانيورو وبروندى وشمال غرب تنزانيا إلى مجموعات لا رابطة لها ولا مؤسسات مثل دورويو فى كينيا وسنداوى فى تنزانيا .

يبد أن اقتصاديات المنطقة كانت موحدة ما بين سنتى 1840 - 1890 تحت سلطنة جنزبار ورعاياه من العرب والهنود . فهم الذين سعوا إلى كل أرجاء المنطقة لغرض التجارة . وهذه التجارة المنتعشة جذبت اليها التجار والشركات من أمريكا والمانيا وفرنسا وبريطانيا وتمركزوا كلهم فى قاعدة زنجبار حيث رحب السلطان للمكاسب المادية التى تتدفق على خزائنه منهم، غير أن هذه المكاسب المادية كما هو منتظر تطورت إلى منافسات

بينهم وتدخلت اعلام الدول لحماية وتأييد رعاياها كما أدى فى النهاية إلى تقسيم المنطقة وحرمان السلطان من ممتلكاته .

إدارة بوغنـــده :-

وكما قدمنا فى الفصل السابق فإن بريطانيا تسلمت السلطة على منطقتى يوغنده وكينيا تدريجيا تحت ضغط ظروف اضطرتها للتدخل وهى مترددة ، فقد أعلنت الحماية على يوغندة فى سنة 1894 وفى السنة التى تلتها على شرق إفريقيا والتى سميت بعد الحرب العالمية الأولى كينيا . ولم تكن لبريطانيا سياسة مخططة بعد اعلان الحماية بل تركتها للإداريين من أبنائها يتخذون من الأساليب والنظم ما يجعلها تنبض بالحياة ، وكان إعلان الحماية على بوغندة أولا ولكن بالتدريج امتدت حمايتهم إلى بقية انحاء يوغندة . وحاولوا فى البداية توسيع سلطة الكباكا على الأقاليم المجاورة ولكن هذا المسعى فشل ، لأن الكباكا كان متأثرا بالحضارة العربية ولم يكن تقديرا للمسلمين فى بلاطه . وتغير أسلوبهم إلى بسط نفوذهم عن طريق عملاء من الباغنديين على مقاطعات شمال وشرق يوغندة ، وفى يوليو 1899 .عين هاوس جونستون مندوبا خاصا ليوغندة وكانت مهمته الرئيسية هى خلق جهاز ادارى لكل المحمية ، وعقد معاهدة مع زعماء بغندة كانت نتيجتها العملية فصل بغندة من بقية يوغندة ، وكانت تنظيمات جونستون النهائية لإدارة المحمية :

أولا : بغندة ونستطيع أن نسميها دولة داخل دولة لأنها تمتعت

باستقلال داخلى .

ثانيـا : – الممذكات التعاهدية وهى تورو وانكولى .

ثالثـا : – أقاليم الحكم البريطانى المباشر مثل لانجو وأشولى وتيو وبوكيدى .

رابعـا : – بنيورو هى الإقليم الوحيد الذى فرضت عليه الإدارة البريطانية بحكم الفتح ، وهى تعتبر عملها ضمن الأقاليم التعاهدية . وهذا التقسيم إلى مقاطعات ذات ادارات مختلفة بقى إلى الوقت الحاضر مع تعديلات بسيطة .

السـياسة المحلية ليوغنـده :

ولعلنا نتفهم المشاكل التى تركها هذا التقسيم الادارى ليوغنده بعد استقلالها إذا ما تابعنا تطورات المعاونة بين المستعمرين ومملكة بوغندة . وما كانت بريطانيا تنظر لبوغنده على أنها دولة مستعمرة بل شريكة ومعاونه لاستعمار المناطق الاخرى فقد استخدمت بعض عناصر الجهاز الادارى والسياسى فى المقاطعات الاخرى وفرض عليها فرضا ولم يكن نابعا من تقاليدهم وتاريخهم واستخدم العملاء اليوغنديين لبسط وتركيز النفوذ البريطانى فى تلك المناطق ، وتبع العمـلاء قسس من يوغنده يحملون الانجيل . ولم تصبر تلك العناصر لهذا التوغل اليوغندى بل حدث رد فعل ومقاومة مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وسموها الامبريالية اليوغندية. وصمموا على اثبات ذاتيتهم حتى لاتتلاشى فى الذاتية اليوغندية حتى

اضطر اليوغنديون وبريطانيا على أن يحصروا نشاط يوغنده داخل حدودها .

ولعلنا بعد هذا السرد المقتضب لتطور العلاقات بين بوغنده وبقية أنحاء يوغنده تتضح لنا الرؤيا للنزاع الذى قام مؤخرا بين الكباكا وابوتى رئيس وزراء يوغندا وزعيم الحزب الحاكم والذى أدى إلى فرار الكباكا وتحطيم استقلال بوغنده أما السياسة التى اتخذت محليا وكان لها أثرها فى تطور يوغنده هى ما اتخذه هاسكت بل حاكم يوغنده وهى أن تبقى يوغنده إفريقية يقوم تطورها على إيدى الإفريقيين أنفسهم . وهذه سياسة مخالفة لسياسة بعض الحكام الذين سبقوه والتى تهدف إلى استيطان البعض بمزارعهم التى يستغلونها لصالحهم كما حدث فى كينيا . وعليه فقد وجدت يوغنده نفسها عند الاستقلال خالية من مشكلة المستوطنين البيض وامتيازاتهم ولكنها واجهت مشكلة دولة داخل دولة فى جهاز يوغنده الادارى والسياسى .

استيطان البيض فى شرق إفريقيا :-

كانت السياسة فى كينيا مثلها فى يوغنده قد تركت للاداريين فقد تمت السكة الحديد التى تربط الساحل بيوغنده فى سنة 1901 وروى شرق يوغنده بمحمية شرق إفريقيا فى سنة 1902 وعين شارل البوث مندوبا للمحمية فى سنة 1901 وبقى فيها إلى سنة 1904 وفى هذه المدة القصيرة نسبيا إتخذ شارل سياسة كان لها أبعد الأثر للمنطقة فقد كانت السياسة

البريطانية آنذاك أن تصرف المستعمرات من داخلها دون اللجؤ إلى إعانات من بريطانيا ورأى شارل أن منطقة شرق إفريقيا لاتستطيع النهوض بالصرف على ادارتها إلا إذا استغلتامكانياتها الزراعية بواسطة المستوطنين البيض الذين تستقطع لهم إقطاعيات كبيرة فى الهضبة المرتفعة والتى يلائم طقسها البيض. ورأى أن وجود البيض وسط الأفريقيين سيكون له أثره الحسن اجتماعيا واقتصاديا على الأفريقيين المتوحشين . وعليه فقد كان البيض العمود الفقرى لاقتصاديات محمية شرق إفريقيا (كينيا فيما بعد) إلى سنة 1952 . ففى هذه الفترة الطويلة كانت إدارة المنطقة تسخر للبيض وتشجع هجرتهم واستيطانهم . والتشريعات والقوانين كلها تصدر فى صالحهم دون اهتمام بمصالح الإفريقيين .

الحصـــر العنصـــرى :

قادت هذه السياسة بالضرورة إلى التمييز العنصرى لا للأفريقيين وحدهم بل ضد الهنود والعرب ، وصدرت القوانين التى تجبر الأفريقيين على مغادرة أوطانهم للعمل فى مزارع البيض وهناك سكنوا فى مستعمرات خاصة لايغادرونها للاختلاط والسكنَ مع البيض ، وتبنت الوزارة البريطانية هذه السياسة حيث حرم اللورد الجن فى سنة 1908 على الهنود الاستيطان فى المرتفعات مع البيض وكان التفسير الواضح لتلك السياسة هو أن الحكومة البريطانية أقرت سياسة التمييز العنصرى فإذا ما تخيلنا إقطاعيات واسعة يملك كل منها فرد واحد من البيض وحولها يتكدس الأفريقيون أصحاب

الأرض كما تحرم القوانين عليهم زراعة المحاصيل النقدية مثل البن والشاى ولم يجدو سبيلا للعيش الا العمل بأجور زهيدة فى مزارع السادة البيض – اذا تخيلنا هذا الوضع لانستغرب رد الفعل العنيف الذى ظهر فى حركة الماوماو فيما بعد .

البيض يطالبــون بالحكـــم الذاتى : –

وعندما تركزت أقدام المستوطنين البيض وخبروا خيرات الأراضى البكر الصالحة رأوا أن يكون الحكم بأيديهم على غرار ما حدث فى مستعمرات الاستيطان فى امريكا واستراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقيا وردسيا . تحت ضغطهم صدرت التشريعات فى صالحهم ، واقيمت المجالس التشريعية والتنفيذية منذ سنة 1906م . وهذه النزعة نحو الحكم الذاتى والمشاركة فى الحكم للبيض وحدهم زادت من حدة التوتر والتمييز بين الأجناس وكان مسلك المستوطنين إلى سنة 1953 هو الانفراد بالاستغلال الاقتصادى وبالحكم فى نهاية الأمر بطريقة استفزازية غير مسؤولة بالتهديد والعصيان المدنى والاساءات . وقد أشار فيليب ميشيل أحد حكام كينيا أن مسلك السياسيين من المستوطنين البيض أمثال فيليب ميشيل أحد حكام كينيا أن مسلك السياسيين من المستوطنين البيض أمثال لورد ديلامير وفرانسس سكوت وكولونيل جروجان وكافندش – بنتنسك كان المثل الذى احتذاه المؤتمر الهندى فى أساليبه . فلا غرابة إذا ما اتخذ الإفريقيون أنفسهم بعد سنة 1945 وهم يجاهدون لنيل الحرية والاستقلال نفس الأساليب مقتبسة من هؤلاء المستوطنين .

والفرق الوحيد هو أن الهنود في بلادهم والإفريقيين في كينيا يدافعون عن ترابهم وذاتيتهم وان المستوطنين البيض غزاة انتزعوا ترابا وأرضا لم تكن لهم .

تنجانيقا فى المرحـــلة الأولى :

وإذا ما تتبعنا الاستعمار الالمانى فى تنجانيقا فى مرحلته الأولى رأينا أن مسلك الإفريقيين هناك يختلف عن اليوغنديين والكينيين . ففى يوغندا وكينيا لم تكن هناك مقاومات تذكر فى هذه المرحلة الأولى إلا أن الموقف فى تنجانيقا يختلف عن ذلك ، فقد ذكرنا ثورة أبو شيرى العنيفة وهناك حرب الواهيهى ما بين سنتى 1894 -1908 وأشد الثورات عنفا كانت حركة ماجى ماجى (7 - 1905) ودافعها الرئيسى يشبه دوافع الماوماو فى كينيا فيما بعد . فهى ثورة من أجل الكرامة والذاتية الإفريقية ضد الظلم والقهر الاجنبى وقد أخمدها الالمان بعنف وقسوة شعارهم الخراب والدمار بأى وسيلة كانت . فقد اشاعوا الخراب خاصة فى جنوب تنجانيقا .

فالقرى دمرت واحرقت والمزارع ازيلت ثمارها مما قاد إلى المجاعة والزعماء اعدموا شنقا . وحسب الاحصائيات الرسمية وهى دائما متحفظة فقد قدر من ماتوا نتيجة هذه الحملة الاستعمارية نحو مائة وعشرين ألفا من الأنفس . وعليه فنستطيع أن نقرر أن الألمان إلى سنة 1907 كانوا يحكمون مستعمرة تنجانيقا بالحديد والنار .

تعديـل فى السـياسة الالمانيـة : -

وكما حدث نتيجة ثورة الماوماو فى كينيا فيما بعد فإن تضحيات ثورة ماجى ماجى وثورة هيريرو فى المستعمرة الالمانية الأخرى فى جنوب شرق إفريقيا فى نفس الوقت اضطرت الالمان لتعديل سياستهم نحو الأفريقيين . وساهم فى هذا التعديل أيضا انتقاد الاشتراكيين الالمان للحكومة فى سياستها نحو المستعمرات كما ساهم فيما بعد حزب العمال البريطانى فى تعديل السياسة البريطانية أثناء حركة الماوماو . ورغم أن الاشتراكيين الألمان فشلوا فى الانتخابات إلا أن انتقادهم نجح . فقد انتهج مكتب المستعمرات الألمانى فلسفة كانت التى تهدف إلى أن يكون كل انسان بما فيه غاية فى نفسه لا وسيلة فالأراضى التى احتكرت للبيض قبل سنة 1904 بالرغم من الأمر الإمبراطورى فى سنة 1895 الذى اعترف بضرورة حماية المصالح الإفريقية - هذه الاراضى تستغل للجميع . ونقضت سياسة حصر الإفريقيين فى مناطق خاصة وأصبحوا أحرارا فى زراعة المحاصيل النقدية مثل القطن والبن وغيرهما وكانت محرمة عليهم فيما قبل .

الموقـــف فى سنة 1914 :

ومما تقدم يتضح لنا أن سياسات بريطانيا وألمانيا قد تبلورت فى شرق إفريقيا فيوغندا مستعمرة تدار لصالح الأفريقيين مع وجود كيان خاص فيه شيء من الحكم الذاتى الداخلى لبغندا ، وكينيا أصبحت منطقة الرجل الأبيض بكل ماتحوى هذه العبارة من معنى . وشاهدت تنجنيقا قهرا وتسلطا

وسياسة دموية تخريبية فى الأول ولكنها عدلت أخيرا بما حفظ للأفريقى بعض كرامته وذاتيته .

المرحــــلة الثانية (مرحلة الوصاية) 1939 - 1918 :

الإنتـــــداب البريطانى على تنجانيقا :-

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وخرجت المانيا مقهورة تمت فى مفاوضات الصلح فى فرساى بفرنسا تسويات ومعاهدات وقعت عليها الدول التى خسرت الحرب .

ومن ضمن هذه المعاهدات انتزاع المستعمرات الألمانية ووضعها تحت انتداب ووصاية الدول المنتصرة ففى 28 يونيو 1919 وقعت ألمانيا على إقرار منها بأنها تخلت على كل دعوة لها فى مستعمراتها فيما وراء البحار للدول الرئيسية المتحالفة التى كسبت الحرب . وعليه فقد وضعت تنجانيقا تحت انتداب بريطانيا واعتبرت فى درجة (ب) حسب تقسيم الإنتداب وهى درجة لم يصل أهلها للمرحلة التى يستطيعون فيها الوقوف على ارجلهم وحكم أنفسهم تحت ظروف العالم المعاصرة . فلابد من وصى عليهم يسير بهم فى درجات الرقى والتطور ومن مفهوم عبارات الانتداب .عن طريق عصبة الأمم وسياسة بريطانيا لتظهر بأنها أكفأ من ألمانيا فى إدارة المستعمرات إذ نادت بمبدأ الوصاية على الشعوب تامتخلفة .

وهذه هى فلسفة بيرك التى تقول بأن القوة السياسية على الرعايا المتخلفين يجب أن تهدف فى النهاية إلى مصالحهم . ولايتبادر على

الأذهان ان سياسة الوصاية هذه أو فلسفة بيرك ترمى إلى استقلال هذه الشعوب المتخلفة . فقد فسر هذا المبدأ لورد ليوقار فى كتاباته بأن المناطق الحارة تراث الانسانية جمعاء . فليس للدول المستعمرة صاحبة السيادة استغلال امكانيات لصالحها ولا من حق الشعوب التى تقطنها منح خيراتها لمن يحتاجون إليها . ولم يظهر احتجاج جدى على هذا المبدأ الا بعد سنة 1945 عندما نادى الوطنيون الإفريقيون بأنه لايملك اجنبى أى حق أدبى للمشاركة فى خيرات إفريقيا فهى حق خالص للإفريقى يستغلها لصالحه .

حماية المصالح الإفريقية :

كانت النزعة الغالبة إذن فى مرحلة الوصاية هذه ان تراعى مصالح الإفريقيين لا باسناد الأمور لهم واعطائهم أى قدر من الاستقلال بل عن طريق إدارة بريطانية تستهدف مصلحة المستعمر والمستعمر الضرورية فى آن واحد ، وفى هذه المرحلة مفهوم مصلحة الافريقى هو حمايتها فقط لاتخطيط هادف للتنمية فقد أكد مبدأ حماية مصلحة الافريقى كتاب ديفونشير الأبيض فى سنة 1923 مما قتل أمل المستوطنين فى كينيا للحكم الذاتى الأبيض .

موقف الهنود فى شرق إفريقيا :-

كثر عدد الهنود فى شرق إفريقيا واستوطنوا الأقاليم ولم يكن فى نيتهم الرجوع للهند . وقامت من بينهم حركة ترمى إلى مساواتهم بالمستوطنين

البيض وكتاب دوفنشير الأبيض كان الدافع الأول منه هو معالجة مشكلتهم ولكنه عالج وبحث مسالة الإفريقيين أكثر من معالجته لمشكلة الهنود . وقد أقصى الهنود من الاستيطان فى المرتفعات التى احتكرت للبيض وحدهم ولم يمثلوا فى المجلس التشريعى الا فى سنة 1919 حيث أفرد لهم مقعدان مقابل أحد عشر مقعدا للأوروبيين . ومما زاد الطين بلة واساء للهنود ان وزير المستعمرات آنذاك ملنر أيد سياسة التمثيل العنصرى فى المدن ، وهذه السياسة تتعارض وتتناقض مع إعلان اللجنة المشتركة الدائمة فى مجلس الشيوخ والعموم عن الشئون الهندية فى سنة 1921م ، أعلنت هذه اللجنة أنه لايوجد مبرر فى كينيا لأن يكون لرعايا بريطانيا الهنود مركز أقل من مراكز الرعايا البريطانيين الآخرين وأصر المستوطنون البيض على أن لايكون للهنود فى كينيا أى حق سياسى ، وأيدهم بعض المبشرين الذين يستبشعون عادات وتقاليد الهنود غير المسيحية ويدعون الله أن ينقذ كينيا من هذا الخطر الشرقى . ويتضح من هذا أن الحكومة البريطانية كانت كارهة لإثارة غضب المستوطنين البيض بتأييدها لقرار اللجنة البرلمانية المشتركة . غير أن المستوطنيين فى جهادهم لإقصاء الهنود من الحقوق السياسية بالغوا فى أهمية حماية مصالح الإفريقيين فقد كانوا يعتقدون انهم (البيض) حماة للمصالح الإفريقية بطريقتهم هم والوصاسة عليهم ويرون فى منح الحقوق السياسية للهنود تعديا على هذه المصالح الإفريقية . وصدر الكتاب الابيض يؤكد مبدأ الوصاية على الإفريقيين ولايعالج مشكلة الهنود التى أثارت البحث والتقدير .

السياسة حسب الكتاب الأبيض

كانت نتيجة السياسة التى خططت فى الكتاب الابيض فى نهايتها أمل طيب للمستوطنين البيض كما فشلت فى حل مشكلة الهنود . فمبدأ الوصاية على الإفريقيين وادارة البلاد ومراعاة لمصالح الإفريقيين قرر على كل مستعمرات شرق إفريقيا . والجهة التى تقوم بتنفيذ هذه السياسة هى الحكومة البريطانية من غير مشاركة المستوطنين . ومع ذلك فقد كان للمستوطنين البيض صوت مسموع وله أثره فى السياسة المحلية عن طريق عضويتهم فى المجالس التشريعية يفوق قوتهم العددية . غير أن المبدأ العام الذى تشرف عليه الحكومة البريطانية لاتعطيهم أى أمل فى الانفراد بحكم مستعمرة حتى فى المدى البعيد . ولو ضمن للبيض السيطرة على اراض المرتفعات الجيدة تالتى لاتنزع منهم ، إلا أنه فى الوقت نفسه أعلن الكتاب الابيض ان كينيا اقليم افريقى مثل يوغندا وتنجانيقا .

وقع هذا الاطمئنان على أن كينيا بلاد إفريقية تدار لصالح الإفريقيين إلا أنهم يرون بأعينهم البيض يستغلون أجود الأراضى وهم محصورون فى مراكز خاصة والتشريعات التى تصدرها المجالس التشريعية وفيها عدد كبير من المستوطنين تؤثر على حياتهم فى مختلف النواحى . وظهرت هذه السياسات التى تناقض بعضها البعض خاصة فى كينيا . فالإفريقيون بالرغم من إعلان السياسة الإستعمارية بآن مصلحتهم هى الهدف الرئيسى ليس لهم ممثلون فى المجالس التشريعية ، وهم مبعدون من استغلال أجود الأراضى والتشريعات فى الحكومة المركزية تصدر فى صالح المستوطنين . وا

جالية كبيرة العدد واستوطنت نهائيا ويسيطرون على التجارة والنواحى الاقتصادية الاخرى ولكنهم فى مركز لايرقى إلى امتيازات البيض ولا رعاية رسمية لمصالحهم بالرغم من أنهم مثلوا بعضوين فى المجلس التشريعى . ولم يتبين للحكومة البريطانية هذا التناقض لأنها السلطة الاصلية المسيطرة ولم تفكر فى اليوم الذى تنال فيه البلاد استقلالها لأن مرحلة الوصاية هذه بين الحربين لم تمتد أنظار السياسة لأبعد منها .

الإدارة الأهليــة :-

فيلسوف الإدارة الأهلية هو ليوقارد الذى عرفناه فى أول الأمر قائدا لجيش الحركة البريطانية التى احتلت يوغنده وأخيرا سنراه حاكما عاما لنيجيريا حيث ضم شمال نيجيريا للمستعمرة ورأى أن البلاد لايمكن أن تحكم حكما مباشرا لصعوبة ايجاد العدد الكافى من الإداريين لحكم تلك الأقاليم الشاسعة لوجود زعامات لها سلطاتها وانظمتها ، ورأى أن توكل الادارة المحلية للزعماء الإفريقيين يديرونها حسب عرفهم وتقاليدهم . ووجدت هذه الفلسفة تجاوبا مع الحكومة البريطانية التى بدأت تطبقها فى مستعمراتها ومن ضمنها شرق إفريقيا ماعدا كينيا طبقت الادارة الأهلية فى تنجانيقا فى سنة 1926 بواسطة تلميذ ليوقارد دونالد كمرون . وظهرت كتابات عدة مابين الحربين عن الادارة الأهلية أو الحكم غير المباشر .

كانت هذه الكتابات ترى أن النظم السياسية والإدارية الأوروبية لاتصلح للإفريقيين ، وخير لإفريقيا أن تطور نظمها على أساس عرفهم وتقاليدهم

الموروثة وحسب ماطبق فى السودان رأى الاستعمار أن إشراك المواطنين فى الحكم يكون عن طريقين : أما باسناد وظائف كبيرة للمتعلمين أو بأقامة حكم محلى عن طريق المشايخ والنظار . وفى الوقت الذى كان للبريطانيين اختيار أحد الطريقين قاد المتعلمون ثورات بعد الحرب الأولى ضد الاستعمار البريطانى انتهت فى ثورة سنة 1924 . وقامت فى مصر الثورة التى نادت بالاستقلال لمصر والسودان . ولذلك أصبح أمرا محتوما فى نظرهم أن يقام هذا الحكم الأهلى بواسطة الزعماء والعمد ليبعد المتعلمين عن المشاركة فى الحكم وقد وضحوا مقاومتهم للحكم البريطانى ولفصل الحركات التحررية السودانية عن حركات التحرر فى مصر . وهكذا تطورت فلسفة الإدارة الأهلية لتضمن فى النهاية السيطرة البريطانية المستديمة وإبعاد خطر المطالبة بالاشتراك فى الحكم المركزى الذى ربما يقود إلى المطالبة بالإستقلال والإستغناء عن البريطانيين .

الحكـــم الذاتى هـدف بعيـد :

وكما قدمنا فإن سياسة البريطانيين فيما بين الحربين لم تكن مسألة استقلال الاقطار الإفريقية فى قاموسها السياسى مطلقا بل أن اقصى ما تستطيع منحه لها فى المستقبل البعيد هو الحكم الذاتى مع بقاء الاشراف العام والسياسة الخارجية والدفاع فى يد بريطانية . ففى يوغندا قوت بريطانيا مركز بغنده الخاص وزادت من سلطات الزعماء التقليديين الآخرين فى مقطاعات يوغنده . وفى تنجانيقا أقام كمرون أجهزة ديمقراطية محلية فى المقاطعات لتكون منها فى النهاية ديمقراطية إفريقيا مكونة من المجالس المحلية

فى المجلس التشريعى المركزى للإفريقيين . وادخل المتعلمين فى المجلس التشريعى المركزى لغير الإفريقيين . والتطور الأخير فى نظر كمرون هو اتحاد المجلسين فى جهز واحد ولكنه لم يضع تخطيطا لهذا الاندماج بل قال بأنه يترك هذا لعبقرية الإفريقيين فى المستقبل . وعليه فقد طبق سياسة الإدارة الأهلية بطريقة تحمل عناصر ضعفها وتناقضاتها . وفى يوغنده فإن تطبيق الحكم الاهلى وتقويته زاد فى نزعة الانفصال مما خلف المشاكل فى عهد الاستقلال .

الموقــف فى كينيـــا :-

لم تكن كينيا مهيأة لتطبيق الإدارة الأهلية كما طبقت فى المستعمرات الأخرى لوجود المستوطنيين البيض . فالحكم مازال عن طريق مفتشى المركز يساعدهم زعماء معينون . إلا أن النزعة للإدارة الأهلية كانت غالبة . ولذلك طبق المبدأ على المجتمعات الإفريقية وحدها . ولكن حركة البيض للحكم الذاتى على غرار ما حدث فى رودسيا الجنوبية وإصرارهم عليها حال دون دخولهم المجالس التشريعية هذه الحركة من البيض أثارت الإفريقيين الواعين مطالبين بتمثيلهم فى المجلس التشريعى المركزى إلى أن يحصروا فى الإدارات الأهلية وهم يمثلون الأغلبية الساحقة فى البلاد . والحكومة البريطانية رفضت بحق حماية للإفريقيين مطالب البيض المتكررة بحكم ذاتى يحتكرونه لأنفسهم الا أنها عجزت من أن تحدد هدفا آخر يحل محله ، وغير البيض يتخوفون من أن تخضع الحكومة البريطانية للضغط المتزايد من البيض

وتمنحهم الحكم الذاتى كما فعلت فى سنة 1909 لجنوب إفريقيا ، وفى سنة 1923 لرودسيا الجنوبية فهم على حق فى تخوفهم من هذه السوابق فى القارة الإفريقية ، وإزاء هذا الموقف اقترح لورد ليوقارد أن يمنح البيض الحكم الذاتى فى منطقتهم منعزلين عن بقية المستعمرة وتطوير الإدارة الأهلية فى بقية المستعمرة للإفريقيين حسب عرفهم وتقاليدهم وحسب فلسفته للإدارة الأهلية والحكم غير المباشر .

غير أن هذا الإقتراح إن ظهر نظريا وجيها فإن الوضع الإقتصادى فى البلاد لايؤيده لأن مزارع البيض تعتمد اعتمادا رئيسيا على عمل الإفريقيين بأجور زهيدة وإلا لما قامت ونجحت هذه الإقطاعيات . يجب علينا أن لاننسى الإتجاه العام للسياسة البريطانية فى هذه المرحلة لكل المتعلمين الإفريقيين فى مستعمراتهم ومحمياتهم ومناطق نفذهم فى القارة السوداء وهو الاستهانة بأمرهم ووضع الحواجز أمامهم فى الترقى لمناصب الخدمة المدنية أو الاشتراك فى المنظمات والمجالس السياسية . ومن ضمن اهداف الادارة الأهلية للحكم عن طريق العرف والتقاليد أن تسد الطريق امامهم وتحصرهم فى وظائف الخدمة المدنية الصغرى . ويتحدث نيابة عنهم زعماء الهيئات التبشيرية فى مستعمراتهم وبالافندية فى السودان . والهيئات التى قامت فعلا كانت معظمها منظمات قبلية للتعبير عن آرائهم ومظالمهم فى مسائل خاصة محددة مثل قوانين الأراضى والضرائب والسخرة وخفاض النبات وما شابهها .

محاولة لخلق اتحـاد شـــرق إفريقيـــا : -

وتتسم هذه المرحلة أيضا بمحاولات لخلق نوع من الاتحاد والترابط بين أجزاء شرق إفريقيا البريطانية بدأ هذه الحركة امرى Amri وزير المستعمرات آنذاك فى سنة 1920 لتعيين ادوارد جريج حاكم كينيا لمهمة الاجراءات نحو هذا الاتحاد . وفى نفس السنة عين دونالد كمرون حاكما لتنجانيقا الذى قوم هذا الاتجاه لأنه رأى فيه تناقضا مع مبدأ الوصايا على الإفريقيين الذى أقرته وعملت به الحكومة وهذا الموقف من دونالد قاد إلى أن تبعث الحكومة بعدد من اللجان لشرق إفريقيا لتبحث وتقدم تقارير عن الاتحاد تلتها محادثات فى لندن . وكل ماتم فى الأمر هو إنشاء ما يسمى بمؤتمر حكام الأقاليم الثلاثة (يوغنده وكينيا وتنجانيقا) ليجتمع بانتظام من سنة 1926 لمعالجة المسائل المشتركة .

ماهى أهداف الاتحـاد ولماذا فشل : -

عندما فشلت محاولات المستوطنين البيض للحصول على الحكم الذاتى فى كينيا تعاون معهم المستوطنون فى تنجانيقيا والأوربيون فى يوغندا ووجدوا تأييدا من امرى وادوارد جريج لخلق هذا الاتحاد ليصلوا إلى أهدافهم بالباب الخلفى ولو ان الأهداف الظاهرة للاتحاد هى خلق سوق مشتركة وإدارة موحدة إلا أن هدفهم الخفى هو إتحاد يسيطرون عليه فى كل المنطقة الممتدة من الزمبيزى إلى النيل . فإذا ما كتب لهذا الاتحاد النجاح والتنفيذ فهم قد وصلوا إلى هدفهم الرئيسى وهو حكم ذاتى يسيطرون عليه ويقبل مبدأ

الوصاية على الإفريقيين فى كينيا ويوغنده والانتداب فى تنجانيقا وقد عارض هذا الاتجاه الإفريقيون والاسيويون وحكام يوغنده وتنجانيقا ولجنة الانتداب الدائمة بعصبية الأمم . والتخوف الذى أبدته هذه الجهات المعارضة يرتكز على أن هذا الاتحاد إذا ما كتب له التنفيذ سوف يسيطر عليه المستوطنون البيض فى كينيا وتمتد سياستهم فى التمييز العنصرى إلى يوغنده وكينيا وتخلق جنوب رودسيا أخرى فى شرق إفريقيا .

وقد أوضح الإفريقيون والآسيويون فى تنجانيقا أن الإتحاد يتعارض أساسيا مع أهداف الإنتداب والوصاية التى ترمى إلى المساواة بين الجميع . ومملكة بوغنده رأت فيه خرقا لاتفاقية سنة 1900 مع بريطانيا . ومع ذلك فقد برهنت الحرب العالمية الثانية على ضرورة وجود جهاز إدارى مركز لتنسيق الخدمات لكل المنطقة ، وفى سنة 1947 جعلت نيروبى مقرا له .

نتائج سياسة هذه المرحلة : —

برهنت السياسة الثنائية فى هذه المرحلة خاصة فى كينيا على فشلها فقد اقيمت الادارات الأهلية فى المنطقة للإفريقيين واقيمت بجانبها اجهزة تشريعية مركزية يسيطر عليها المهاجرون الاجانب ويؤثر تشريعتها على الإفريقيين دون أن يشركوا فيها . ولم تخلق أجهزة لتنسيق بين الاداريين . وفى الوقت نفسه قامت المؤسسات التعليمية على النمط الأوروبى بتخريج عدد من الإفريقيين المثقفين وفتحت لهم آفاقا على الحضارة والثقافة الغربية ولكن السياسة المتبعة حرمتهم من المساهمة والاشتراك فى الوظائف المدنية

العليا ومن ممارسة الإدارة فى الأجهزة التشريعية المركزية . والإدارة الأهلية أوصدت أمامهم لأنها أقيمت على أساس الوراثة والعرف والتقاليد الإفريقية. وان اشترك أحد المتعلمين فى الإدارة الأهلية فإنه يشترك عن طريق الوراثة لا على أساس العلم والثقافة وحتى هذا يخضع للعرف والتقاليد حين يمارس الحكم والإدارة ونشأ من هذا موقف سيىء عندما استقلت هذه الأقطار . فالإدارة الأهلية في بعض المناطق بلغت حدا من التركيد جعلت الانصهار في بوتقة الوحدة القومية على نطاق القطر أمرا يصعب تحقيقه . ولم يجد المتعلمون تدريبا لا فى مجال السياسة أو الإدارة من المستعمرين يجعلهم ينهضون بمسؤوليات ما بعد الاستقلال .

المرحلة الثالثة (الحرية والاستقلال) 1945 - 1962

الموقف بعد الحرب العالمية الثانية :-

واجه المستعمرون تحديات جديدة لم يكونوا على استعداد لمواجهتها بعد الحرب العالمية الثانية . فقد اشترك أبناء المستعمرات فى القتال واتصلوا بالعالم الخارجي وارتفعت روحهم المعنوية وزال عنهم مركب النقص لأنهم ما كانوا في درجة أقل من زملائهم البيض فى ضروب القتال ومواجهة الصعاب . واثناء الحرب في اغسطس سنة 1941 أصدر روزفلت وتشرشل ميثاق الاطلنطى الذى نص فى إحدى بنوده على حق الشعوب فى اختيار نوع الحكم الذى يرونه . وفى شرق إفريقيا حدثت تطورات بدأت قبل الحرب واستمرت أثناءه منها الهجرة المستمرة للعمل فى المدن مما زاد فى

فرص التجمع والمناقشة وقامت النقابات العمالية والجمعيات الخيرية والاندية وتشبع معظمهم بالتعاليم المسيحية والاسلامية كل هذه العوامل فتحت أعينهم أكثر فأكثر لما يمارسه المستوطنون الأوروبيون من تمييز عنصرى .

وتضافرت كل هذه الخيوط وتكونت منها كتلة القومية الإفريقية على مبدأ إفريقيا للإفريقيين وبينما كان النزاع قبل الحرب بين مطامع المستوطنين البيض واصرارهم على الحكم الذاتى لهم وبين السياسة البريطانية التى كانت تهدف للوصاية والحماية للإفريقيين تبدل الموقف وأصبحت القومية الإفريقية وجها لوجه أمام الاستعمار الذى أصبح حاميا للأقليات الأوروبية والاسيوية .

مبدأ التعايش والمشاركة بين الاجناس :-

بالرغم من غلاة المحافظين أمثال تشرشل قد فاجأهم الموقف الجديد الذى لم يكن فى حسابهم . إلا أن حكومة العمال التى تسلمت زمام الأمور بعد الحرب مباشرة كيفت نفسها وتفهمت التطورات الجديدة . وما كانت هناك مشكلة عنصرية فى يوغندا فقد اعترف بأنها أمة إفريقية وصك الانتداب على تنجانيقا أجبرهم على الاعتراف بها كأمة إفريقية أيضا مع مراعاة الأقليات الأوروبية والآسيوية . إلا أن الموقف فى كينيا كان مختلفا نظرا للجالية الأوروبية الكثيرة العدد نسبيا والتى تحكمت فى الاقتصاد واشتركت فى الادارة المركزية وطالبت بإصرار بحكم ذاتى يسيطرون عليه مثل رودسيا

الجنوبية ، وعليه فقد برزت مشكلة كبيرة فى حالة كينيا واخرى أقل منها نسبيا فى حالة تنجانيقا عندما أقرت الحكومة البريطانية مبدأ التطور نحو الحكم الذاتى على طريقة النظام البرلمانى وإلغاء نظام الإدارة الأهلية والحكم غير المباشر وبرز مبدأ التعايش والمشاركة بين العناصر المختلفة فى جهاز الحكم الذاتى فى حالتى كينيا وتنجانيقا . وهذه محاولة للتوفيق بين الأمانى القومية للإفريقيين والمصالح الاقتصادية للأوروبيين والآسيويين . ومبدأ المشاركة الذى نادى به وورش فى جنوب إفريقيا وروديسيا الجنوبية لايقبله الإفريقيون لأنه حصر المشاركة فيما سمى بالعناصر المتمدنة وترجمتها للأوروبيين فقط . وهو ما كان يهدف اليه المستوطنون البيض فى كينيا إلى سنة 1952 . إلا أن ثورة الماوماو نجحت أخيرا فى اقناع المستوطنين والحكومة البريطانية على أن الحكم الذاتى بمفهوم وورش والذى طبق على رودسيا الجنوبية لايمكن تطبيقه فى حالة كينيا .

الجمعية المركزية للكيكويو : -

لم تظهر مساوئ استغلال البيض والتمييز العنصرى لمجتمع افريقى مثلما ظهرت فى كينيا ، وقبيلة الكيكويو بالذات التى كانت تجاور مرتفعات البيض ومدينة نيروبى جنة الله فى أرضه بمباهجها وثرائها ينظرونها بأعينهم وهم محرومون منها ، لقد كانوا أكثر القبائل الإفريقية تأثرا بهذه الحالة . وباختلاطهم فى العمل مع البيض يستمعون إلى أحاديث البيض ينتقدون الحكومة البريطانية التى ترفض تسليمهم مقاليد الحكم ويقرأون آراهم فى

الصحف المحلية ويشاهدون الضغط بمختلف الوسائل للوصول إلى هدف الحكم الذاتى للبيض فقط .

وينظر رجال الكيكويو لأنفسهم ويشاهدون صورة مجتمع يتكدس فيما سمح له من أرض ويتزايد تبعا لذلك درجة التكدس . ويتعلم شبابهم ويفهمون ويمارسون الحرف ويقرأون الكتب والصحف . وهذه الحالة التى وجدوا أنفسهم فيها قادتهم إلى تكوين رابطة لهم سموها جمعية الكيكويو المركزية ، فى سنة 1922 أصبح جومو كنياتا أمينها العام. ومنذ البداية أكدوا ذاتيتهم الإفريقية والاحتفاظ بثقافتهم وعاداتهم . لذلك أنشأوا مدارسهم الخاصة لأن المدارس لاتستوعب أبناءهم ولأنهم أرادوا إبعاد ناشئتهم من مدارس المبشرين التى تبشر بإبطال العادات الإفريقية مثل تعدد الزوجات و خفاض البنات . واضطروا لتأسيس كلية التربية لتدريب المدرسين لمدارسهم .

الماوماو : —

كانت قبيلة الكيكويو أكثر القبائل تقدما وباشرت قبل الحرب التنظيم وتأسيس المدارس الخاصة . وتفتحت عيونهم أكثر إلى مساوىء الاستيطان الأبيض ومحاولاتهم الجادة لحكم كينيا . وصادف أن زادت العطالة بدرجة مخيفة بينما يشاهدون الجنات التى حرموا منها . وكان لابد أن يشتعل برميل البارود الذى امتلأ وانفجر فى سنة 1950 حيث سمعت كلمات الماوماو لأول مرة . واتخذ الكيكويو التنظيم السرى والقسم لقتل الأوروبيين

والزعماء الذين يتعاونون معهم وتخريب ممتلكاتهم وقتل ماشيتهم . واختلطت أعمال العنف هذه بالخرافات الإفريقية والسحر . ولم تكن حركة الماوماو مخيفة للمستعمرين والمستوطنين فحسب بل تخوفت منها التنظيمات السياسية الإفريقية وحاولت مقاومتهم لكنها فشلت . وجومو كنياتا نفسه أثر عنه أنه خطب فى فبراير 1951 وصفها بأنها حركة سيئة . ولم يتضح للباحثين ما دعاه للانخراط فى سلكها وقيادتها فيما بعد . هل اقتنع بأنها عمل وطنى سليم أو أجبر لتبنيها أو أنها تطورت فى طريق العنف بالرغم منه؟ هذه أسئلة لم نجد لها إجابة .

جومو كنياتا :-

كان جوموكنياتا (الرمح الملتهب) سكرتيرا عاما لجمعية الكيكويو المركزية ، ولمكانته القيادية نحو استقلال كينيا يجدر بنا أن نلم بتاريخ حياته فى ايجاز ، فقد أصبح يتيما بوقت قليل بعد ولادته فى أواخر القرن الماضى ونشأ وترعرع بين مبشرى الكنيسة الاسكتلندية وفى ذلك فرصة لنيله درجة من التعليم لم تتح لغيره ، وبمواهبه وشخصيته نال هذا المنصب القيادى فى منطمة قبيلة الكيكويو السالفة الذكر وتاقت نفسه لمواصلة تعليمه فاتجه للخارج فى سنة 1929 ولم يرجع إلا فى سنة 1946 بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وفى هذه الأثناء درس الانثروبولوجى فى مدرسة العلوم الاقتصادية والسياسية بلندن . ومنها ذهب لجامعة موسكو حيث كتب كتابا عن عادات الكيكويو وأثناء إقامته بانجلترا كان عضو فى مجموعه الإفريقيين

المثقفين الذين نادوا بحركة الرابطة الإفريقية ، وضمت هذه المجموعة كوامى نكروما وجورج بادمور وازكومى ونيريرى مع الزعيم الروحى وهو ديبوا الزنجى الإمريكى ، واتصلت الجماعة بالاحزاب الاشتراكية التقدمية وبجمعية الفاديان الثقافية ، وعند رجوعه وقيام حركة الإفريقيين فى كينيا نحو التحرير أصبح رئيسا لحزب اتحاد كينيا الافريقى (Kau) ورئيس جمعية المدارس الخاصة وعميدا لكلية تدريب المعلمين لتلك المدارس .

وبذلك اصبح أمل الأمة الكينية بأسرها لنيل استقلالها لأنه محارب جبار لاثبات الذاتية الإفريقية وتحطيم التمييز العنصرى مع احتفاظه بعادات وتقاليد قبيلته مما جعل لشخصيته جاذبية للجماهير والمتعلمين على السواء . ولاشك فى أن شخصية جومو كنياتا هى التى كانت طاغية على المسرح السياسى فى الخمسينيات من هذا القرن فى كينيا بالرغم من أنه قضى معظم حياته فى السجن ويعتقد بعض الباحثين الغربيين أن تطور الحوادث إلى ماتطورت إليه فى كينيا كانت تتبدل تبدلا جذريا إذا ما عين حاكن كينيا جومو كنياتا فى المجلس التشريعى ممثلا للإفريقيين . ولكن الحاكم آنذاك فى سنة 1947 لم يرى هذا الرأى . وهذا ما دعا كنياتا أن يتجه للشعب ويشترك فى حركة الماوماو مما جعله ذو مكانة فى نظر مواطنيه . وهذا الفرض مبنى على أساس خاطىء فهم يهملون قوة الحركة من جانبها الشعبيوينظرون إلى الزعيم فقط ، والصحيح هو أن نجح مثل هذه الحركات لايتم إلا بتجاوب بين الجماهير والزعيم . فإذا لم يبرز كنياتا لقيادتها لوجدت قائدا آخر طالما أن القوة الأصلية منبعثة من الجماهير .

الدســــاتير الجديـــدة : -

تبدل الموقف إذن بعد استمرار حركة الماوماو فى عنفها بالرغم من اعلان حالة الطوارىء وحشد الجيش البريطانى لمقاومتها واتخاذ اعنف درجات القمع وسجن كنياتا وصدر دستور لثلثون وزير المستعمرات فى ابريل سنة 1954 الذى بنى أساس التعايش والاشتراك لكل العناصر فى كينيا مما أدى إلى انقسام فى الرأى بين المستوطنين البيض فالغلاة منهم بقيادة بريقز كونوا حزبا ينادى بالرجوع الى مشروع لوقارد بأن تقام دولة منفصلة للبيض فى المرتفعات والمعتدلون منهم بقيادة مستر فايكال بلنديل ارتضى حزبهم الدستور الجديد . وخلفه دستور آخر لمستر لينكس – بويد فى سنة 1957. وقد قاوم الإفريقيون المنتخبون فى المجلس نظرية الاشتراك لكل العناصر ونادوا بأن تعلن الحكومة البريطانية أن كينيا قطر إفريقى وبذلك يسيطرون هم على أجهزة الحكم بحكم أغلبيتهم الساحقة .

وكسب الإفريقيون أراضى جديدة للوصول لهدفهم فى دستور فاكلوبد سنة 1960 الذى أصبح بموجبه للإفريقيين أغلبية فى المجلس التشريعى للوزارة . واعتبر الغلاة من المستوطنين أن فى هذا نهاية لجهود دام ستين سنة وكونوا حزبا يقاتل لآخر رمق فى حياتهم .

الجبهــة الإفريقيـــة : -

ظلت الجبهة الإفريقية متماسكة ضد تغولات البيض ونالوا بتلك الدساتير المتدرجة حقهم الطبيعى حيث اعتبرت فى النهاية كينيا قطرا إفريقيا يتمتع

بحكم الأغلبية من العناصر . ولكن عندما اقترب موعد الاستقلال الكامل وخروج القوة الأجنبية حدث تصدع فى هذه الجبهة لأ القبلية مازالت عاملا له أهميته . وظهر حزبان أحدهما الاتحاد القومى الافريقى لكينيا (Kanu) والثانى الاتحاد الديمقراطى الإفريقى لكينيا وتزعم جوموكنياتا الحزب الأول . وبما أن الحزب الأول أساسه قبيلة الكيكويو الكبيرة صاحبة النضال برر الحزب الثانى وجوده بأنه يمثل قبائل الأقليات الأخرى . والمؤتمر الدستورى فى سنة 1962 كانت المشكلة الرئيسية فى مناقشاته هى الضمانات للأقليات . وفى ديسمبر سنة 1963 أعلن استقلال كينيا .

تطـــورات تنجانيقـا :-

حدث تكتل من المستوطنين فى تنجانيقا للسيطرة ولكن معظم الأوروبيين فى النهاية قبلوا مبدأ المشاركة بين العناصر . ومن الإفريقيين تكون حزب فى سنة 1956 بتأييد وتشجيع رسمى من الحكام ليجعل المشاركة العنصرية أساس مبادئه مع ادعائه بأنه حزب وطنى ، غير أن هذا الحزب لقى مقاومة من الإفريقيين ومن هيئة الامم . وعارضه حزب آخر سمى (الاتحاد القومى الافريقى لتنجانيقا) (tanu) والذى تكون فى سنة 1954 تحت زعامة معلمه (معلم) جوليس نيريرى . وكانت حكومة تنجانيقا مؤيده لحزب اتحاد تنجانيقا (utp) وضد حزب (tanu) ووصفت نيريرى بالفوضوية الخطرة والمفارقات أن يقارن الانسان بين ما كان يكتب ناقدا نيريرى وبين ما كتب عنه مؤخرا رافعا من شأنه بأقلام نفس الأشخاص ومما قوى من نيريرى ومن حزبه فيما بع أن الحكومة أغلقت بعض فروع الحزب ورفضت تسجيل

بعض الأشخاص بدعوى أنها إجراءات ضرورية لحفظ الأمن كما حددت تحركات نيريرى نفسه فى مناطق خاصة ، ومن مميزات تنجانيقا على كينيا مثلا أن المستوطنين لم يكونوا كلهم من البريطانيين بل خليط من اليونان والألمان وجنسيات أخرى لاتتمتع بالجنسية البريطانية ، ولذلك لم يكن لهم حق واضح فى الحكم الذاتى ، ولم تكن هناك قبيلة متغلبة بل تقطن تنجانيقا قبائل صغيرة تبلغ نحو 122 . وفى أغسطس سنة 1960 كسب حزب نيريرى سبعين مقعدا من واحد وسبعين . وفى ديسمبر 1961 أصبح أول رئيس وزراء فى عهد الاستقلال . وسارت تنجانيقا فيما بعد نحو تطور سليم لاتزعجه أقليات أو نزاعات قبلية .

تطورات يوغنده :-

لم تكن هناك مشكلة المستوطنين فى يوغنده ولكنها تفقد حركة القومية القوية والرعاية التى تخلق من الأقاليم والقبائل أمة موحدة . فحركة إتحاد المزارعين الإفريقى فى سنة 1948 كان موجها أساسا ضد وزراء وزعماء بغنده واستغلالهم ، فهى حركة محصورة فى باغنده ولهدف فئوى محدد . والمؤتمر القومى لبوغنده الذى تأسس فى سنة 1952 لم ينجح فى توجيه الجماهير نحو عمل قومى موحد ، ونقطة الضعف فى المؤتمر أن قادته من الباغنديين الذين لم يأنس اليهم وإلى أهدافهم غير الباغنديين .

وعليه فقد انحصر نشاط المؤتمر داخل مملكة باغنده وحدها . وقام بحركة توحيد باغنده حاكمها اندرو كوهين حيث أدخل إصلاحات دستورية على

حكومات الأقاليم المحلية وعلى الحكومة المركزية على أساس يوغنده الموحدة. وأثار هذا الباغنديين لأنهم سيفقدون ذاتيتهم ولذلك لم يتعاونوا مع كوهين الذى رأى أن يأمر الكباكا بمغادرة البلاد . وهذا العمل من كوهين زاد فى مقاومة البغنديين مما اضطر الحكومة البريطانية للسماح برجوع الكباكا فى أكتوبر سنة 1955 . وفى اتفاقية جديدة منحت باغنده مرة اخرى حكما ذاتيا انتهى باعلانها مستقلة فى آخر سنة 1960 ، ومازال هناك أمران مهمان لم يبث فيهما ، أولهما مستقبل الزعماء التقليديين وإقامة حكومة مركزية ليوغنده كلها ، ولتحقيق هذا الهدف قام حزبان سياسيان أولهما مؤتمر شعب يوغندا بزعامة ملتون أوبوتى والحزب الديمقراطى بزعامة بتدكو كيوانوكا ، ولم يشترك معظم البغنديين فى أى منهما . وفى مؤتمر لندن فى سبتمبر 1962 أعلن استقلال بوغنده وكان ملتون أوبوتى أول رئيس للوزراء .

موقـــف بغنده :-

ولو أن الدستور الجديد شبه الفيدرالى ضم بغنده إلا أن مركزها الخاص الممتاز منذ سنة 1900 سيصبح مشكلة معضلة لعهد ما بعد الاستقلال . ومن هذه التطورات ما حدث مؤخرا من النزاع الذى قام بين أبوتى والكباكا الذى انتهى بمغادرة الأخير للبلاد .

زنجبـــار :-

بالرغم من أن جزيرة زنجبار وسلطانها كانت لها السيطرة على التجارة

كما قدمنا وعن طريقها دخلت المؤثرات العربية الاسلامية فى شرق إفريقيا إلا أن تطور الأحداث فى الأقاليم الداخلية الثلاثة غطى على احداث زنجبار أولا لأن زنجبار كانت أحوالها مستقرة قبل الحرب العالمية الثانية تحت ظل الحماية البريطانية وثانيا لأنها صغيرة ولايتجاوز عدد سكانها نحو 300 الف نسمة هى وجزيرة بمبا التابعة لها . إلا أن الحركات التحريرية التى انتظمت القارة الإفريقية باكملها بعد الحرب لابد وأن تشمل هذه الجزيرة . ومشاكل الجزيرة تدور حول محور العنصريات فهناك العرب ويكونون الطبقة الحاكمة وعلى رأسها السلطان يعيشون فى هذا الحيز الضيق ، والآسيويين الآخرين من هندوس ومسلمين زيادة على الإفريين والعنصر الذى بدأ يتحرك هو العربى نسبة إلى علاقته الثقافية والعرقية بدول الشرق العربى ، وكان اتجاهم يرمى إلى حق الانتخابات للجميع وقيام مؤسسات تمثيلية تحت سلطة السلطان الدستورية ، ومن الغريب أن يقوم العرب بهذه الحركة التى ترمى إلى المساواة بين الجميع وهم يعلمون أنهم أقلية فى المنطقة غير أن المعتمد البريطانى رفض مطالب العرب التى ترمى إلى حكم ذاتى فى الحال يقود إلى الاستقلال ورأى أن ينشأ مجلس تشريعى يكون للعرب فيه أربعة مقاعد وللإفريقيين أربعة وللآسيويين أربعة وللأوروبيين مقعد واحد . ولم يرض العرب عن هذا النظام وأعلنوا انسحابهم من المجلس التشريعى وجميع المجالس التمثيلية .

تكوين الأحـــزاب فى زنجبـــار :-

ورغمـا عن معارضـة العرب فان الدستـور الجديد فى سنة 1956 الـذى أعلنته بريطانيا أقام مجلسا تشريعيا جديدا حوى ستة مقاعد بالانتخابات وستة يختارهم السلطان بعد التشاور مع ممثلى الجاليات واثنى عشر من الموظفين ويكون المعتـمد البريطانى رئيسا للمجلس وأقر حق الانتخابات على الذكور مع حد أدنى للتعليم والوضع الاقتـصادى . ويختار ثلاثة من الذين جلسوا فى المجلس التشريعى نتيجة الانتخابات ليصبحوا أعضاء فى المجلس التنفيذى. وهذه التطورات نحو الحكم الذاتى والمجالس التـمثيلية لابد وأن تقـود إلى تأسيس الأحـزاب والوضع الذى تابعناه فى زنجبـار وهو يدور على مـحـور عنصرى لابد وأن تقـوم هذه الأحـزاب على العنصر أيضـا . وتكتل العرب ووضعوا الأسس لحزب سموه حزب زنجبار القومى .

التطـورات فى اثيوبيـــا :-

ياســـر 1913 - 1916 م :-

أعلن ياسو حفيد منيليك وارثا للعرش فى سنة 1908 ولكنه ـ كان طفلا عمره 12 سنة ينافسه آخرون ، وعند موت منيليك اعتلى ياسو ولى العهد العرش الامبراطورى . ولم يكن فى مقدور ياسو توحيد القوة المتصارعة بل على العكس زاد فى حدة الصراع والمنافسة لأن والده الراس ميكائيل كان مسلما لحين ما ، مما جعل المسلمون ينالون حظوة عنده ، وبالتدريج ذاع أن ياسو نفسه سيعتنق الدين الاسلامى ، وهذا لايرض الملوك والرؤساء الآخـرين

ممن هم على دين المسيحية . وعندما اشتعلت نيرات الحرب العالمية الأولى كانت دعايات ألمانيا وتركيا نشطة فى الحبشة حيث أبدى ياسر تحزبا نحو ألمانيا وحلفائها . وزاد هذا فى حدة الصراع بينه وبين القوى الآخرى المناؤة له مما أدى فى النهاية إلى إبعاده فى سنة 1916 م .

زودنيـــو والراس تغرى (1916 - 1930) :

أعلنت زوديتو ابنة منيليك إمبراطورة مع الراس تغرى (هيلاسيلاسى) ابن مكونين (ابن عم منيليك) كوصى ووريث للعرش وعلى مايدو كان هذا مزارجة بين العناصر المحافظة وتمثلها الامبراطورة والاسقف القبطى رئيس الكنيسة الحبشية وبين العناصر التقدمية نوعا ما يمثلها الراس تغرى ومعاونوه . وظلت السيطرة على الشئون الداخلية بيد الإمبراطورة إلى سنة 1926 حين مات مستشارها الأسقف القبطى ووزير حربية منيليك هابتى جيور جيوس .

أما السياسة الخارجية فقد كانت بيد الراس تغرى منذ البداية . فقد نجح فى ادخال الحبشة فى عصبة الأمم المتحدة فى سنة 1923 . وطاف فى السنة التالية على عدد من الأقطار الأوروبية ليتعلم ويقتبس منها ويسعى للحصول على مساعدات مالية لتطوير بلاده بشروط أفضل للتبادل التجارى عن طريق ميناء جيوبتى . وأول مشكلة خارجية واجهته هى اتفاق ثنائى فى سنة 1925 بين بريطانيا وإيطاليا دون علم الحبشة لإقامة مشروعات فى أراضيها ، بريطانيا تريد بناء خزان على بحيرة تانا وإيطاليا تود بناء خط حديدى يربط

ارتيريا بالصومال الايطالى . ولم يقف احتجاج الراس تغرى على الدولتين فحسب بل شكاهما لعصبة الامم المتحدة قائلا س عندما قبلت عضويتنا فى العصبة قيل لنا أن كل الدول تعامل على قدم المساواه داخل العصبة وان يحترم استقلالها دوليا ولم ينقل إلينا أن بعض دول العصبة يتمتعون بامتياز عقد محالفات منفردة لفرض آرائهم على عضو آخر فى المنظمة حتى ولو كانت هذه المحالفات والاتفاقيات تتعارض مع مصلحة هذه الدولة الثالثة ، وخلال تاريخنا اصطدمنا بدول عدة حاولت اقتطاع جزء من أراضينا وتحطيم استقلالنا . ولاننسى أنه بالرغم من ماضينا المشرق فقد بدأنا حديثا نأخذ بأسباب المدينة الحديثة ولم نستطع إلى أن نعدل تقاليدنا مع متطلبات الوقت لفقداننا الخبرة اللازمة لذلك ، فإذا ما منحنا الوقت والنصح الودى من دول سبقتنا فى مضمار التمدن بحكم موقعها الجغرافى فاننا سنتقدم بخطوات مضطردة وثابتة حتى تصير الحبشة عظيمة كما كانت فى الماضى ، فرغبتنا لهذا التطور معروفة واتخاذ الخطى الحثيثة نحو هذا الهدف معروفة لدى الجميع » ولم تنفذ الدولتان ما افقنا عليه .

سياسة الراس تغرى :-

وكان على الراس تغرى وهو يمارس السياسة الخارجية للحبشة ويشترك فى السياسة الداخلية أن يخطط لتطوير بلاده غير ناس تقاليدها وتاريخها . وأهم نقطة فى برنامجه هو الاستقلال المعترف به والمحترم من الجميع والوقوف على قدم المساواة مع الدول الأخرى ويأتى التطوير التدريجى المضطرد فى المرتبة الثانية واتباعا لهذه الخطة أبرم اتفاقية صداقة وتحكيم مع

إيطاليا فى سنة 1928 واتفاقية أخرى لبناء الطرق والتعاون الاقتصادى بين الدولتين (ايطاليا والحبشة) فيما يختص بحركة الصادر والوارد عن طريق ميناء عصب .

وشجع استثمار رأس المال الاجنبى بتقديم امتيازات واحتكازات لرعاية دول عدة ضمت اليونان وسويسرا وإيطاليا وبلجيكا وفرنسا ، وشملت استثماراتهم مزارع القطن والبن وتجارة الاخشاب ، غير أن هذا النشاط الاستثمارى لم يجد الطرق الممهدة ولم يمتد الخط الحديدى إلى أبعد من العاصمة اديس ابابا ، ومازال النقل للبضائع ولسفر الانسان معظمه بواسطة الحمير والبغال والخيل ، والرق الداخلى مازال معمولا به ولو أن الراس تغرى بحكم ارتباطه بهيئة الامم حاول إلغاء الرق بإصدار الحكومة للتشريعات الصارمة ضد بيع وشراء الرقيق الا أن هناك عقبات أهمها أولئك النفر من الرقيق الذين اندمجوا فى حياة العائلات ولم يجدوا لهم مجالا حتى بعد تحريرهم . واتباعا لسياسة التطوير كان لابد من التعليم . فباستثناء مدرسة واحدة أسسها منيليك فإن التعليم الحديث كان بيد الهيئات التبشيرية ، وأحرزوا نجاحا كبيرا فى هذا المضمار خاصة فى ارتيريا وهرر والحبشة الغربية. فبالرغم من المقاومة التى لاقاها الوصى الراس تغرى فإنه شجع المبشرين للاستمرار فى خدماتهم التعليمية وزاد عليهم بأن أنشأ مدارسه الخاصة ومستشفياته الخاصة فى العاصمة . وأرسلت البعثات للخارج من الطلبة المبرزين لزيادة مؤهلاتهم العلمية حتى إذا ما عادوا الى البلاد عندما يعتلى هو العرش يحتلون وظائف إدارية فى الحكومة .

هيلاسلاسى منذ 1930 م :

منح الوصى الراس تغـرى فى سنة 1928م لقب ملك وعندمـا توفيـت الامبـراطورة زوديتـو فى سنة 1930م . اعـتلى العـرش الامبـراطورى بلقب هيلاسلاسى الأول . ولم تكن هذه السلطة الجديدة عليه لأنه كان ينفرد بالسياسة الخارجية ويسهم مساهمة فعالة غى السياسة الداخلية عندما كان وصيا للعرش وعليه فقد كانت مشروعاته لاستمرار التطوير جاهزة . فبعد سنة واحدة من اعتلائه للعرش منح البلاد لأول مرة فى تاريخها دستورا حديثا فى هيكله على الأقل ولكنه لم يصل درجة التمثيل الكامل للشعب . فهناك مجلس يتكون اعضاؤه من أفراد يعينهم الامبراطور نفسه ومجلس آخر ينتخبه الزعماء والأعيان . واختيار عدد من المستشارين الأجانب من الدول الصغيرة التى ليست لها مطامع استعمارية فى الحبشة مثل بلجيكا والسويد وسويسرا يشترك معهم فى هذا الجهاز الاستشارى لإدارة الدولة العائون من اشلبان الأحباش من البعثات الخارجية . غير أن هذه التنظيمات الجديدة لم يكتب لها أن تأخذ وقتا كافيا للتجارب فقد قضى عليها تدخل موسولينى العسكرى .

نيات موسولينى الاستعمارية : -

تركزت أقدام موسولينى وحكمه الفاشستس فى ايطاليا وأراد لبلاده مركزا مرموقا دوليا وأسواقا لمنتاجتها الصناعية وموردا للمواد الخام مثل الدول الأوروبية الكبيرة . ولايتم له هذا المركز إلا اذا توسع فى المستعمرات

واستوطن الطليان فى المستعمرات القديمة والجديدة بدلا من الهجرة لأمريكا . فقد جرب استيطانهم فى ليبيا وفى ارتيريا والحبشة هى مجاله الحيوى فى إفريقيا إذ لم يبق شبرا واحدا فى القارة السوداء لم يصبح مستعمرة أو منطقة نفوذ لدولة أوروبية أخرى .

وفوق ذلك فهو يريد أن ينتقم لموقعة عدوة فى سنة 1896م غير أنه فى الحالة المائلة عبر التاريخ لابد من سبب مباشر يكون مبررا للغزو أو يختلق نزاعا لهذا الهدف . وامدت موسولينى بالسبب المباشر حوادث اشتباكات على الحدود المتنازع عليها فى والوال فى منطقة اوجادين فى نوفمبر – وديمسبر 1934 م .

وقام موسولينى باستعدادات حربية ظاهرة لأن الجنود والمعدات كانت تحملها السفن الايطالية عبر قناة السويس لارتيريا وللصومال الايطالى . وأمام هذا الغزو المرتقب من جانب ايطاليا حاول هيلاسلاسى التحكيم أو تدخل عصبة الأمم ولكنها محاولات لم يكتب لها النجاح .

الحـــــرب :-

لم تكن الحبشة مستعدة آنذاك لمجابهة جيش أوروبى بمعدات وأسلحة وتدريب حديث يقوده دكتاتور مطلق التصرف وله أهداف توسعية استعمارية واضحة صمم على نيلها . فالحبشة فى الأربعين سنة التى تلت موقعة عدوه لم يتطور جهازها الحربى للدرجة التى يقاوم بها هذا الجيش الأوروبى الحديث ، ولكن إتباعا لسياسة منيليك كان هيلاسلاسى يعتمد فيما يعتمد

عليه ، على اعترافات الدول الأوروبية باستقلال الحبشة بما في ذلك التزامات ايطاليا نفسها بحسب نصوص معاهدة سنة 1928م وعضوية الحبشة في منطقة عصبة الأمم . وعندما أتم موسوليني استعدادته زحف الجيش الإيطالي وعبر الحدود في 2 أكتوبر سنة 1935م ولم تقم الحبشة بحشد جيشها غير المتكافيء . واستنجد هيلاسلاسي بعصبة الأمم التي اعترف أعضاؤها بأنه غزو واضح وخرق للاتفاقيات الدولية ولميثاق العصبة ، ولكنهم عجزوا عن الموافقة على اتخاذ اجراءات تأديبية ضد إيطاليا لتخوفهم من امتداد نيران الحرب لأوروبا نفسها ، وعليه فقد أصبحت الحبشة هي الضحية ورغبة من موسوليني في إنهاء الحرب بأسرع ما يمكن استخدم الغازات السامة من الطائرات على الجنود المتقهقرين والقرى الوادعة كما استخدم مبيد الافات لرش حقول القطن . وكانت الموقعة الحاسمة في ماي شيو (may chew) في 31 مارس سنة 1936م . ومن غرائب الصدف أن تكون هذه الموقعة في مارس بعد أربعين سنة من موقعة عدوة أيضا . إلا أن عدوة كانت في أول الشهر وماي شيو كانت في آخر الشهر ، وبعد شهر من هذه الموقعة الحاسمة والتي دحر فيها الجيش الحبشي بقيادة الامبراطور نفسه غادر هيلاسلاسي عاصمته إلى جنيف لمحاولة أخيرة مستنجدا بعصبة الآمم .

(***خطـــاب هيلاسلاسى للعصبـة***) :-

وفى يونيو سنة 1936م . القى خطابا تاريخيا فى العصبة جاء فيه « أن هيلاسيلاسى الأول إمبراطور أثيوبيا أقف أمامكم هنا أطلب العدالة لشعبى والعون له والذى وعد به قبل ثمانية أشهر عندما حكمت خمسون دولة أن اعتداء قد وقع وأشار إلى أن المسألة المعروضة هى تحد لوجود العصبة نفسها وامتحان لميثاقها الذى نادى بالمساواة التامة بين الدول وامتحان لثقة الدول الصغيرة فى المنظمة العالمية وبوجه عام فى الضمير الإنسانى الذى أصبح على كف عفريت وليس هناك مملكة فوق الأرض تتفوق على مملكة أخرى اللهم إلا مملكة الله وحده .... وسوف لاينسى الله والتاريخ حكمكم ... فهل ستمنع الدول هذه السابقة الرهيبة وهى الخضوع والإنحناء أمام القوة؟ ... فيامثلى الدنيا بأسرها أتيت لجنيف لتأدية واجب بينكم هو من أقسى الواجبات التى يقوم بها رأس دولة ، فما هو الرد الذى سوف أحملة لشعبى » . أثار الخطاب المشاعر والعطف ولكنه وقف عند هذا الحد ، واعترفت الدولة تلو الأخرى بأن ايطاليا هى الحاكم الشرعى للحبشة .

(أسئلة للمراجعة)

1- تحدث عن التطورات السياسية فى اوغندا وكينيا وزنجبار أثناء الحرب العالمية الأولى ؟

2- ماهى السياسة البريطانية التى رسمت لغينيا وتنجانيقا حسب الكتاب الأبيض ؟

3 - تحدث عن الحركة الوطنية فى كينيا بعد ظهور جومو كينياتا ؟

4 - تحدث عن التطورات السياسية فى أثيوبيا منذ سنة 1916 وحتى تولى هيلاسيلاسى الحكم .

5 - اكتب مذكرات مختصرة عن : -

أ- السلطان برقش .

ب - الجمعية المركزيو للكيكويو فى كينيا .

ج - الراس تغرس (هيلاسيلاسى فيما بعد)

د - الكباكا زعيم الباغندا .

هـ - ملتون اوبوتى .

الفصل الحادى عشر
أفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال (2)

الفصل الحادى عشر

أفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال (2)

التطورات فى مصـــــر والســــودان :-

مصـــــــــــر :-

لقد قامت فى مصر كما ذكرنا الثورة العربية سنة 1882 وهى ثورة عسكرية رافضة للوجود البريطانى فى عهد الخديوى توفيق ، ورغم أن الخديوى حاول أن يستميل العرابيين إلى جانبه عندما عين أحمد عرابى وزيرا للحربيــة فى وزارة البارودى إلا أن بريطانيا وهى تطمع فى فرض هيمنتها على مصر لم ترض بتولى عرابى وزارة الحربية فعملت على اقصائه خاصة بعد استقاللة البارودى . وبسبب الأمة السيسية التى نشبت بعد استقالة البارودى ونتيجة للتحرك الشعبى قامت بريطانيا بالتدخل العسكرى فى مصر بحجة المحافظة على الأمن والنظام اثر مذبحة الاسكندرية فى 1882/ 6/11م . بعد أخذ موافقة الدول العظمى بريطانيا – فرنسا – المانيا – النمسا – وروسيا – وايطاليا . وترتب على الاحتلال البريطانى عدة اجراءات بالنسبة لمصر وهى تعطيل الدستور وتأكيز سلطة الاحتلال البريطانى وسيطرته على مقاليد الامور فى مصر كما تم تصفية العرابيين (وقد كانوا يمثلون التيار العربى الاسلامى الاصيل) فى مصر واستبعادهم بالنفى خارج مصر إلى سيلان ، كما تمت تصفية الجيش وتقليصه إلى عشرة آلاف جندى فقط وسمت بريطانيا سياسة اقتصادية تحكمت بها فى تسيير الاقتصاد المصرى

وتحقيق مصالحها من خلاله .

ومن الملاحظ أن الفترة ما بين الثورة العرابية سنة 1882 وثورة سنة 1919 تعتبر فترة صراع دولي ومحلى على مصر فبالنسبة للقوى الخارجية التى كان لها دور فى تاريخ مصر هى فرنسا ، وقد اختفى دورها كمنافس بريطانيا في مصر بعد سنة 1904 نتيجة للاتفاق الودى اثره على مصر حيث دعم الاحتلال البريطانى فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية صاحبة النفوذ فى مصر تتداعى . وظلت المسألة المصرية ذات صفة دولية لسببين :

1 - لأن احتلال بريطانيا لم يتخذ له قبل اعلان الحماية على مصر سنة 1914 صفة شرعية أو دولية ، فظلت مصر تابعة من الناحية الدولية أو الشرعية إلى الدولة العثمانية كما لم يتغير نظام الحكم فى مصر بعد الاحتلال . فظل الخديوى ومجلس النظار هما السلطة السياسية الرسمية الحاكمة فى ظل الاحتلال ، كما ظل ممثل انجلترا كبقية ممثلى الدول الاجنبية يحمل لقب قنصل مضافا اليه لقب المعتمد البريطانى . وكان هذا الوضع يتيح للدول العثمانية من حين لآخر وعلى قدر ماتستطيع معاكسة بريطانيا بصفتها الدولة صاحبة الحق الشرعى فى السيادة على مصر .

2- ان الامتيازات الاجنبية والديون الاجنبية أضفت صفة دولية على وضع مصر حيث كانت الدول الاجنبية من حين لآخر تطالب بحقوقها ولم

تكن بريطانيا المسيطرة الفعلية التامة حتى تستطيع الاجابة لمطالبها . وهناك عدة عوامل أدت إلى بروز طبقة ثورية فى المجتمع من المثقفين المصريين بعد تصفية العرابيين وأهمها :

1- أنها طبقة جديدة على المجتمع المصرى ليست لها جذور تاريخية أو تراث قديم فقد نتجت هذه الطبقة بسبب الاحتكام العسكرى والحضارى بين المجتمع الاقطاعى المتخلف وبين المجتمع الرأسمالى المتحضر ، ذو النزعة الغربية ونتيجة لحركة النقل والترجمة للفكر العربى فى صورها المختلفة فلم يكن لهذه الطبقة تراث فكرى يعوقها إذ لم تكن جزء من نظام الطوائف أو النظام القبلى ونمت مستقلة وقد أهلها ذلك الاستقلال الى تمثيل فكر الأمة المصرية عن غيرها من الطبقات ، وأدى ظهورها إلى خلق ما يسمى بالثنائية الفكرية ممثلة فى مدرسة الأزهريين القديمة والمدرسة الجديدة ذات الفكر الغربى وقد لقيت المدرسة الجديدة منذ الهجوم على رحلة رفاعة الطهطاوى إلى باريس حربا شعواء . الا أن المدرسة الجديدة استطاعت انتزاع القيادة من المدرسة الفكرية القديمة التى كان لرجال الدين فيها دور كبير وساهمت فى قضايا التغير الاجتماعى والسياسى فى أواخر القرن 19 واوائل القرن العشرين .

2- التنافس بين هذه الطبقة الجديدة من المصريين وبين بقايا الاتراك الشراكسه من أسرة محمد على ، فقد كانت وظائف الدولة حكرا للأتراك ولذلك نشأت منافسة شديدة بينهما وخاصة فى وظائف الجيش المصرى . وقد زاد هذا التنافس شدة سياسة الخديوى اسماعيل الرامية بالاستعانة

بالاجانب والعرب الشاميين المسيحيين من لبنان وسوريا حيث نشبت معركة بين الطرفيين إذ كانت جريدة المؤيد تتولى من جانبها مهاجمة الجاليات الشامية فى مصر بينما تتولى جريدة وادى النيل الرد عليها وحاول رياض باشا استصدار قرار ينص بأن يكون حق العمل فى وظائف الدولة للمصريين أولا ولكن تدخل كرومر حال دون استصدار هذا القرار وكان من نتيجة هذه المنافسة ظهور أثرين أحدهما سلبى وآخر ايجابى . أما السلبى « فيتمثل نزوع الحركة الوطنية المصرية بعيدا عن المجال العربى وأما الايجابى فهو وقوف هذه الطبقة الثورية المثقفة وكشفها لسياسات الاحتلال البريطانى . وفى المراحل الاخيرة من الاحتلال ثم طوال فترة الحماية نزل الانجليز كقوة ثالثة لمنافسة المصريين فى احتلال وظائف أجهزة الدولة وذلك تمهيدا لإعلان الحماية الاولى وتجمع فيها المصادر التاريخية وكان رئيس قلم المخابرات نعوم شقير ، سورى مسيحى أوكل اليه مهمة تصنيف هذه المعلومات وقد كان لهذا الاجراء أثر سلبى إذ أنه أشعر المصريين بالغبن ، فظهرت دعوات مصر للمصريين .

وأما سياسة الاحتلال الرامية إلى محاربة التعليم العالى قد أثارت ردود فعل عنيفة لدى المثقفين وكانت سياسة الاحتلال فى التعليم مسألة شغلت معظم تفكير رواد الحركة الوطنية وذلك لأن التعليم العالى زاد من نفوذ وتصاعد الخلاف الفكرى بين الفكرة الاسلامية وفكرة القومية « الليبرالية » المصرية .

وظل الوضع فى مصر هكذا حتى قيام الحرب العالمية الاولى حيث أن بريطانيا وهى تدخل هذه الحرب كان لابد لها من تدعيم سلطتها فى مصر بشكل فعال فاتخذت أيضا بعض التدابير ، وأهمها عزل الخديوى عباس الذى كان يبغض البريطانيين ويميل إلى مساندة التيار الوطنى فى مصر وتعيين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر وفى 1914/12/18م ، أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر متذرعة بحجة تأمين موقعها العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط وخاصة فى تركيا . كما وضع للسلطان حسين برنامجا إداريا وسياسيا لاتباعه بينما احتفظت بريطانيا لنفسها بالسياسة الخارجية لمصر والدفاع عنها وتم تغير إسم المعتمد البريطانى لمصر باسم المندوب السامى البريطانى لمصر . وقد كان اعلان الحماية البريطانية على مصر ضربة قاسية للحركة الوطنية التى بدات تتحرك ضد الاحتلال . ولم يستطع المصريون ان يعبروا عن رأيهم فى الحرب أو القيام بأى عمل ايجابى ضدها وذلك لانعدام القنوات الإدارية والسياسية والاعلامية التى تساعدهم على إبداء رأيهم حيث أن العناصر التركية البريطانية كانت تسيطر عليها ، وحتى العمل الشعبى تم احتوائه إذ أن المظاهرات والاحتجاجات والنقابات قد حظرت فى إطار حالة الطوارىء التى تستوجبها الحرب .

وقد كان من نتائج الحرب العالمية الاولى ودعوات ولسن فى مؤتمر الصلح سنة 1918م ، إلى حق تقرير المصير ، ان تفجرت فى مصر ثورة 1919م ، التى قادها سعد زغلوا ورفاقه من المثقفين المصريين الذين تقدموا بمذكرة للسلطات البريطانية مطالبين تمثيلهم للمطالبة (بحقوق الأمة) ،

بوفد ليعكس رأى المصريين ، وبسبب عرقلة السلطات البريطانية لمساعى الوفد نشأت الثورة ثم تكونت التيارات السياسية والاحزاب للمطالبة برفع الحماية وحق تقرير المصير للشعب المصرى وأهم هذه التيارات : حزب الوفد ، برئاسة سعد زغلول ، حزب الاحرار الدستوريين برئاسة عدلى ، وحزب الأمة برئاسة أحمد لطفى السيد . ورغم أن المصريين بزعامة سعد زغلول وضغطه سعوا إلى الحصول على تصريح فبراير سنة 1922 والذى ينص على وضع دستور جديد سنة 1923م لمصر الا أن المفاوضات المصرية البريطانية كانت سمة الفترة ما بين 1919 حتى سنة 1936م ، وكانت موضوعات رفع الحماية ، إعلان الاستقلال ، ووضع السودان ، والامتيازات من المسائل التى كانت تفشل بسببها المفاوضات بسبب تشدد الجانب المصرى . وتعتبر المفاوضات البريطانية المصرية هى الأساس الذى على ضوئه يمكن فهم الحركة الوطنية المصرية فقد كانت الحكومات تكون وتقال أو تستقيل بسببها . كما أن الأحزاب كانت تغير موقفها بسببها .

وفى سنة 1936م وافقت الدولتان مصر وبريطانيا ، على اجراءات تجديدات على اتفاقية 1899 بشأن السودان والدفاع عن مصر وقد أعادت هذه الاتفاقية وضع السودان إلى ما كان عليه سنة 1899 وأرسلت قوات مصرية إلى السودان وكذلك بعض الاداريين وذلك بغرض تدعيم الوجود المصرى فى السودان بعد أن تأكد للادارة المصرية أن الانجليز قد تمكنوا من وضع سياسة تعليمية مسيحية فى السودان وادارية تهدف فى المدى البعيد إلى

فصل السودان عن مصر . وتبع هذه الاجراءات زيارة على ماهر إلى السودان سنة 1940 . والتى رافقه فيها وفد من الزراعيين والاقتصاديين للنظر فيما يمكن عمله فى السودان بهدف تطويره ، وبعد عودة على ماهر إلى مصر صرح بمستوى الوعى الوطنى والثقافى لدى السودانيين وفهمهم إلى طبيعة العلاقة مع مصر .

وشهدت الفترة ما بين سنة 1940 - 1948 تطورا كبيرا فى الوعى السياسى المصرى حيث خشى المصريون من تكرار مسرحية الحرب العالمية الأولى لذلك كان الصراع على أشده بين الأحزاب المؤيدة للقصر والمعارضة له من جهة وبين القصر والإدارة البريطانية من جهة أخرى ، وقد نجم عن هذا الصراع اغتيال رئيس الوزراء أحمد ماهر . وكانت حرب سنة 1948 اختبارا حقيقيا للقصر حيث أن وضع بريطانيا قد تهدد بشكل مباشر ، فلم يكن له حيله الا أن تشارك مصر فى هذه الحرب المقدسة بفلسطين وكان ما كان من أمر الأسلحة الفاسدة التى لعبت دورا فى حرب الفالوجا التى اشترك فيها جمال عبد الناصر وظهرت قدرته القيادية ، وانتهى الصراع بين القصر والاحزاب إلى تفجر ثورة سنة 1952 والتى وضعت حدا للنظام الملكى وإعلان الجمهورية فى مصر فى يوليو سنة 1952م ، على ضوء المبادىء الاشتراكية .

السـ ــ ــودان :-

بعد انهاء الدولة المهدية السودانية المستقلة سنة 1899 بتعاون البريطانيين مع الإدارة التركية المصرية ، خضع السودان إلى ما يعرف بالحكم الثنائى بين مصر وبريطانيا وفق اتفاقية الحكم الثنائى التى وقعت 1899 وقد استمر هذا الوضع قائما حتى سنة 1956 حيث منح السودان استقلاله .

لقد واجه الاستعمار البريطانى منذ قدومه إلى السودان مقاومة عنيفة أهمها ثورة الحلاوين فى الجزيرة سنة 1908 بقيادة الأمير عبد القادر ودحبوب ، وهو استمرار لنفوذ المهدية وقد صفيت عسكريا وأعدم الأمير عبد القادر كما قام السلطان على دينار بثورته التى استمرت منذ سنة 1900 حتى سنة 1916 ، وقد تمكن فى هذه الفترة من إقامة دولة إسلامية قوية فى دارفور ، وجدت الاعتراف من تركيا وليبيا . وعند قيام الحرب العالمية الأولى أعلن السلطان وقوفه مع تركيا وقد أدى ذلك إلى تجريد حملات عسكرية ضده إنتهت بمقتله فى معركة برنجية على مشارف الفاشر . وفى اثناء الحرب العالمية استغل البريطانيون كل الامكانيات السودانية المادية والبشرية فى جبهات القتال سواء أكانت فى الجبهة الشرقية فى (كرن) بأرتريا ضد الايطاليين ، أو فى الجبهة الغربية . وقد اتجه السودانيون فى الفترة ما بين 1914 - 1919م ، إلى العمل السرى ضد الاستعمار البريطانى – حيث لم يكن للمصريين وجود فى حقيقة الأمر وخاصة فى جنوب السودان – وشهد السودان العديد من نشاطات هذه الجمعيات وخاصة الأندية الثقافية

والصالونات التى كانت ثقافية فى مظهرها ولكنها كانت تعمل عملا سياسيا فى داخلها ، كما أن الأدب الشعبى والغناء اتجها إلى تعبئة الوعى القومى ضد الاستعمار .

وفى سنة 1919 وبعد قيام الثورة المصرية وتكوين الوفد المصرى للمطالبة برفع الحماية عن مصر واستقلال مصر وعلى ضوء مبادىء ولسن فى حق الشعوب فى تقرير مصيرها تكون وفد من زعماء القبائل السودانية والزعماء السوادنيين وسمى هذا الوفد بوفد الولاء وكان هذا الوفد يضم على الميزغنى زعيم الختمية ، وعبد الرحمن المهدى زعيم الانصار ، وهو ابن الامام المهدى الأصغر ، الشريف حسين المهدى زعيم الطائفة الهندية وابراهيم محمد فرح ناظر الجعليين واسماعيل الازهرى جد اسماعيل الازهرى رئيس الوزراء فيما بعد ، وغيرهم . وفى سنة 1924م . تبلورت الجمعيات السرية فى جمعيات علنية أهمها جمعية اتحاد قبائل السودان وجمعية اللواء الأبيض وقد قدر للجمعية الثانية أن تلعب دورا هاما فى أحداث اغسطس سنة 1924 وتشمل حركتها كل اجزاء السودان ، وذلك عندما اغتيل لى استاك lee stack حاكم عام السودان البريطانى فى أحد شوارع القاهرة . فقررت الحكومة البريطانية إجلاء الحاميات المصرية كعقوبة للمصريين ، ولما كان برنامج جمعية اللواء (وحدة وادى النيل) فقد حدثت مظاهرات عسكرية شارك فيها طلبة الكلية الحربية واغتالوا عددا كبيرا من البريطانيين ، بعد ذلك أحكم البريطانيون قبضتهم ، وفى الفترة ما بين 1936 -1924 انفرد البريطانيون بحكم السودان تقريبا وكان موضوع السودان

طوال المفاوضات المصرية البريطانية موضوعا رئيسيا .

وفى سنة 1936 تم توقيع الاتفاقية الثنائية بين مصر وبريطانيا والتى أعادت وضع السودان إلى عهد سنه 1899 وفى هذا الوقت كان الوعى السياسى فى السودان قد نضج وتكون نادى الخرجيين فى أم درمان سنة 1938 والذى حظى بتأييد الزعماء الدينيين ورعايتهم ، وقاد هذا النادى النشاط الثقافى فى الفترة ما بين سنة 1938 -1945 وكان يرأسه اسماعيل الأزهرى وضم العديد من القيادات السياسية التى أصبح لها شأن فى مستقبل الأيام ، وقد رفع المؤتمر العام للخريجين سنة 1942 مذكرة هامة طالبوا فيها ولأول مرة بحق تقرير المصير للسودانيين أسوة بالشعوب الأخرى ، فكان رد الحاكم العام حاسما وهو أن المؤتمر هيئة ثقافية اجتماعية ليس له الصفة السياسية حتى يخاطب الإدارة البريطانية ، وتم على إثر ذلك حل النادى وإغلاق فروعه فى كل السودان والتنكيل بقيادته الوطنية ، وكان ذلك دافعا للسودانيين لتكوين أحزاب سياسية تعبر عن وجهة نظرهم ، فكان تكوين الأحزاب . وأول حزب تكون هو حزب الأمة فى يناير سنة 1945 وهو يجمع بين الصفة الدينية والصفة السياسية ورأسه عبد الرحمن المهدى ، ثم تكون حزب الاشقاء بعد فترة وجيزة والذى انقسم إلى حزبين هما الوطنى الاتحادى ، والشعب الديمقراطى فيما بعد وكان يرأس الحزب الوطنى الاتحادى اسماعيل الازهرى بينما يرعى على الميرغنى حزب الشعب الديمقراطى . وكان شعار حزب الأمة هو السودان للسودانيين والمطالبة بالاستقلال من بريطانيا مباشرة ، بينما كان شعار حزب الاشقاء (بشقيه)

وحدة وادى النيل والحصول على الاستقلال بالاتفاق مع مصر ، وكانت الغاية لجميع الاحزاب هى حصول السودان على استقلاله .

ولما أعلن أن فاروق ملك مصر والسودان أثار ذلك موجة فى الغضب والاستياء فى السودان . وأدى ذلك إلى أن تتوحد كلمة الاحزاب فشكلوا وفدا سياسيا زار كل من مصر وبريطانيا والولايات المتحدة للمطالبة بالاستقلال ، ووصلت قضية السودان إلى أروقة مجلس الأمن فى نهاية سنة 1947 فى عهد وزارة النقراشى ، وقد طالبت الحكومة المصرية بجلاء القوات البريطانية من السودان للأسباب التالية : -

1- إن النزاع قائم وملموس بين مصر وبريطانيا منذ سنة 1889 م .

2- ان المفاوضات قد وصلت إلى طريق مسدود رغم الجهود التى بذلتها الحكومة المصرية لتسوية النزاع وان استمرار النزاع يعرض السلام والأمن فى وادى النيل إلى الخطر .

3- ان الحكومة المصرية ترغب فى انهاء الادارة الانفصالية فى السودان .

وقبل انعقاد جلسة مجلس الامن أوعزت بريطانيا إلى السودانيين بعقد مؤتمر جوبا فى جنوب السودان سنة 1947م ، للنظر فى توحيد رأى السودانيين وتطوير الادارة وتدرج السودانين نحو الحكم الذاتى ، وقد كان البريطانيون يهدفون من وراء هذا المؤتمر البقاء فى السودان بحجة حماية

الضمانات التى أوصى بها المؤتمر بالنسبة لجنوب السودان . وكان تكوين الجمعيات التشريعية سنة 1948 عاملا مساعدا فى تبلور كيفية تمثيل السودانيين فى الادارة وظهور القيادات السياسية بشكل واضح رغم الاختلاف . وتوالت المفاوضات السودانية - البريطانية من جهة بواسطة تيار الاستقلاليين والمفاوضات السودانية - المصرية بواسكة تيار الاتحاديين وانتهت إلى الموافقة بمنح الحكم الذاتى للسودانيين على شريطة اجراء انتخابات عامة فى السودان باشراف الدولتين (مصر وبريطانيا ، ومراقبة الامم المتحدة) .

وقد جرت الانتخابات التى خاضتها الاحزاب السودانية حيث فاز الحزب الوطنى الاتحادى بأغلبية المقاعد بينما حصل حزب الأمة على أكثرية الأصوات وتشكلت الحكومة السودانية الاولى برئاسة اسماعيل الازهرى فى أول يناير سنة 1954م ، لمدة عامين ، وفى فترة حكم اسماعيل الأزهرى وقعت أحداث أول مارس سنة 1954م . عندما زار محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية السودان ، وهذه الاجراءات ناتجة عن عدم توافر الاجراءات الامنية لحماية نجيب والتى قصد منها البريطانيون إيقاع الفتنة بين السودان ومصر وكان يريدون أن يحدث فوضى واضطراب ينتج منها حالة من الاخلال بالأمن يلغى بموجبها الحكم الذاتى وتعيد السلطة البريطانية حالة الأحكام العرفية مرة أخرى .

وقد كان الاستقلاليون أنصار حزب الأمة والذين يرفعون شعار الاستقلال

التام قد تجمهروا بمطار الخرطوم من كل أنحاء السودان لإسماع نجيب صوت الاستقلال ، وكان قد أشيع أن نجيب قادم لحضور جلسة افتتاح البرلمان التى سيعلن فيها وحدة السودان ومصر . ونتيجة لتغيير فى موكب نجيب حدث صدام بين الانصار وبين البوليس البريطانى ووقعت خسائر كبيرة فى الارواح إلا أن حكومة الحكم الذاتى إحتوت الموقف ورجع نجيب فى نفس اليوم إلى مصر . وقد كانت حوادث أول مارس معلما فى تطور السودانيين نحو الاستقلال ، فمنذ ذلك الوقت حدت حكومة الازهرى فى المطالبة باستقلال السودان والذى تمت الموافقة عليها من الدولتين الحاكمتين مصر وبريطانيا فى أول يناير سنة 1956 م .

التطورات فى شمال إفريقيا (ليبيا - تونس - الجزائر) :

نظرا لوقوع هذه المناطق فى المواجهة لدول حوض البحر الابيض المتوسط المسيحية فقد كانت مسرحا لكل الصراعات والتطورات السياسية فى أوروبا الاقليمية والدولية ، كما كانت من جهة أخرى واقعة فى الحزام الأمنى الطليبى الذى يخشى من النفوذ العربى الاسلامى وعودته إلى أوروبا ، ومعروف أنه بعد سقوط الحكم العربى فى الاندلس قامت حركة أوروبية مسيحية تتزعمها فرنسا وأسبانيا والبرتغال سميت بحركة الاسترداد المسيحى ، وقد كانت تهدف إلى ارجاع النفوذ العربى إلى الوراء بحيث لايستطيع أن يشكل خطرا عليها .

لقد شهدت هذه المناطق أعتى المعارك الاستعمارية العنيفة حيث قاوم

الشعب العربى فيها الهجمات الاستعمارية المتلاحقة فى صور شتى مقاومة عنيفة لاتكاد توصف وسقط الآلاف من العرب دفاعا عن أرضهم وعقيدتهم ولكن الاستعمار المدجج بالسلاح إستطاع قهرهم وبسط سيطرته عليهم . وبسبب التصارع الإستعمارى فى أوروبا شهد العالم حربين عالميين ما بين 1914 - 1939م وكانت أراضى شمال افريقيا مسرحا للعمليات العسكرية للقوات الأوروبية ، وقد ألحقت هذه العمليات انضرر بالحرث والنسل والزرع فلا تخلو مساحة من مساحات هذه الأراضى إلا وقد جابتها الدبابات جيئة وذهابا ، وكانت أعتى المعارك فى الصحراء الكبرى فى المغرب وتونس وليبيا، لذلك فإن نمو الحركات الوطنية فى هذه البلاد قد واجهته عدة صعاب وعراقيل جعلته يأتى متأخرا بالنسبة لبقية إفريقيا وأهم التطورات التى حدثت فى شمال إفريقيا : وقعت فى ليبيا وتونس والجزائر .

ليبيـــا : -

خضعت ليبيا للإستعمار الإيطالى سنة 1911م ، حيث كانت ايطاليا قد مهدت لهذا الإحتلال بالعديد من الإجراءات الإدارية والثقافية ، فقد أنشأت العديد من المدارس الإيطالية التبشيرية فى طرابلس وبنغازى الدراسة فيها مجانية ، كما شجعت الكثير من المواطنين الإيطاليين بالهجرة إلى ليبيا للعمل . وكانت البعثات العلمية والجغرافية تتوالى على ليبيا بغية إجراء دراسات وجمع معلومات عن ليبيا . وقد شجعت الحكومة الإيطالية قنصلها فى طرابلس بالتودد إلى السلطات فى ليبيا ، وفى نفس الوقت سعت لدى

الدوائر التركية بالعمل على إبعاد إبراهيم باشا الحاكم العثمانى فى طرابلس لتشدده ضد السياسة الأوروبية عموما والنشاط الإيطالى خاصة فتم إبعاده من منصبه . وقد سعت إيطاليا أيضا إلى إقامة مصرف فى طرابلس للمساعدة فى تمويل عمليات التجارة والإستثمار . ولكنه فى حقيقة الأمر كان يساعد الرعايا الإيطاليين الذين قد أقاموا فى طرابلس منذ مدة طويلة على شراء الأراضى الزراعية من الليبيين وكذلك المحلات التجارية ، فلم يقتصر عمله على الأهداف التى أنشىء من أجلها ، كما كان أيضا فى ذات الوقت مركزا متقدما لجمع المعلومات عن الطبقات الحاكمة والثرية والتى تتحكم فى إتخاذ القرار . ولما أتت الظروف الموضوعية للتدخل الإيطالى نزلت القوات الايطالية بحجة حماية المصالح الإيطالية والرعايا الإيطاليين فى ليبيا بسبب حالة الإضطراب والفوضى وعدم إستتباب الأمن سنة 1911م . فكان الإحتلال الإيطالى العسكرى فى سبتمبر سنة 1911م ، وقد أيدته الدول الأوروبية الأخرى بموجب اتفاقيا موافقات سابقة ، ففرنسا كانت قد عقدت مع ايطاليا اتفاقية سنة 1902 م التى تعهدت فيها ايطاليا بعدم منافستها فى المغرب وإحترام سياستها فى مقابل عدم منافسة فرنسا لإيطاليا إذا ما أقدمت على عمل فى ليبيا .

أما النمسا فهى مرتبطة بإتفاق الحلف الثلاثى ولذلك وافقت على إحتلال إيطاليا لليبيا ، أما ألمانيا فقد كانت فى موقف حرج إذ أنها عضوا فى الحلف الثلاثى وفى نفس الوقت تربطها علاقات جيدة مع تركيا ورغم أنها حاولت أن تثنى إيطاليا بأن أوعزت إلى سلطان تركيا بأن يعرض على

ايطاليا تسهيلات إقتصادية وتجارية فى ليبيا إلا أن ذلك كان بعد فوات الأوان لأن ايطاليا كانت قد أنزلت قواتها على الشواطىء الليبية فى 9 سبتمبر 1911 م .

ولم يكن الوضع الدولى والقانون الدولى يساعدان على إيقاف الغزو الإيطالى لليبيا فقد وقفت كل الدول الاوروبية على الحياد رغم الخرق الفاضح للقانون الدولى وذلك خوفا من أن يثير ذلك الإجراء تركيا فتعود حالة البلقان الى التوتر مرة أخرى . وبإمكانيات وقدرات عسكرية عالية جرى إحتلال المدن الليبية الواحدة تلو الأخرى رغم المقاومة الضارية التى أبداها الليبيون مع القوات التركية فى بادىء الأمر ، ثم تصدى الليبيون وحدهم للإحتلال بعد أن عجزت تركيا عن الصمود وسحبت معظم قواتها للتصدى إلى ثورات البلقان فى ما بين عامى 1912 - 1913 م ، وقد كان إحتلال المدن الرئيسية فى بادىء الأمر هو الهدف فتم إحتلال طرابلس ، وبنغازى وطبرق ودرنه والخمس وسرت . ثم عم الإحتلال بقية المدن والأرياف . ورغم ما أبداه المواطنون الليبيون من بسالة فى مواجهة الغزو الإيطالى إلا أن الفارق فى العدة والعتاد لم يمكنهم من الصمود فانسحبوا إلى الداخل حيث دارت أشرس المعارك أشدها معركة القرضابية فى 28 1915/4/29 ، وكان لانسحاب تركيا النهائى وعدم تصديقها للغزو أثره فى تمكين العدو من الإحتلال وذلك عندما وقعت معه إتفاق أوشى لوزان 1912/10/18م . وظل الليبيون يقاومون الإحتلال جماعات وأفراد طوال الفترة مابين سنة 1913 - 1914 م . وقد ظهرت العديد من الشخصيات الوطنية الليبية التى

إعتبرت أن مقاومة الإحتلال الإيطالي جهاد اسلامي مقدس منهم أحمد الشريف السنوسي ومحمد عبد الله البوسيفي وسليمان الباروني وغيرهم . وقامت الحرب العالمية وخمدت روح المقاومة قليلا ، وفي عام 1918م لجأ الإيطاليون إلى عقد إتفاقات ثنائية بهدف إضعاف وحدة الليبيين فاجتمعوا مع بعض المجاهدين في مسلاته وقرروا إعلامن الجمهورية الطرابلسية فإختلف الناس من بين مؤيد ومعارض . وحدث تطور جديد في عام 1922م في الموقف الإيطالي إذ إستولى الفاشستيون الإستعماريون على السلطة في ايطاليا ولكي يصرفوا أذهان الرأى العام الإيطالي ويكسبوا شهرة قاموا بشن هجوم مباغت على مدن وشواطيء ليبيا وتوغلوا إلى الداخل ، وازاء ذلك إندلعت معارك الجهاد مرة أخرى بقيادة عمر المختار فيما بين عام - 1931 1923 م ، وقد شمل جهاده عدة مناطق في ليبيا . وشهدت هذه الفترة سياسة ايطاليا التعسفية إزاء الوجود العربي الإسلامي في ليبيا فقامت بتجريد جميع العرب من السلاح والثروة وهدمت معظم الزوايا التي كان ينطلق منها المجاهدون ورجال الطرق الصوفية كما صفيت العناصر القيادية العربية الليبية تصفية جماعية ونصبت المشانق في معظم الأماكن كما تم نفي الكثير إلى الجزر الإيطالية حيث عانوا ظروف الأسر والبرد والجوع .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية كانت ليبيا من ضمن المحاور التي إهتم بها الحلفاء نظرا لموقعها الإستراتيجي وفي 1946/9/10م عقدت معاهدة الصلح مرة أخرى مع إيطاليا ، وكان موضوع الممتلكات الإيطالية في

إفريقيا بما فيها ليبيا - من المواضيع التى حسمت لمصلحة الحلفاء فإتفقت على أيلولة الأشراف لإدارة هذه المستعمرات إلى الحلفاء ريثما تتخذ الأمم المتحدة قرارا نهائيا بشأنها وزاد الخلاف واستمر مدة طويلة بشأن هذه النتلكات وإتفق بشأن ليبيا بعد عدة مفاوضات أن تشرف بريطانيا على غرب وشرق ليبيا وفرنسا على جنوب البلاد وأقيمت ثلاث إدارات عسكرية فى هذه المناطق ، وفى الفترة مابين سنة1947-1951م ونشطت الحركة الوطنية الليبية فى مقاومة الإستعمار الجديد والمطالبة بإستقلال ليبيا ، وقد إنقسمت المعارضة إلى نوعين ، معارضة خارجية متخذة من مصر وتونس مقرا لها وهذه المعارضة إعتمدت على الكتابة فى الصحف والإعلام والإتصالات بالزعماء العرب والجامعة العربية وشرح قضية ليبيا وهناك مهاجرون هاجروا إلى تشاد والنيجر وأوجدوا لهم نفوذا هناك وكانوا على إتصال بالمعرضة الداخلية .

وأما المعارضة الداخلية فقامت بها التنظيمات من العناصر الوطنية الشعبية ممثلة فى الجمعيات والإتحادات والأحزاب ، **ومن أهم هذه التنظيمات** : -

الجبهة الوطنية المتحدة وتأسست سنة 1946 م بتأييد من ادريس السنوسى ومباركة البريطانيين برئاسة سالم المنتصر ومحمد أبو الأسعاد ، والكتلة الوطنية الحرة وتكونت سنة 1946م وأيضا برئاسة الفقيه حسن وكانت تضم العناصر المثقفة الشابة ذات الإتجاه القومى وكانت تدعو إلى الإستقلال ووحدة ليبيا وإنضمامها إلى الجامعة العربية وتعارض الإعتراف بادريس

السنوسى رئيسا لليبيا ، وحزب الإتحاد المصرى الطرابلسى الذى تأسس فى سنة 1940 م وقام بتأسيسه على رجب ويوسف المشيرقى ويدعو الى وحدة ليبيا مع مصر ، وحزب الأحرار وتكون برئاسة صادق بن زراع وسكرتاريه على دربيكه ، والرابطة الليبية ونشأت فى مصراته يرأسها مصطفى محمود بادى ، وحزب الإستقلال وقد تأسس فى أواخر سنة 1948 م وقد أحاطت الشبهات حول نواياه ولكنه أرسل وفدا الى مصر وآخر إلى الأمم المتحدة للمطالبة بإستقلال ليبيا ومؤسسه أحد المفصولين فى الجبهة الوطنية ، وحزب الشعب وهو حزب صغير يضم عد من الليبيين المهاجرين فى مصر أمثال طاهر سبيطه ويوسف الجعرانى والطاهر الزاوى ومحمد العيساوى أبو خنجر وأحمد السويلحى والطاهر المريض وغيرهم والمعلومات عن هذا الحزب قليله ، وأما اللجنة الطرابلسية فقد تشكلت فى أثناء المفاوضات مع إدريس السنوسى وقد كانت هذه اللجنة تقوم بمراقبة أعمال الإنجليز فى ليبيا وتتبع سياستهم الإستعمارية وتعارض دعاة الإنفصال وتدعو إلى حق تقرير المصير وإجراء إنتخابات لمعرفة رأى الليبيين وتكتب التقارير والمذكرات إلى الزعماء العرب وإلى الجامعة العربية . وقد كانت هيئة التحرير لهذه اللجنة تتكون من الطاهر المريض ومحمد العيساوى وأحمد السويلحى .

ولقد لعبت المعارضة الداخلية والخارجية دورا هاما فى تكوين رأى عام ليبى يطالب بإستقلال ليبيا والحفاظ على وحدتها وساهمت الجامعة العربية ومصر فى مساندة القضية الليبية فى أروقة الجامعة العربية وفى الأمم المتحدة حتى صدر قرار الأمم المتحدة سنة 1951م بمنح ليبيا أستقلالها فى ميعاد

لايتجاوز 1952م وفق الموجهات التالية : - تقوم الدولتان بأعمال الإدارة في ليبيا - وهما بريطانيا وفرنسا - مع مندوب الأمم المتحدة فى إتخاذ الخطوات اللازمة لنقل سلطة الحكم إلى حكومة دستورية ليبية مستقلةمع المحافظة على وحدة ليبيا وإستقلالها والتعاون فى تكوين الإدارات الحكومية فيها ، على أن تقبل كدولة مستقلة وعضوا فى الأمم المتحدة طبقا للمادة الرابعة من الميثاق . واختير المستر أدريان بلت Adriyan Belt الهولندى الجنسية كمندوب للأمم المتحدة لتحقيق هذه الموجهات . وفى 25 نوفمبر سنة 1950 تم تكوين الجمعية التأسيسية الليبية بعدد متساو للمناطق الثلاث وتمت إجازة الدستور الذى هو دستورا اتحاديا تحت رعاية إدريس السنوسى (الذى أصبح ملكا) سنة 1951 وأعلنت أول حكومة ليبية فى ليبيا ووجدت الإعتراف من الأمم المتحدة والمجتمع الدولى .

تونس والجزائـــر : -

ظلت كل من تونس والجزائر خاضعة للحكم الفرنسى والجماية الفرنسية رغم وجود حكامها من البايات ، وكانت الإدارة الفعلية فرنسية تماما وقد حرم المواطنون فى هاتين الدولتين من أى حقوق سياسية . وقد أدى الحكم المطلق لفرنسا فى تونس على سبيل المثال إلى تشدد الحركة الوطنية التونسية التى تطالب بحرية تونس وإستقلالها وذلك فى الفترة ما بين الحرب العالمية 1 و 2 ***وأهم الأحزاب السياسية التى حملت نداء المطالبة بالحرية والإستقلال فى تونس هى : -***

- حزب تونس الفتاة ، تأسس سنة 1908 م متأثرا بحركة تركيا الفتاة وكانت زعامته خليط من الأشخاص الذين تلقوا تعليما دينيا فى جامعة الزيتونة والذين التحقوا بالمدارس الفرنسية .

- حزب الدستور ، وهو أهم الأحزاب ، أسسه عبد العزيز الثعالبى سنة 1919م وذلك لعرض قضية تونس أمام مؤتمر السلام فى باريس وهو حزب تقليدى وطنى ذو ميول إسلامية عربية قاد العمل السياسى فى تونس ما بين 1919 - 1930 وزار رئيسه الثعالبى مصر والدول العربية لعرض قضية تونس فى الجامعة العربية والصحافة المصرية كما زار فرنسا واتصل بالأحزاب الفرنسية ، ثمأصدر الثعالبى كتابه تونس الشهيدة الذى استعرض فيه ظروف تونس تحت الحكم الفرنسى والحماية والأضرار التى لحقت بها فى كافة المجالات كما تعرض إلى المعاناة التى يعانيها الشعب التونسى فى ظل الأحكام العرفية الفرنسية ، وقد أحدث هذا الكتاب صدى إعلاميا واسعا إذ أنه ترجم إلى اللغة الفرنسية .

ومن الأحداث الهامة التى شهدتها هذه الفترة هى : -

أ- تنازل الباى محمد الناصر عن العرش ، وذلك بعد إرغامه على التنازل - نظرا لوقوفه مع التيار الوطنى وتأييده لإستقلال تونس الكامل . وقد قامت عدة مظاهرات تأييدا له ، وإعتقل ونفى إلى فرنسا ولم يلبث أن توفى فى ظروف غامضة ، وعين محمد الحبيب فى مكانه وقد كان مؤيدا للحركة الوطنية ولكن بعد توليه شايع الفرنسيين ، ونكل الفرنسيون بزعماء الحركة

الوطنية وأعضاء الحزب الدستورى .

ب – نمو الحركة الوطنية النقابية فى تونس ، وذلك بإيعاز من زعماء حزب الدستور لكسب تعاطف وتأييد الطبقات الفقيرة وذوى الميول اليسارية من الإشتراكيين والشيوعيين ، ونتيجة لهذه المتغيرات فى سياسة حزب الدستور إنضمت إليه دماء جديدة ونخبة من المثقفين أمثال الطاهر صفر ومحمد الماطيرى والحبيب أبو رقيبه ومحمد القابس ، وقد لعبت هذه الوجوه دورا هاما فى دفع الحركة الوطنية وتصديها للفرنسيين . وشهدت الفترة ما بين 1924 - 1925 م وقوع إضطرابات ومصادمات ضد السلطات الفرنسية، إهتم النقابيون بتحريض الجماهير إليها ، فإعتقلوا وسجنوا ، ومن المسائل التى ألهبت حماس الجماهير إلى جانب الغلاء سياسة التجنيس التى مست بهوية تونس العربية . وجوهر هذه السياسة يرمى إلى إزالة الآثار العربية ومحو الشخصية العربية الإسلامية فى تونس ، إذ أن الفرنسيين قسموا سكان تونس والجزائر إلى قسمين : عرب مسلمين ، وأوروبيين (كل من نطق الفرنسية أو الإنجليزية) . وخصوا القسم الثانى بالرعاية ، وصرحوا بأن من يريد الجنسية الفرنسية من العرب المسلمين سوف تمنح له شريطة أن يلتزم بالسياسة الفرنسية وأن يتحدث الفرنسية . وقد قامت عدة مظاهرات رافضة لمسألة التجنيس بالجنسية الفرنسية وأهمها التى قادها أتباع الإتجاه التقليدى فى حزب الدستور الذين صرحوا أن قبول الجنسية الفرنسية يعنى الكفر والخروج عن الإسلام وأن من يحملها لايدفن فى مقابر المسلمين .

ولقد لعب الحبيب أبو رقيبه دورا هاما فى تحريك حزب الدستور وقام بعدة جولات لترسيع قاعدته بالأقاليم خاصة فى وسط النقابات العمالية وفى نهاية سنة 1933م أصدرت السلطات الفرنسية قرار بحظر التنظيم والصحافة والتعبير وأثار ذلك الأحزاب كلها . وإنعقد مؤتمر عام لحزب الدستور فى قصر هلاله سنة 1934م ورغم بروز إنشقاق الحزب إلى تيارين تقليدى وتجديدى إلا أنه خلص فى نهاية مؤتمره إلى تنظيم الحزب وفق موجهات جديدة ووضع ميثاق له جديد والإعلان صراحة بالمطالبة بإستقلال تونس – ثم عقد مؤتمر آخر سنة 1935 م كان إمتدادا لمؤتمر قصر هلالة وأيد القرا ات السابقة .

وإزاء هذه التطور والحركة إتخذت السلطات الفرنسية مواقف متشددة ضد الأحزاب التونسية المنادية بالإستقلال . فيما سعت لتمكين الأحزاب التى تؤيد السياسة الفرنسية وهى منح تونس نوع من الحكم الذاتى فى إطار الجماعة الفرنسية .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية كانت أراضى تونس مسرحا للعمليات العسكرية وقد كان لإحتلال ألمانيا الوقت لتونس أثره إذ أطلقت سراح أبو رقيبة ورفاقه الذين قد إعتقلهم الفرنسيون وسمحوا للباى بتكوين حكومه ووزراء من حزب الدستور . ولكن فى سنة 1943م على أثر عودة الفرنسيين للسلطة لجأوا إلى التشدد فى سياستهم رغم ما قرره ميثاق الأطلسى ومؤتمر الدار البيضاء الذى حضره روزفلت والذى أوصى بمنح دول المغرب إستقلالها أو حق تقرير المصير .ولذلك هاجر أبو رقيبة إلى مصر وبدأ تنظيم

مقاومة عسكرية داخلية فيما بين 1945 - 1952 م على نمط حرب عصابات الجزائر ، مع العمل على كسب التأييد العربى والدولى وبتأييد من مصر والجامعة العربية وافق الفرنسيون على منح تونس الحكم الذاتى وحق تقرير المصير وفى سنة 1952م إجريت إنتخابات صار أبو رقيبه بموجبها رئيسا للحكومة التونسية المستقلة .

أما الجزائر التى خضعت للإحتلال الفرنسى من سنة 1830م فقد لاقت الحركة الوطنية فيها التى نمت وترعرعت رافضة منذ البداية هذا الإحتلال أشد أنواع التنكيل والعذاب ، وبعد المقاومة التى وجدها الفرنسيون فى المغرب ورفضه للحماية الفرنسية والمطالبة بعودة السلطان إلى مراكشة ، وبسبب السياسة الفرنسية الرامية إلى جعل الجزائر ضمن الممتلكات الفرنسية بعد صدور قانون التجنيس وإضافة الجزائر إلى السلطات الإدارية الفرنسية بفرنسا على إعتبارها جزء من فرنسا ، إشتدت المقاومة بعد العشرينات وإستمرت متقطعة هنا وهناك، ولم يجد الجزائريون وهم يتعرضون إلى سياسة الفرنسية لهم سياسيا وثقافيا وإجتماعيا إلا أن ينتظموا فى حرب تحرير علنية ضد القوات الفرنسية خاصة بعد أن أصبحت أراضى الجزائر مستباحة لجيوش الحلفاء . وقد وجدت جبهة التحرير الجزائرية الإعتراف والدعم المالى والمعنوى من كل إفريقيا السوداء إلا أن أكثر الدعم كان من الرئيس عبد الناصر وكوامى نكروما ، كما أن تونس كانت تساعد فى تهريب الأسلحة للثوار عبر أراضيها ، وقد بذلت فرنسا كل جهدها العسكرى والدبلوماسى فى المحافظة على وضعها فى الجزائر خاصة بعد أن فقدت الأمل فى تونس

والمغرب ، فدفعت بأكثر من نصف مليون جندى لإخماد ثورة الجزائر إلا أنها لم تستطع إخماد الثورة التى عمت كل الجزائر . وفى سنة 1958م تمرد الجيش الفرنسى فى الجزائر وواجه ديجول محنة صعبة ، ولأنه كان مقتنعا مثل بقية ساسة الجزائر للنقاش فى البرلمان والحكومة وبعد إستعراض الخسائر التى منيت بها فرنسا فى الحرب منذ 1954 - 1962م والصورة القاتمة التى أصبحت عليها فرنسا فى العالم والوطن العربى وافق ديجول وحكومته على الإعتراف بحق تقرير المصير للجزائر بين سنة 1959م وفى 1962م . تم إعلان وقف إطلاق النار تمهيدا لإعلان الإستقلال ، وأصبحت مشكلة فرنسا هى كيفية إقناع المستوطنين الأوروبيين من الفرنسيين بسياستها الجديدة وقد لجأ هؤلاء المتطرفون من الجماعات المسيحية إلى سياسة الإرهاب ضد فرنسا وضد المسلمين فى الجزائر فى محاولات يائسة لخرق إتفاقية وقف إطلاق النار وإفساد مخطط ديجول بمنح الجزائر إستقلالها وإنتهت مقاومتهم عند إعلان إستقلال الجزائر وحقيقة أن ثورة الجزائر قد لقيت الإعجاب والتقدير من كل ثوار العالم لما ضربته من مثل حى فى مقاومة الشعوب الحرة حيث سقط ما يقرب من المليون شهيد من أجل الحصول على الحرية والكرامة .

التطورات فى غـــرب افريقيـــة :-

لقد كانت الفترة ما بين سنة 1918 وسنة 1931 فترة هامة وحاسمة فى غرب إفريقيا ، حيث أن قضية وضع الزنوج فى أمريكا الشمالية والجنوبية وجزر الهند الغربية وما صاحبها من وعى ترتب عليها تأثر وتفاعل من الصفوة المتعلمة فى إفريقيا . حيث قامت هذه الصفوة بتقييم موقف لزنوج فى الحرب العالمية الأولى ومساندتهم للحلفاء فى كافة الجبهات وظهرت شعارات تدعو إلى أن يأخذ الزنوج وضعهم الطبيعى فى المجتمع الدولى ورفع الغبن والظلم عنهم خاصة وأنه بعد الحرب العالمية وأثنائها ظهرت فى أوروبا وأمريكا شعارات حق تقرير الشعوب لمصيرها كأساس لإقرار السلام . ورغم أن هذه الشعارات كان يراد بها فى بادىء الأمر - الأقليات العرقية التى تخضع للدولة النمساوية - الهنغارية للحصول على استقلالها إلا أن هذه الفكرة سرعان ما تسربت إلى المستعمرات البريطانية ، مثل جنوب افريقيا والهند واستراليا وكندا ، والتى اشتركت فى الحرب بفاعلية على وعد من بريطانيا بمنحهم الحكم الذاتى . وظلت هذه المستعمرات تضغط على الرأى العام الأوروبى وتطالب باستقلالها حتى حصلت عليه فى سنة 1931 عندما أزيح الستار عن تمثال الحرية فى فناء وستمنستر . أما حزب المؤتمر الهندى فقد سار على نفس الاتجاه بزعامة المهاتما غاندى ، الذى طالب البريطانيين بالايفاء بوعودهم ، وسرت هذه الموجة إلى الايرلنديين الذين حصلوا على حكم ذاتى منذ سنة 1921م . أما مصر التى كانت قد وضعت تحت الحماية فقد حصلت على استقلال جزئى اثر تصريح فبراير سنة 1922 . كل هذه

الاحداث خلقت فى افريقيا وعى سياسى وتفهم للشعوب الافريقية . وعندماحدث حدثين هامين ، فى غرب إفريقيا تحول هذا الوعى إلى حركة تحررية عارمة . وهذان الحدثان هما :

1- وضع افليمى الكاميرون والتوجو اللذان كانا تحت الاستعمار الألمانى تحت رعاية فرنسا وبريطانيا . فى الوقت الذى كانت فيه كل الشعوب تطالب بحق تقرير المصير .

2- ظهور حركتى ايو Ewe people فى التوجو ، وحركة المؤتمر الوطنى لتحرير غرب إفريقيا من الاستعمار البريطانى .

ولم يكن من السهل على إفريقيا الغربية فى ذلك الوقت مقاومة السياسة البريطانية والفرنسية . ففرنسا تدعى أن الإفريقيين فى مستعمراتهم يمكنهم الحصول على حقوق المواطنة الفرنسية إذا قبلوا الدخول فى نطاقه الجماعة الفرنسية ، وبريطانيا تدعى أن الإفريقيين يمكنهم الحصول على حقوقهم السياسية فى نطاق دول الكمونولث البريطانى . ومن ثم بدأت الجمعيات السياسية الإفريقية تعمل فى نطاق هذه الأطر .

فالزعماء الافريقيون فى المستعمرات الفرنسية المقفين بثقافة فرنسية بدأوا من طرح قضاياهم ومن المفكرين الذين خلقوا لأنفسهم شهرة فيما بعد كسنجور فى السنغال الذى كان يكتب الشعر باللغة الفرنسية ومديبوكيتا الذى اشتهر بفنه الراقى للبالية – وقد قضى معظم زعماء غرب افريقيا جزء من حياتهم وهم يتلقون العلم فى الجامعات الأوروبية وامريكا فتأثر بعضهم

بالفكر « الليبرالى » الحر وتأثر بعضهم - وخاصة من درسوا فى فرنسا - بالأفكار الإشتراكية كما تأثروا بفكرة العودة إلى الجذور وإحياء التراث الإفريقى وهذه الفكرة كان يقودها ديبوا وماركوس فى أمريكا وجزر الهند الغربية وقد عقد هؤلاء الزعماء الافريقيون عدة مؤتمرات تدعو إلى وحدة العنصر الزنجى فى كل العالم **ومن هذه المؤتمرات** : -

أ - المؤتمر الذى عقده ديبوا فى مارس سنة 1919 وهو أحد زعماء حركة الزنوج إفريقيين وقد رفع شعارإفريقيا للإفريقيين وإتخذ عدة قرارات منها المطالبة بوضع التوجو والكاميرون تحت رقابة دولية حتى يتم منحها الإستقلال ، ومنح الإفريقيين حق العمل والزراعة وإلغاء سياسة الإستغلال .

ب - مؤتمر مانشيستر بريطانيا سنة 1927 حيث نادى هذا المؤتمر بإلغاء التفرقة العنصرية ، وإقامة إتحادات فدرالية تنتهى بقيام إتحاد فدرالى لدول غرب إفريقيا وقد ظهرت فى هذا المؤتمر بعض القيادات السياسية التى قدر لها أن تلعب دورا هاما فى غرب إفريقيا فيما بعد أمثال هربرت ماكولى من نيجريا ، وإيزاك والى من سيراليون ، وكاسلى هيوفاد من غانا ، وقد دعا هذا المؤتمر أيضا إلى عقد مؤتمر عام لإفريقيا .

ج - مؤتمر مانشيستر بريطانيا سنة 1927حيث نادى هذا المؤتمر بإلغاء التفرقة العنصرية والمطالبة بتمثيل الإفريقيين فى الأجهزة الحكومية والتمسك بمبدأ عام وهو تحرير إفريقيا بالطرق السلمية والدبلوماسية ، ما أمكن . وقد

برز من هذا المؤتمر أيضا بعض القيادات السياسية التى لعبت دورا هاما فى تحرير بلادهم مثل كوامى نكروما من غانا ولاك جونسون من سيراليون وجومو كنياتا من كينيا وماجنس وليامز وإزيكون من نيجيريا وروفائيل من التوجو وبيترز إبراهام من جنوب إفريقيا فى إتحادها **هذا المؤتمر هى ما يلى :**

1- تأكيد وحدة إفريقيا فى إتحادها الفدرالى والمطالبة بإستقلالها دولها

2- تأييد شعوب شمال إفريقيا فى كفاحها ضد الإستعمار والمطالبة بإستقلالها .

3- تأييد الحركة الوطنية السودانية فى كفاحها ضد الإستعمار البريطانى والمطالبة بإستقلال السودان ومنحه حق تقرير المصير .

ويؤخذ على هذه المؤتمرات أنها لم تكن سوى مناظرات سياسية فى أوروبا ، فى حين أن الشعوب الإفريقية كانت تعانى من الواقع الإستعمارى المرير ، وكانت بعض القيادات بمعزل عن قياداتها . ولكن من ناحية أخرى فإن وحدة المؤتمرات كانت ذات قيمة للإفريقيين الذين يعيشون داخل نطاق الجماعة الفرنسية حيث كانت شعارات الحرية والإشتراكية والمساواة التى ينادى بها بعض القادة تتوافق والسياسة الفرنسية . وكان للحرب العالمية2 أثرها الكبير فى تطور الوعى السياسى الإفريقى نظرا للإحتكاك الخارجى الذى نتج عن مشاركة الإفريقيين فى حروب آسيا ، كما أن

فرنسا منذ الإحتلال النازى لها إنقسمت إلى فريقيين . فريق حكومة فيشى ذات الميول الإستعمارية ، وأنصار ديجول مؤيدى فرنسا الحرة . وبالتالى إنقسم الإفريقيون إلى فريقيين كل يؤيد وجه نظر فريق . وترتب على ذلك أن ظهر أحد الأفارقة (ايوبيه) من تشاد مؤيدا لسياسة ديجول ودعا إلى رسم خريطة جديدة لفرنسا سماها الإمبراطورية الفرنسية الإفريقية والتى يسهم فيها الإفريقييون بوضع دستور يضمهم والفرنسيين فى اتحاد فرنسى بحيث تصبح الممتلكات الفرنسية فى إفريقيا قادرة على المشاركة فى انتخابات فرنسا ومنح الحكام المحليين سلطات وصلاحيات أكثر ، وهكذا إنتقل الكفاح الإفريقى إلى داخل فرنسا نفسها وبدأت فرنسا تعيد حساباتها من جديد مرة أخرى . وأما أثر الحرب العالمية الثانية على بريطانيا فقد كان ذو إتجاهيين عسكرى وإقتصادى . حيث أن سكان غرب إفريقيا قد أسهموا فى كل جبهات القتال على قدم المساواة مع القوات البريطانية فى آسيا وخاصة فى بورما والهند الصينية وأيضا أسهموا فى تموين الجيوش إقتصاديا على وعد بأنهم سوف يجنون ثمار ذلك بعد الحرب ووعدت إنجلترا بتمويل المشروعات الإستثمارية والتنمية . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها لم تف بريطانيا بما وعدت فإرتفعت أثمان الأشياء وغمرت المنتجات البريطانية أسواق غرب إفريقيا . وكان لإحتكاك الإفريقيين بالإداريين العسكريين أثره حيث إنهم بدأوا يتابعون إنتقاداتهم لميثاق الأطلسى والأمم المتحدة وحق تقرير المصير لشعوب آسيا .

فاستغل السياسيون هذه الأوضاع فى غرب إفريقيا وقامت العديد من

الثـورات والمظاهرات ما بين 1948 - 1949 فى كل مدن غرب إفريقيا تطالب بالإستـقلال . وكـانت أهـم الحـركـات السـياسية هى حـركة كـوامى نكروما فى ساحل الذهب ، حيث استطاع تنظيم شعبه فى حزب الشعب الجديد الذى أعلن برنامجه ونادى بصراحة باستقلال بلاده عن بريطانيا ، وقوبل ذلك بالرفض التام واعتقل كوامى نكروما وأودع السجن وكان لذلك أثره فى إزدياد شعبيته وقدم رفاقه مذكرة إحتجاج تطالب بالإفراج عنه وإجراء إستفتاء عام حول تقرير المصير وإجراء إنتخابات . وإزاء هذا الضغط الشعبى أفرج عنه وإجريت إنتخابات فى ظل دستور جديد ، وتوج كفاح كوامى نكروما بفوز حزبه فى الإنتخابات وتحولت ساحل الذهب إلى غانا الجديدة سنة 1956 كدولة مستقلة فى إطار الكمونولث البريطانى .

وقد كـان لإستـقـلال غانا أثره فى قيـام حـركـات وطنيـة فى كـل غرب إفريقيـا تطالب بالإستقلال خاصة فى المستعمرات الفرنسية لاسيما وأن ديجـول قـد خيـرهـم بين الإسـتـقـلال أو الإنضـمـام إلى الجـمـاعـة الفـرنسـيـة . وفى سنة 1959 طالبـت السـنغـال والسـودان الفـرنسى بالإستقلال التـام وتكـوين إتحاد مالى بينما إنضمت موريتانيا إلى الجماعة الفرنسـية . وبحـلول عام 1965 كـانت كل هذه الدول قد حصلت على إستقلالهـا بما فيهـا التى إنضمت إلى الجماعة الفرنسية وذلك فى إطار قانونى وبموافقـة فرنسـا . أما بريطـانيا فقـد سـعت إلى ضـم نيجيريـا وسيراليـون وغامبيا فى وحـدة سيـاسـيـة واحـدة تحت إتحاد فدرالى ، ولكن ذلك لم يتحقق . حيث أن كل دولة كانت لها مبرراتها فى الحصول

على الاستقلال . وفى إطار الإستجابة للمطالب القومية حصلت هذه الدول
على إستقلالها من بريطانيا وإنضمت إلى دول الكمونولث البريطانى .

(أسئلة للمراجعة)

1 – إرسم خريطة لتوضيح مناطق النفوذ الإنجليزية والفرنسية فى إفريقيا فى أواخر القرن التاسع عشر ؟

2– تحدث عن التطورات السياسية فى فترة ما بين الحربين العالميين عن أحد هذه الدول :

مصر – السودان – ليبيا – تونس .

3– تأثر غرب إفريقية بحركة الدعوة إلى الوحدة الإفريقية التى ظهرت فى امريكا . وضح ذلك مشيرا للمؤتمرات التى إنعقدت بشأن ذلك ؟

4– كيف وصل هيلاسلاسى إلى الحكم وماهى التطورات التى حدثت فى أثيوبيا بعد توليه ؟

5– أكتب مذكرات وافية عن :–

1– التدخل البريطانى فى زنجبار بعد وفاة السلطان سعيد بوسعيد .

2– الأحزاب السياسية ودورها فى الحركة الوطنية فى كل من مصر – السودان – ليبيا – تونس .

3– كوامى نكروما – جمال عبد الناصر – والوحدة الإفريقية .

4– حركة الماماو فى كينيا .

5– قضية المستعمرات الإيطالية فى الأمم المتحدة .

الفصل الثاني عشر
المشاكل التى واجهت إفريقيا بعد الإستقلال

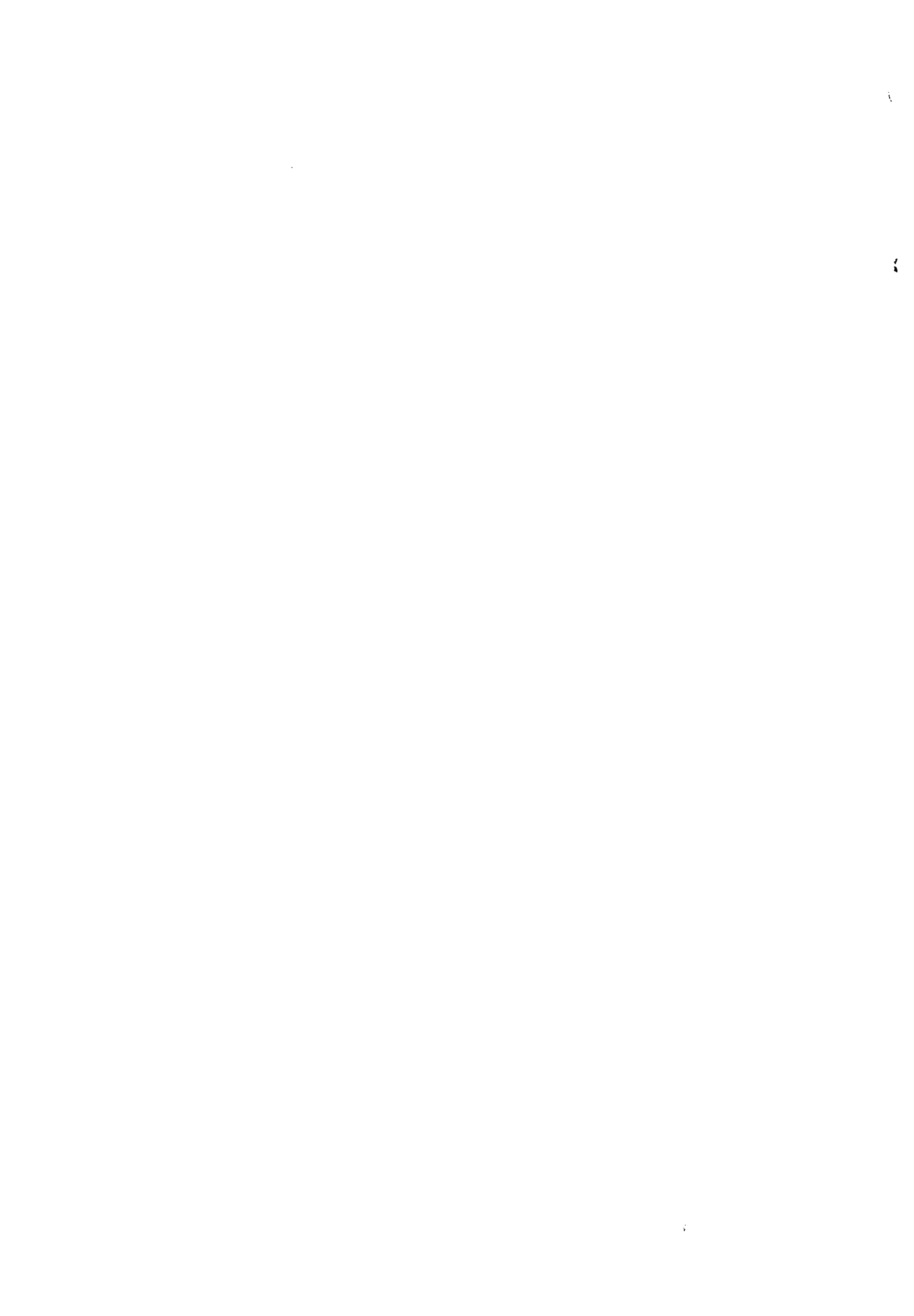

الفصل الثانى عشر

المشاكل التى واجهت إفرقيا بعد الإستقلال

بعد أن حصلت إفريقيا على إتقلالها واجهت حكوماتها عدة مشاكل هى من مخلفات الإستعمار وتحتاج إلى وقت طويل لإيجاد حلول لها ومن هذه المشاكل : –

أ – *مشكلة الحدود بين الدول : –*

ترجع هذه المشكلة إلى الطريقة التى إتبعها الأوروبيون فى تقسيم إفريقيا فيما بينهم أثناء مؤتمر برلين 1884 - 1885م ، حيث لم تراع الدول الأوروبية أى إعتبارات خاصة بالإفريقيين مثل التجانس العرقى واللغوى، التكامل الرقتصادى أو الإرث الحضارى ، كما أن الدول الإفريقية لم تعط أى فرصة لإبداء رأيها أو لإجراء مسح للسكان وإنما لعبت المنافسة والتسابق للإستحواذ على مناطق النفوذ دورا هاما فى وضع الحدود . وبعد إجراء عملية التقسيم لوحظ أن 30% من الحدود السياسية فى القارة الإفريقية هى حدود متمشية مع خطوط الطول والعرض وهو مايسمى بالحدود الفلكية ولذلك يمكن القول أن الحدود رسمت بالمسطرة على طاولة المفاوضات فى برلين سنة 1885م . ومن خلال دراسة الخريطة السياسية الإفريقية **تتضح هذه الحقائق** :

1– أن عدد كبير من الوحدات السياسية التى أنشئت لاترقى لإعتبارها دولة لأنها لاتملك كل مقومات الدولة .

2- أن التخطيط العشوائى للحدود بين الدول نجم عن قيام وحدات سياسية مجزأة ومصطنعة لأنها لاتشمل فى الواقع أقسام بشرية أو طبيعية أو إقتصادية يمكن أن يبرر وجودها كدولة مستقلة .

3- لم يراع عند وضع الحدود الإنسجام بين مساحة الأرض وعدد السكان مثلا لو أخذنا غرب إفريقيا الذى مساحته تساوى حوالى أربعة مليون كيلو متر وعدد سكانه حوالى 9 مليون نسمة تربطهم سمات وأصول مشتركة عرقيا وثقافيا نجده قد قسم جزء إلى عدد كبير من الدويلات ، بينما نجد أن الهن وهى تماثل غرب إفريقيا من حيث المساحة يسكنها حوالى 450 مليون نسمة متعددة الأصول والثقافات ومع ذلك تقوم الهند فى وحدة سياسية واحدة .

4- ظهر فى إفريقيا ستة وأربعين وحدة سياسية بعد الحرب العالمية الثانية منها 13 وحدة سياسية لاتوجد لها منافذ فى البحر وهذا بالطبع يسبب لها مشاكل متعددة ، بينما عدد الدول الداخلية فى العالم كله (بدون إفريقيا) هى أحد عشر دولة فى أوروبا وآسيا وأمريكا الجنوبية .

وقد ترتبت على هذه الحدود المصطنعة عدة مشاكل بين الدول ونزاعات وحقوق عقبت فترة الاستعمار ، وخاصة تلك الدول التى بها قبائل رعوية فكثيرا ما يتعدى الرعاة حدود دولتهم الى الدولة المجاورة خاصة إذا كان الخريف غير ممطر فى مناطقهم . وهذه القبائل قد تم فصلها إلى جزئين مثل قبائل الزغاوة فجزء فى دارفور وجزء آخر فى تشاد ، وكذلك الأشولى

جـزء منهـا فى جنوب السـودان وآخـر فى أوغنده ، والمراوير بين السـودان وجنوب مصـر . وقـد كـانـت مـشـاكـل الرعى تحل بواسطة زعـمـاء القبـائل بالتـراض دون تدخل الدولة وفى بعض الأحـيـان تتـدخل إذا وقـعـت خسـائر بمواطنيـها ، وقد كـان الحديث عنهـا من المسائل التى نظرت فيـهـا منظمـة الوحدة الإفريقية فى نطاق حل المشاكل بالطرق السلمية . وقد كـان الرزى الذى نصح به الرؤساء الأفارقة فى مؤتمرات القـمة أن الدول الإفريقية عليـها حل مسائل الحدود بالطرق السـمية والمفاوضات وعدم اللجوء إلى استعمـال القـوة . كما نصحوا بأن تقوم إتحادات سياسية كبرى تضم عددا من الدول ذات التـجـانس العـرقى واللغـوى والتـاريخى وأن ترتبط بنظام اتحـادى ينظم شئونها .

ب - مشكلة التخلف الإقتصـادى :-

رغم ما تمتلكه إفريقيا من ثروات هائلة إلا أن سمة التخلف الإقتصادى أصبحت سمة لازمت الدول الإفريقية بعد إستقلالها وبالنظر إلى خريطة إفريقية الإقتصادية **يلاحظ أنها تحوز على الإمكانات التالية :-**

أ - بهـا أكـثـر ثروة حيـوانية من الحيـوانات المستأنسة كـالماعـز والأغنام والضـأن والإبل والبـقـر والجاموس وغيـرهـا ، كمـا توجـد بهـا ثروة سـمكية هائلة .

ب - بهـا أكبـر مسـاحات صالحة للزراعة لمختلف المحاصيل والبقـوليات وإفـريقيـا تنتج الفـول السـودانى وزيت النخيل وزيت الزيتون والكاكـاو والذرة

بأنواعها المختلفة وثبتت صلاحية إفريقيا لإنتاج القطن بكميات وافرة .

ج - توجد بها كميات هائلة من المعادن التالية : -

- الذهب الذى يوجد فى مناطق عددية فى إفريقيا مثل جنوب إفريقيا ، كانتجا فى الكنغو ، وروديسيا ، وشرق السودان . وتنتج جنوب إفريقيا وحدها حوالى 39% من الإنتاج العالمى للذهب .

- النحاس ويتواجد أيضا بكميات وافرة فى زامبيا - السودان ، الكنغو وتنتج إفريقيا منه وحوالى 32% من الإنتاج العالمى .

- المنجنيز ويتوافر بكميات بكميات وافرة فى العديد من الدول الإفريقية أهمها غانا وجنوب إفريقيا والمغرب والكنغو .

- وتنتج إفريقيا كلها حوالى 40% من الإنتاج العالمى للكروم وحوالى 31% من الفرسفات وحوالى 86% من الكوبالت .

- تمتلك القارة الإفريقية العديد من المساقط المائية والشلالات الطبيعية فى منحدرات الأنهار وهى كافية لتوفير كمية هائلة من الطاقة الكهربائية التى تمد القارة بالطاقة المحركة .

- ثبت أخيرا وجود كميات من البترول والغاز الطبيعى فى كثير من البلدان الإفريقية مثل مصر وليبيا ، والجزائر ، ونيجيريا . واصبحت إفريقية من أهم المناطق التى تمتلك حقول بترول مستقبلية .

والسؤال الذى يطرح نفسه لماذا بقيت إفريقية متخلفة رغم وجود هذه

الإمكانات ؟؟ هناك عدة عوامل أدت إلى بقائها متخلفة أهمها : -

1- عدم الإستقرار السياسى للدول بسبب التصارع على السلطة وقد إنعكس ذلك سلبا على إقتصاد الدول وتجارتها الداخلية والخارجية وعلاقتها مع الدول الكبرى ، بسبب عدم الثبات على سياسة إقتصادية واحدة خاصة تلك الدول التى حاولت تغيير نظم الحكم فيها إلى النقيض فمثلا قبل ثورة يوليو كانت مصر تحكم بنظام ملكى رأسمالى له علاقته مع الدول الرأسمالية الحرة ، ولكن بعد قيام الثورة تغير النظام الاقتصادى إلى النظام الاشتراكى وتمت مصادرة رؤوس الأموال الوطنية أو الإجنبية . وطوال فترة حكم عبد الناصر كانت مصر تعانى من حالة عجز مستمر فى ميزان المدفوعات وعلاقات تجارية ومالية مضطربة مع الغرب .

2- عدم وجود خطط إقتصادية مدروسة ومبرمجة لإستغلال الثروات التى تزخر بها إفريقيا سواء فى المجال الزراعى أو الحيوانى أو إنتاج المعادن .

3- نقص الخبرة الفنية ، فغالبية الدول الإفريقية تفتقر إلى الأطر الفنية الوسطى والدنيا المدربة التى تساعد فى تنفيذ البرنامج التقنى السريع فى مختلف المجالات أبسطها مسألة الإتصالات السلكية واللاسلكية إذ أن حركة التجارة الداخلية والخارجية تقوم على الإتصال السريع وتتبع أسعار السوق المحلية والعالمية خاصة بعد أن أصبحت العملات الأجنبية تتحكم فى تحديد أسعار الأشياء .

4- قصور وسائل النقل والمواصلات ، لم يهتم المستعمرون الأوروبيون

بتدعيم وسائل النقل وإنما إهتموا فقط بالمناطق التى حققت أهدافهم ورغباتهم ولذلك بقيت المواصلات البرية والجوية والنهرية متخلفة .

ولذلك كان من أهم المسائل التى علقت الدول الإفريقية على معالجتها هى إمكانية الخروج من دائرة التخلف الإقتصادى وإجراءات التنمية الإجتماعية والإقتصادية السريعة . وقد اقترحت عدة إقتراحات بعضها رأى النور وبعضها لم ير مثل : إنشاء سوق إفريقية مشتركة ولم ينفذ إلا جزء يسير منه مثل منظمة دول شرق إفريقية للتجارة التفضيلية ومجموعة إيقاد وإنشاء مصرف إفريقى للتنمية ، وقد أنشىء ومقره القاهرة ولكنه لم يقدم مساعدات استثمارية للدول التى طلبت منه قروض إلا فى حدود ضيقة . وإنشاء مجلس الوحدة الرقتصادية ضمن مجالس قروض إلا فى حدود ضيقة . وإنشاء مجلس الوحدة الإقتصادية ضمن منظمة الوحدة الإفريقية . وقد بذلت جهودا جبارة فى تقديم الدراسات والمعلومات للدول الأعضاء .

ج – *مشكلة التخلف الإجتماعى* : –

نظرا للسياسات التى إتبعها المستعمرون فى إفريقيا الرامية إلى إبقاء إفريقيا متخلفة فقد أصبحت إفريقيا تعانى من التخلف الإجتماعى والثقافى ومن **أبرز مظاهر هذا التخلف ما يلى :**

– إنتشار العادات والتقاليد السيئة التى توقف عملية التطور الطبيعى مثل عادات الوشم على الأجسام وتشويه الأسنان وعادة الشلوخ والندوب فى

الوجه للمرأة وغيرها من الخرافات والأساليب المتخلفة .

- عدم سلامة البنيان الإجتماعى وذلك بوجود تباين فى تكوين المجتمع فبعض المجتمعات تسوده الطبقية بوجود أثرياء قد بلغوا قدرا كبيرا من الثراء بينما يوجد فى نفس المجتمعات فقراء قد قهرهم الفقر .

- تفكك الروابط الأسرية بين أفراد القبائل ، وقد ساهم الإستعمار إلى حد كبير فى هذه العملية .

وقد أدرك الأفارقة بعد حصولهم على الإستقلال ضرورة محاربة هذه العادات الضارة والقيام بعملية تنمية إجتماعية لتساير التطور الحديث .

د - *مشكلة إنخفاض المستوى الصحى* :-

لقد تفشت فى إفريقيا أمراض مستوطنة أدت دورا كبيرا فى حدوث الوفيات ومن هذه الأمراض مرض الملاريا والبلهارسيا والدوسنتاريا والإمكلستوما ومرض الكلازار ومرض السرطان الكبدى ، وأما الأسباب التى أدت إلى إنخفاض المستوى الصحى فهى كثيرة ولكن **أهمها** :-

- إنخفاض مستوى المعيشة وسوء التغذية .

- الجهل بوسائل الوقاية والمبادىء الصحية العامة .

- قلة وسائل العلاج الأولية .

- نقص الأطر الصحية - الطبية المؤهلة .

وقد بذلت الحكومات الوطنية الإفريقية عدة وسائل فى سبيل النهوض بالمستوى الطبى منها : -

- العناية الصحية الشخصية التى تبدأ مع الطفل منذ ولاته تم دخوله المدارس ومراقبته مراقبة مستمرة .

- تدعيم أجهزة مكافحة الأمراض المنتشرة .

- نشر مبدأ التأمين الصحى .

- الإرتفاع بمستوى المعيشة والمستوى الثقافى العام .

هـ - *مشكلة إنخفاض المستوى الثقافى* : -

لقد لعب الإستعمار دورا كبيرا فى التقليل من قيمة الحضارات والثقافات الوطنية فى إفريقيا وخاصة الثقافة العربية الإسلامية بما إستخدمه من برامج وسياسات ترمى إلى نشر الثقافة الغربية واللغات الأجنبية وقامت المؤسسات التبشيرية التى صحبت الاستعمار بهذا الدور ، وقد كانت تجد الدعم من الدول الغربية والكنائس العالمية فأقامت المدارس التى كان همها الأول تنصير الأجيال الجديدة فكانت لذلك موضع التحفظ من المسلمين الأفارقة فحجبوا أبناءهم عنها فإنقطعوا عن التعليم وعملوا بالرعى أو الزراعة، فلما إستقلت البلاد لم يكن هناك متعلمون لتولى الوظائف الحكومية وتولى الحكم الجيل الذى أعده الإستعمار على صورته وهكذا فقد بعض الأفارقة شخصيتهم الثقافية وإغتربوا عن منابع حضارتهم . ولعلاج هذه المشكلة لابد

من إتخاذ عدة وسائل منها : -

1- وضع نظام تعليمى مدروس لجميع الأطفال فى سن الإلزام .

2- إتباع سياسة تهدف إلى تخريج مثقفين وطنيين وإذكاء روح التفكير والإبداع .

3- الإهتمام باللغات الوطنية والتراث القومى والتاريخى .

وبما أن إفريقيا إرتبطت بالعروبة والثقافة الإسلامية فلابد من دعم هذا الإتجاه وهو تمكين اللغة العربية فى إفريقيا ومحاربة الدعوات العرقية الرامية إلى إحياء اللغات المهجورة **وهناك عدة مجالات لتحقيق هذا التمكين منها:**

- إقامة المراكز الثقافية العربية .

- دعم النشاط الثقافى العربى بشتى الوسائل التكنولوجية .

- تعزيز ودعم المؤسسات والهيئات غير العربية التى تعمل فى مجال نشر الحضارة والثقافة العربية والإسلامية .

- تكوين إتحاد إقليمى وعالمى للعاملين فى مجال نشر اللغة العربية لغير الناطقين مثل مصر والسودان وليبيا والمغرب .

- إقامة المعارض والمهرجانات واللقاءات بين الدول العربية والإفريقية.

و - مشكلة التميز والتفرقة العنصرية :-

من الآثار التى تركها الإستعمار الأوروبى فى إفريقيا التفرقة العنصرية وهى من المشكلات العنيفة التى يعانى منها ألأفارقة فى جمهورية جنوب إفريقيا بالذات بعد أن تخلصت روديسيا الجنوبية (زمبابوى) من هذه المشكلة بعد قيام الحكومة الوطنية فيها .

وتقوم السياسة التى تتبعها حكومة جنوب أفريقيا على أساس تقسيم السكان حسب لون البشرة فهناك المستوطنون البيض الذين يتمتعون بإمتيازات عديدة ، وهناك الملونون وهم فى المنزلة الثانية ثم يليهم السود رغم أنهم يمثلون الأغلبية الوطنية أصحاب البلد الأصليين فإنهم محرومون من الحقوق التى تتمتع بها العناصر الأخرى .

وقد خصصت للسود أحياء سكنية خاصة عرفت بالمعازل حرم عليهم مغادرتها كما حرم عليهم إستعمال وسائل المواصلات غير المخصصة لهم ، كما حرم عليهم دخول المسارح المخصصة للبيض أو فنادقهم ، ويمتد الفصل بين الأجناس إلى عدة مرافق كالمصارف ومكاتب وغيرها ، وقد إمتد التمييز إلى التعليم والمستشفيات والمحاكم إلخ .

وقد صدرت عدة قوانين لتنظيم هذه الأوضاع الغريبة .

ورغم المقاومة البطولية للأفارقة فى سبيل حصولهم على حقهم الطبيعى فى بلادهم ، ورغم إستنكار الدول المتحضرة كلها والهيئات العالمية لهذا المظهر البغيض الذى لايقل بشاعة عن الرق فهو استرقاق فى صورة جديدة

وإهدار لحقوق وأدمية أصحاب البلاد الأصليين فى سبيل رفاهية وسيادة وتعالى المستعمرين الدخلاء .

وإذا كانت العقوبات الإقتصادية وكفاح شعب جنوب أفريقية وغيرها من الوسائل التى واجهت بها الهيئات الدولية هذه الظاهرة قد نجحت فى وقف حكومة جنوب إفريقيا العنصرية عن ممارسة هذه التفرقة الغربية وأن الصمود والإستمرار فى المقاومة من الوطنيين تساندهم منظمة الوحدة الإفريقية ودولها قد ألزم فى النهاية الأقلية البيضاء بأن تخضع لصوت الحق وللمبادىء التى كافحت شعوب العالم كلها لترسى أساسها مبادىء المساواة والعدل وحق الشعوب فى التمتع بخيرات بلادها وبنجاح حركة التحرير التى قادها نيلسون مانديلا .

هذه بعض المشكلات التى تواجهها الدول الإفريقية والمترسبة من عصر الإستعمار ولعل تكاتف الدول الإفريقية وتضامنها وفهمها لحقيقة هذه المشكلات هو السبيل السليم لحل هذه المشكلات حتى لاتتاح فرصة للدول الإستعمارية الإنتهازية لاستغلال هذه الظروف التى تمر بها الدول الإفريقية لتحقق أطماعها الإستعمارية بطرق ووسائل جديدة .

أسئلة للمراجعة

1- تحدث عن إحدى المشاكل التى واجهت إفريقيا فى مرحلة ما بعد الإستقلال بإستفاضة ؟

2- لقد خرج الاستعمار من إفريقيا ولكنه عاد إليها بأساليب أخرى جديدة !!

وضح ذلك على ضوء فهمك للمشاكل التى واجهت أفريقيا ؟

3- كيف عالج الإفريقيون مشاكل التخلف فى مجالى التعليم والإقتصاد ؟

4- لعبت منظمة الوحدة الإفريقية دورا فى معالجة بعض قضايا التخلف الإقتصادى ، وضح ذلك ؟

5- ماهى التفرقة العنصرية .... وماهى تطورات حكومة أيان سميث إزاء حركة التحرير التى يقودها نلسون مانديلا ؟

فهـــــرس الأعـــــلام

فهرس الأعلام

شارلز ألان
شاليه لونج
شنايتزر
شيشنق
صمويل بيكر
طهراقا
طوسون
عبد القادر الجزائري
عبد الله بن فودي
عثمان بن فودي
عدلي
عربي دفع الله
علي دينار
علي ماهر
عمر المختار
غردون باشا
فاسكو دي جاما
فاكلوبيد
فرانسيس دي ونتون
فرساي
فرناندو وايزابيلا

هانتر

هدلستون

هكس باشا

هنري الملاح

هولت

وايزمان

وليم بت

وليم هوكنز

ونجت باشا

ويلفورس

يوحنا

يوحنا الثاني

فهرس (البلدان والمواقع والأنهـــار)

فهرس (البلدان والمواقع والأنهار)

الاستوائية

الاسكندرية

(البرت نياترا (بحيرة

البرتغال

البندقية

الترانسفال

الجابون

الجبا

الجزائر

الحبشة

الرجاف

الروضة

الزمبيزي

الساحل

السنغاي

السودان

الصومال

الفالوجا

الفولتا

القلابات

الكناري

انلادو

اللوالايا

المكسيك

الناصر

انهوسا

أمونكانين

اوغندا

باني

باورتشي

بتسوانا لاند

بحر الغزال

برازافيل

بربرا

برلين

برمنجهام

برنجيه

برنو

بشري

بلما

بمبا

بنت

بنوي

بوجادور

بورسودان

بوغندا

تابورا

تشاد

تشيبامبو

تمبكتو

تنجانيقا

توجو

تونجا

تونس

جاندة

جاوة

جبل طارق

جبير

جربا

جريكو لاند

جنوة

جيبوتي

جيما

دارفور

دانو

داهومي

درم

دورا

دوفيليه

روداريو

روديسيا

رول

ريو

ريوموني

زاريا

زكرك

زنجبار

سبتة

سروتومي (حصن)

سنغافورة

سواكن

سوسة

سيراليون

سيلان

صفاقس

عدوة

غادن

غامبيا

غانا

غدامس

غرناطة

غوير

فاس

فاشودة

فزان

فكتوريا

فوتا بولتز

فوتا جالون

فوتاتزرو

فيلة

قبرص

قبس

قناة السويس

كاتسيا

كاتسينا

كافللي

كانم

كانو

كتنة

كردفان

كسلا

كلوة

كومبي صالح

كيانو

كيبي

كيجا

لابوريه

لانكستر

لحاجيرا

لواندا

لول

ليبيريا

ليفربول

ليكا

مابومالي

مالطا

مالي

ماى شيو

مبلى

مدينة الرأس

مراكش

مصر

مليلة

موريشيوس

نابي

ناجامي

نياس لاند

نيجريا

هيجو لاند

وادلاي

والاتا

وهران

القبائل

القبائل

الماندنجو

الماو ماو

المایاس

المتابلی

المسبعات

الهنتنوت

الهواویر

الهوسا

الواهيهي

تيد

كوش

لانجلو

ليكا

الخـــــاتمة

من خلال استعراض ملامح تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر يتضح أن إفريقيا كانت من القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر هدفا استعماريا لدول أوروبا ، وقد خضعت طوال هذه الفترة إلى النفوذ الأوروبى الغربى الذى طمس كثيرا من معالمها الحضارية والثقافية وخاصة محاربة الثقافة العربية والاسلامية ، وبعد خروج الاستعمار وتولى الوطنيون السلطة ، واجهتهم المشاكل المتعددة التى هى من مخلفات الاستعمار مثل مشاكل الحدود المصطنعة ومشاكل التخلف الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، ورغم ما بذل من جهد للتخفيف من آثارها السلبية فإنها لازالت تلقى بظلالها على إفريقيا إذ تعد شعوبها من شعوب العالم الثالث .

أما فى التاريخ المعاصر فيلاحظ أن انعكاسات الصراع الدولى بين القوى العظمى أيضا كان له أثره فى قيام وسقوط الحكومات الوطنية فى إفريقية ، مما جعل ظاهرة الانقلابات العسكرية وتغير أنظمة الحكم وأيديولوجياتها شيئا مألوفا !، وهذا أدى بالطبع إلى ايقاف كل مجهودات الإصلاح نظرا لانصراف حكام هذه الدول والأنظمة إلى تأكيد سلطتها السياسية على شعوبها وصرف الأموال فى مسائل الأمن والدفاع بدلا من صرفها فى مجالات التطور التعليمى والصحى والاجتماعى .

وتواجه إفريقيا الآن ظاهرة الاستعمار الجديد ، المعتمد على الغزو الفكرى والاعلامى وتقديم المساعدات المشروطة ، ونظرا لامتلاك إفريقيا لمعظم

احتياطى العالم من الأراضى الزراعية الصالحة للزراعة والثروات الحيوانية الكبيرة والمعادن المتنوعة وأخيرا الاكتشافات التى تمت فى مجال الطاقة وخاصة البترول ، ووجود كميات هائلة من المياة العذبة ، والثروة الغابية التى تساعد فى امتصاص التلوث البيئى الذى تعيشه أوروبا ، فإن إفريقيا على ضوء هذه المعطيات ستكون فى مرحلة لاحقة هدفا استعماريا مصيريا لأجل بقاء إنسان أوروبا ، ولذا فإن هذا الإستعمار الجديد يسير بخطى سريعة نحو إفريقيا خاصة وأنها واقعة مباشرة فى دائرة الجوار مع المنطقة العربية الاسلامية.

فلكى يحافظ الأفريقيون على حريتهم واستقلالهم لابد وأن ينتبهوا إلى المؤامرات الاستعمارية الرامية إلى ابقاء إفريقيا غير مستقرة حتى يتمكنوا من السيطرة عليها ولو من خارج المنطقة ، وذلك لايتم إلا بتوحيد الجهود والأفكار وتنشيط منظمة الوحدة الأفريقية ولجانها التنفيذية لأن فى الوحة قوة لايستهان بها ، وهى السبيل لإيقاف مخططات الاستعمار الجديد والمحافظة على وجودها بين عالم مضطرب يحاول أن تفرض فيه الصهيونية نفوذها بما يسمى بالنظام العالمى الجديد .

المصادر والمراجع العربية

المصادر والمراجع العربية

1- أبو القاسم الزناتي ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا ، المغرب ، 1907 م .

2- أحمد شفيق باشا ، حوليات مصر السياسية ، مطبعة مصر القاهرة 1926 .

3- ابن حوقل : (ت : 367هـ - 977) : أبو القاسم بن على بن حوقل صورة الأرض - طبعة ليدن ، 1976م .

4 - الادريسى 588 هـ - 1162م ، الشريف أبو عبد الله محمد ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، جزءان ، طبعة بيروت ، 1910م .

5- البخارى عبد الله الجعلى ، مشاكل الحدود بين السودان وأثيوبيا ، دار النشر ، جامعة الخرطوم ، 1969 .

6- البكرى : أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز البكرى (ت : 481) ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، مستلة من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن على ، منشورات دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1387هـ 1968م .

7- الثعالبى ، عبد العزيز ، تونس الشهيدة (بالفرنسية) ، ترجمة : سامى الجندى ، ط1 ، دار القدس ، تونس ، 1975.

8- الطاهر الزاوى ، جهاد الليبيين فى ديار الهجرة 1944 - 1952 ، مكتبة الفرجانى ، طرابلس ، (د . ت .) .

9- المسعودى : (ت : 346هـ - 957م) أبو حسن على بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزءان ، طبعة بيروت ، 1283هـ .

10- اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ، البلدان ط نجف 1958م .

1- تاريخ اليعقوبى ط انجف 1358 هـ .

2- المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، نشر دى سلان باريس ، 1965م .

11- ب . م . هولت ، دولة المهدية فى السودان ، عهد الخليفة - 1898 1885 ، ترجمة : هنرى رياض ، محمد محجوب مالك ، الجنيدى على عامر ، دار الثقافة ، بيروت ، 1979 .

12- بازل ، ديفيدسن ، أفريقيا تحت أضواء جديدة ، لندن ، 1912 : ترجمة : مركز الدراسات الافريقية ، جامعة سبها ، 1989 .

13- جان لاكوبير وجان بوميه ، الدول النامية فى الميزان ، ترجمة : فوزى عبد الحميد ، القاهرة ، (د.ت).

14- جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، بيروت ، 1983

15- جوليان شارل أندريه ، تاريخ أفريقيا ، جـ1 ، باريس ، 1951م .

16- جيبون . هـ . ترجمة : منصور شتيوى ، خريطة افريقيا الجديدة ، بيروت ، 1980 .

17- حسن سيد سليمان ، الحركات التحريرية لدول المغرب العربى ، القاهرة ، 1982 .

18 - دياب ، أحمد ابراهيم ، لمحات من التاريخ الأفريقى الحديث ، ط1 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1981 .

19- رجب حراز ، إفريقيا الشرقية والإستعمار الأوروبى ، القاهرة ، 1965 .

20- رونالد أوليفر وجون فيج ، ترجمة : دولت أحمد صادق ، تاريخ أفريقية ، راجعه: محمد السيد غلاب ، الدار المصرية للتأليف والنشر والراقبة القاهرة (د.ت) .

21- رونالد سيجال ، موجز تاريخ أفريقيا ، بيروت ، 1959 .

22- زاهر رياض ، استعمار افريقية واستقلالها ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1965 .

23- زاهر رياض ، تاريخ أثيوبيا ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1966 .

24 - شوقى عطا الله الجمل ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (د. ت) .

25- صلاح العقاد ، تاريخ المغرب العربى المعاصر ، القاهرة ، 1964 .

26- طارق البشرى ، تطور الحركة الوطنية فى مصر (المسلمون والأقباط) فى إطار الجماعة الوطنية ، القاهرة ، (د.ت).

27- عبد الحميد نعنعى ، أوروبا فى بعض الأمنة الحديثة والمعاصرة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م .

28- عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر 1918 - 1936 القاهرة ، 1976 .

29 - عبد الحميد البطريق ، وعبد العزيز سليمان نوار ، التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ، دار النهضة العربية بيروت ، 1981 .

30- عبد الرحمن الرافعى ، ثورة سنة 1919 م فى مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1952 م .

31- على عبد الله الخاتم ، تجارة الرقيق فى إفريقيا ، مجلة الدراسات الإفريقية ، سبها ، جامعة سبها ، 1993 .

32 - عمر طوسون ، تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية ، ط 1، القاهرة ، 1947 .

33- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1917 - 1952 ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1980 .

34- محمد المعتصم ، جنوب السودان فى مائة عام ، القاهرة ، 1972 .

35- محمد رفعت رمضان ، وثائق دولة الكنغو الحرة البلجيكية ، القاهرة ، 1962 .

36- محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، القاهرة ، دار المعارف ، 1952 .

37- محمد صبرى . الامبراطورية السودانية فى القرن الثامن عشر ، القاهرة 1948 .

38 - مدثر عبد الرحيم ، القومية والاستعمار فى السودان ، الخرطوم ، 1974.

39 - مدثر عبد الرحيم ، مشكلة جنوب السودان ، دار النشر الجامعية ، الخرطوم ، 1970 .

40- مكى شبيكة ، (بالانجليزية) ، السياسة البريطانية فى السودان ، مطبعة جامعة اكسفورد ، لندن ، 1959 .

41- ن . إ. بروشين ، تاريخ ليبيا من نهاية القرن 19 حتى سنة 1969 ، ترجمة وتقديم : عماد الدين حاتم ، مراجعة : ميلاد المقرحى مركز الجهاد الليبى للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1988 .

42- نقولا زيادة ، محاضرات فى تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالى حتى الاستقلال ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1958 .

43- يونان لبيب رزق :

أ- السودان فى عهد الحكم الثنائى 1899 - 1924 ، القاهرة ، 1976 .

ب - السودان فى المفاوضات المصرية البريطانية ، القاهرة 1974، .

ج - سياسية اللاتعريب ، مجلة العلاقات العربية الإفريقية ، جـ 1 ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1971 .

المراجـــــع الإجنبيـــة

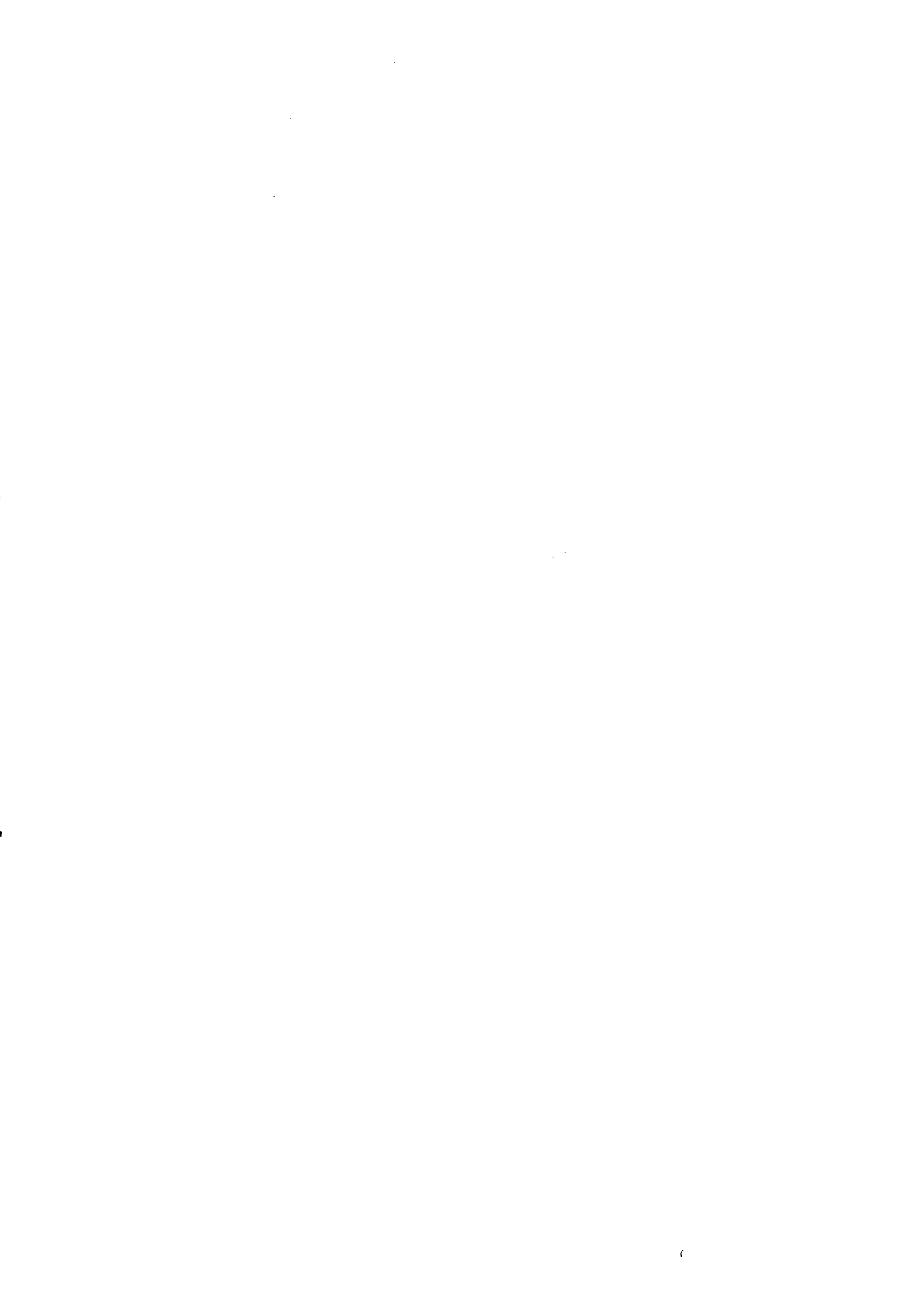

References

1- A.J. Arkel, History of the Sudan, 1821-1955. London. 1955.
2- Alan Moor Head, The Bule Nile, London, 1962.
3- Alan Moor Head, The White Nile, London, 1966.
4- Andere and Brown, Africa in the NineTeenth Century. Ibadan, 1960.
5- Anene, J.c. Slavery and the Slave Trade. Ibadan, 1966
6- Anstey. Rogers, Britain and Congo in the Nineteenth Century, 1890, London.
7- Basil William, Ceciel Rodes, and others. Scramble for Africa, 1957. Gordon.
8- Bernard Lewis.The Arabs in History, 1950, London.
9- Boahem, A.A. Britain The Sahara and the Western Sudan, Oxford, 1964.
10- Bourret.F. , Ghana to independence, London,1960
11- C. Brocleman, History of Islamic people. Liedan. 1965.
12- C.P.Groves, The Planting of Christianity In Africa. Vol. I-II-III. London, 1914.
13- C.W., A History of South Africa, Social and Economic. 1920.
14- Coleman . I. Nigeria , background to nationalism, California,1958.
15- Coupland. R. The British Anti-slavery Trade Movement in the Sudan .Cars.1964.
16- David Livingistone,: Missionary Travels and Researches . 1856 - 1863. Schapera , L. Livinigistone's Africa Journal, vol - 11. London , 1963.
17- Dike, K.O., The Rise of Sokoto, Encyclopedia Brittanica. 1957.
18- E. A. Wallace, Budge, History of Ethiopia, 1928.

19- E. Ullendroff. The Ethiopians, 1960.London
20- E.W. Bovil, Caravans of the Old Sahara 1933, London.
21- E.W. Bovil, The Golden Trade of the Moors, London, 1958.
22- F.F. Gutier, The Sahara, English Trans, London, 1955.
23- Fage, J.D. An introduction to the History of West Africa.
24- Fage, J.D. and W.E.F. Ward, Ghana, A Historical Interpretation, Ghana, 1956 - Wisconson, 1961.
25- Geiss.I. The development of pan Africanism. J.H.S., vol.3. No. 4, London, 1960.
26- George Padmore, Pan Africanism or Communism and kwame Nikrumah. Ghana, 1956.
27- Gray. J. Early, Portugeese Missionaries in East Africa. London, 1959.
28- Gray. J.M., An Anglo-German Agreement, 1890, Uganda, Journal, 1947.
29- H.A.R. GIBB, Muhammadanism,1949,London.
30- Hodgkin, T., Uthman Dan Fodio, Nigeria Magazine, 1960.
31- Holt .P.M. A Modern History of the Sudan London 1961.
32- J. Simmons. Livingstone Missionary Travels and Researches in South Africa.1955.
33- J. Spencer Trimingham, Islam In Ethiopia. London, 1953.
34- J.R.GRAY. A History of the Southern Sudan. 1839-1889, London, 1961.
35- John Hanning Speke , What Led to the discovery of the sources of the Nile, London, 1967.
36- Kup. P. Story of Sierra Leone,Cambridge, 1964

37- L.A. Gann, and Peter Duignan, Colonialism in Africa , 1870-1960, Vol (I).
38- L.M. Thompson, The Unification of South Africa, 1900, London.
39- M. Perham and J. Simmons. Africa Discovery. 1942.
40- M. Perham. Africa Discovery, London,1942.
41- Mohammed Omer Beshir, The Southern Sudan. Background to Conflict. Khartoum, 1968.
42- P-M.Holt- The history ot the Modern Sudan, third edition, London,1979.
43- P. H. Hissley and R.E. Robinson, History of the British Empire. vol.3. Cambridge press, London, 1959.